حاكم مالك الزيادي

الترادف في اللغة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمة

توثق اهتمامي بالدراسة اللغوية ، ايام دراســـتي الجامعية الاوليـــة وتعمقت صلتي بكثير من المصادر العربية ، تشدني اليها اواصر لا اجد لنفســي منها خلاصا . اذ كانت المنهل الثر الذي تزودت منه بما استطعت من علوم العربية وآدابها . وكثيرا ما كانت اقوال علمائها تستحوذ علي ، وتثير في نفســي رغبة ملحة في التأمل والاستقصاء بغية الوقوف على فهم واضح لبعض الظواهر والمشكلات اللغوية .

وحين تهيأت في السنة التحضيرية لاختيار موضوع رسالتي ، تمثلت في ذاكرتي طائفة من المسائل اللغوية ، وما اثر عن اللغويين العرب من مشهور القول فيها ، فوجـدتني في غمرة مما تعج بـه كتب العربيـة من مقـولات وتعليقات . واذا « بداهية الدواهي » في قول حمزة الاصفهاني : (ان تكاثر اسماء الدواهي من احدى الدواهي) تشدني الى موضوع « الترادف » شدا وثيقا .

لقد كانت تلك المقولة الاشــارة الاولى في توجهي الى هـذا البحـث واصطفائه من بين الموضوعات الكثيرة التي كانت تدور في خلدي آنذاك .

فقد احسست ان الرجل يومي، الى معضلة لغوية في العربية ، حسبت ان فيها متسعا للقول وميدانا رحبا للدراسة والبحث . فرحت افتش في بطون الكتب واستنطق امهات المصادر اللغوية ، مستطلعا ابعاد الموضوع ومستجليا آفاقه بغية التحقق من صلاحه واهميته وما قيل فيه ، والتمس مشورة الاستاذ والزميل فلقيت في ذلك القبول والتشجيع . ومن ثم عزمت على الخوض في هذا الموضوع ، فاذا بي حقا ازاء ظاهرة لغوية مهمة ، تمثل مشكلة في العربية خاصة وفي اللغات الانسانية عامة ، كانت وما تزال موضع خلاف طويل ومثار جدل كثير بين الدارسين قدامى ومحدثين الى يومنا هذا .

فقد ذهب اللغويون في امرها مذاهب شتى وتعددت آراؤهم في النظر اليها من حيث تعريفها وتفسيرها ومن حيث الجواز والانكار في وقوعها وما يترتب عليهما . فالذين يقولون منهم بالترادف يرونه فضيلة للعربية تفخر بها على غيرها ، ودليلا على سعتها وغناها وثراء مفرداتها في الابانة والتعبير . في حين يعده آخرون مجالا لثلب العربية والطعن فيها ، فيتهمونها بالاسراف في المفردات ويغمزونها بافراط لا ضرورة له ، حتى ذهب بعضهم الى وصم العربية بانها لغة « مائعة » لا تعرف تحديد الالفاظ ولا الصفات . وقال آخرون ان هذه الظاهرة تنافي حكمة الوضع في اللغات فشددوا النكير عليها . على حين رآها بعضهم امرا غير طبيعي يدعو الى الشك والارتياب ، وجعلها بعضهم دليلا على « بدائية » هذه اللغة . وما اكثر التهم والاقاويل التي وجهت الى العربية بسبب وقوع الترادف وكثرته فيها .

كل ذلك دفعني الى ولوج هذا الموضوع والبحث فيه لعلي اتبين حقيقة الامر ووجه الحق فيه . زد على ذلك ان الظاهرة لم تحظ بدراسة علمية مستقلة تقنع الباحث وتشفي غليله . فقد شغل الدارسون كثيرا بالتصنيف في الالفاظ المترادفة والتسابق الى جمعها ، وغلب عليهم القول بالجواز والانكار دون تحليل هذه الظاهرة او استقصاء معالمها ومعرفة حقيقتها .

وبعد احاطة شاملة بالموضوع والمام بأهم جوانبه ، شرعت برسم خطه للبحث تحدد منهج دراسته وتناسب طبيعته • فمهدت له بايجاز في التطور الدلالي واهم مظاهره ، وذلك لتعلق موضوع الترادف بالدلالة وتطورها • ثم وجدت ان الموضوع يشتمل على اربع مسائل رئيسة فكان ان انتظم البحث في اربعة فصول مناسبة :

الفصل الاول : وقد تناولت فيه فكرة الترادف لغة واصطلاحا وعرضت لها في الدراسات اللغوية من الناحية التاريخية ، وبينت مفهوم الترادف وتحديداته عند اللغويين القدامى والاصوليين والمناطقة والمحدثين من اهل اللغة ، ثم خلصت من ذلك كله الى ما ارتأيته من تحديد دقيق لمفهوم الترادف •

الفصل الثاني : وقد عالجت فيه باسباب تفسير ظاهرة الترادف • وبيان اسبابها واثر كل سبب في حدوثها ، معززا ذلك بدراسة نماذج من المترادفات وبفيض من الامثلة • وكان لابد لي في هذه الدراسة من ان اتبع المنهج اللغوي التاريخي من اجل الوقوف على ظروف نشأة الترادف في اللغة وفهم أسبابه •

الفصل الثالث : وقد تحدثت فيه عن مسألة الخلاف في وقوع الترادف ، فعرضت لآراء القدامى ومواقفهم وبسطت حجج المنكرين منهم والمؤيدين ثم ناقشتهم في ذلك وخلصت الى رأى محدد • ثم درست نماذج من الالفاظ في الفروق وانتهيت الى تحديد طبيعة هذه الفروق واسباب القول بالتباين او الترادف فيها • كما درست بعض كتب الفروق من حيث الدافع والغاية والمنهج ، ثم اتيت الى آراء المحدثين في الموضوع •

الفصل الرابع : وقد افردته لدراسة كثرة الترادف في العربية فتكلمت على اسباب هذه الكثرة وكشفت حقيقتها ، بعد ان عرضت بايجاز الى

الترادف في لغات اخرى ۰ ثم ختمته بنقد وتقويم للكتب والمعجمات التي صنفها القدامى والمحدثون في الترادف وتجريح نهجهم الذي سلكوه في ذلك ، مقترحا منهجا جديدا في جمع المترادفات وما ينبغي ان يكون عليه التصنيف في مثل هذا الضرب من الالفاظ تبعا لما توصلنا اليه من حقيقة هذه الظاهرة وفي هدي دراستها ۰

وقد وقفت طويلا عند المسائل التي وجدت فيها اشكالا وخلافا يحتاجان الى تحليل وتفصيل ، او لاهميتها في البحث وما يتعلق بها من نتائج نحو تفسير الترادف والخلاف في وقوعه ، في حين تناولت بعض المسائل بايجاز لكونها معروفة واضحة للدارسين ۰ فجاءت فصول الرسالة متفاوتة في الطول والقصر تبعا لطبيعة الفصل واهميته ، من غير ان الزم نفسي بتحديد شكلي ۰

وثمة صعوبات واجهتني في كتابة هذه الرسالة اهمها ان الترادف ظاهرة دلالية تتعلق بالمعنى وما يكتنفه من اشكال وغموض ، والمعنى هو المشكلة المركزية في اللغة كما يقول بعض المحدثين ۰ اذ انه يصعب في كثير من الاحيان توجيه دلالات الالفاظ وتحديد ما تشير اليه بدقة ، لتعلق ذلك بالعوامل الاجتماعية والثقافية والنفسية وبسبب تغير المعنى وتطوره باختلاف الزمان والمكان ۰ ومما يزيد ذلك صعوبة افتقار العربية الى المعجم اللغوي التأريخي الذي يقيد دلالة الالفاظ بحسب الاختلاف في الزمان والمكان ويعنى بتطورها تبعا للاستعمال ۰ ومن اجل التغلب على هذه الصعوبة عمدت الى كتب الالفاظ وكتب الامثال ومصنفات لحن العامة لمتابعة التطور الدلالي للالفاظ قدر الامكان والكشف عما يعتريها من تغير ۰

اضافة الى ما نجده في كتب الاقدمين من خلط واضطراب يبلغان حد التناقض احيانا ومن اختلاف في تحديد معنى اللفظة الواحدة في احيان اخرى، فضلا عما في كتب اللغة من تحريف وتصحيف ووضع ووهم في الرواية مما يحجب عنا كثيرا من حقائق معاني الالفاظ ۰

كما وجدت صعوبة في ترجمة بعض النصوص الاجنبية بدقة فاستعنت ببعض المختصين لتذليل هذه الصعوبة وكنت اعرض عليهم ما ترجمته تثبتا من صحته •

وبعد ؛ فليس الغرض من هذا البحث اثبات الترادف او نفيه بقدر ما هو دراسة لغوية وصفية تطبيقية تعتمد التحليل والتفسير ، وتقوم على التتبع والاستقصاء بغية استجلاء غوامض هذه الظاهرة والكشف عن طبيعتها • فالباحث اللغوي المحدث لا يرفض ظاهرة لغوية او يصدر عليها احكاما معيارية مادامت تمثل جانبا من واقع اللغة ؛ وانما يكتفي بوصفها وتحليلها ومعرفة حقيقتها •

وختاما ارجو ان اكون قد وفقت في الكشف عن هذه الظاهرة ودراسة اسبابها وبيان حقيقتها ، وهو ما قصدت اليه ، وحسبي انها خلاصة جهد جهيد وحصيلة عناء طويل • وعسى ان اكون قد اسديت للغة القرآن خدمة واجبة تسبغ على ابنائها شرف الانتماء اليها وفضل الاعتزاز بها •

وما توفيقي الا بالله •

التمهيد

في التطور الدلالي

الدلالة هي المعنى ، ودلالة اي لفظ هي ما ينصرف اليه هذا اللفظ في الذهن من معنى مدرك او محسوس ، والتلازم بين الكلمة ودلالتها امر لابد منه في اللغة ليتم التفاهم بين الناس[1] . وقد تطور البحث في الدلالة على ايدي الدارسين المحدثين ووضعت فيها الآراء والنظريات المتعددة حتى صارت علما مستقلا بذاته من علوم اللغة ، يعرف بعلم الدلالة .

والتطور الدلالي ، ونعني به تغير معاني الكلمات ، ظاهرة شائعة في جميع اللغات اكدها الدارسون لمراحل نمو اللغة واطوارها التاريخية[2]. ويشبه هؤلاء اللغة في هذه الناحية بالكائن الحي ، تخضع لما يخضع له الكائن الحي في نشأته ونموه وتطوره[3]. فاللغة كأية ظاهرة اجتماعية عرضة للتطور في مختلف عناصرها : اصواتها وقواعدها ودلالاتها ، وان تطورها هذا يجري وفق اتجاهات عامة وفي نماذج رئيسة ، وليس تبعا للاهواء والمصادفات ، ولابد لاحد على وقف عملها او تغيير ما تؤدى اليه ، وليس في قدرة الافراد ان

---

(١) الاضداد في اللغة : د . محمد حسين آل ياسين ص ٤٦ .
(٢) دلالة الالفاظ : د.ابراهيم انيس ص ١٢٣ .
(٣) لحن العامة والتطور اللغوي : د.رمضان عبد التواب ص ٣٠ .

يقفوا تطور لغة ما ، او يجعلوها تجمد على وضع خاص[٤]. ذلك ان اللغة ليست جامدة بحال من الاحوال على الرغم من ان تطورها قد يبدو بطيئا في بعض الاحيان ، وتغير المعنى ليس سوى جانب من جوانب التطور اللغوي الذي يتم ضمن طبيعة اللغة الخاصة . فلاشيء ثابت او مستقر فيها بصورة تامة ، فكل صوت وكل كلمة او تعبير او اسلوب يكون شكلا او صورة متغيرة ببطء ، بقوة غير مرئية او مجهولة . وتلك هي حياة اللغة[٥].

وليست سنة التطور اللغوي مقصورة على اصوات المفردات او ابنيتها او على العناصر النحوية ، بل يلحق معانيها ايضا . فقد اثبت علم اللغة الحديث ان اللغة في تطورها الدلالي كما هي عليه في تطورها الصوتي تسير وفق اتجاهات عامة في نماذج رئيسية تمكن الدارسون من تحديد معالمها وتعرف مظاهرها ، حتى انتهوا الى ما سموه بـ (قوانين المعنى) وان كانت هذه القوانين ومايزال بها حاجة الى مزيد من البراهين الواقعية قبل الحكم على صحتها ومدى اطرادها حكما سليما[٦] . ومن المحتمل ان يكون المعنى اقل مقاومة للتغير ، كما قرر بعض المحدثين[٧] .

ان التغير في معنى الكلمات غالبا مايحدث بالتدرج بحيث لايمكن للمرء ان يكتشف او يتبين الخطوات المختلفة لعملية التغير . وسبب تغير المعنى يماثل التغيرات الصوتية، ويعزى ذلك الى الذين يستعملون اللغةقديما وحديثا، اي انه

---

(٤) اللغة والمجتمع : د.وافي ص ٩١ .

(٥) دور الكلمة في اللغة : استيفن اولمان ص ١٥٣ .

Semantics an introduction to the sience of meaning, by Stephen Ullmann, p. 193.

(٦) دور الكلمة في اللغة ص ١٨٢ — ١٨٧ . وينظر لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة د . عبدالعزيز مطر . ص ٢٧٩ .

(٧) Semantics an introduction to the sience of meaning, p. 193.

يعزى الى الاستعمال من الماضي الى الحاضر[٨]. وانتقال اللغة من جيل الى جيل يعد من العوامل المهمة في تغير المعنى وتطوره ، وتيسير حدوثه[٩].

ان اسباب تغير المعنى كثيرة غير محددة ، ولقد ميز باحث من المتخصصين بعلم الدلالة ما لا يقل عن واحد وثلاثين احتمالا سببا لتغير المعنى ، ثم ذكر من بعد ذلك ان عملية تغير المعنى مسألة صعبة ومعقدة ، وبعضها فريد في نوعه ، اذ يعتمد على النظر الى الاصل التاريخي للكلمة ، وعلى الرغم من ذلك يمكن استنباط عدة اسباب مهمة لتغير المعاني . وتتمثل هذه في اسباب لغوية وتاريخية واجتماعية ونفسية وفي التأثير الاجنبي ، والحاجة الى اسم جديد[١٠] .

ولقد اورد المحدثون امثلة كثيرة لتطور الدلالة في مختلف اللغات ولاحظوا ان هذا التطور غالبا ما يكون في الانتقال من المعاني المادية الحسية الى المعنوية المجردة . ولاريب ان التطور الدلالي قد وقع في اللغة العربية قديما وحديثا كما وقع في غيرها من اللغات ، فمعاني الالفاظ التي كانت مستخدمة في العصر الجاهلي لم تبق جامدة على حالها بعد الاسلام . بل لحقها تغير قليل او كثير ... وهذا ما حدث في العصور التي تلت بعد ذلك ايضا ، نتيجة تطور المجتمعات والحاجة الى التجديد ، واضفاء معان جديدة على كلمات قديمة ، وفاء بحاجات الحياة المتطورة[١١]. ولعل من الامثلة الواضحة على التطور الدلالي في العربية ما اصاب الفاظا من تغير في معانيها بعد ظهور الاسلام وما اكتسبته من معان جديدة وذلك من نحو الفاظ الصلاة والصوم والحج والزكاة والكفر والمسلم والمؤمن والمنافق والشرك

(٨) Language, its nature, development and origin, by Otto Jespersen, p. 174.

(٩) Semantics an introduction to the sinece of meaning, p. 103.

(١٠) Semantics an introduction to the sience of meaning, p. 197 — 210.

(١١) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ص ٢٧٩ .

وغيرها[12]. وثمة الفاظ اخرى انتقلت دلالتها من المجال المادي الى المجال المعنوي المجرد كالشرف والعقل والمجد والبحث والاقتباس والادراك والوعي والروح والفضل[13]. فكل هذه الالفاظ في الاصل تدل على معان حسيـة ومدلولات ماديـة .

وقد اشار اللغويون القدامى الى التطور الدلالي الذي لحق طائفة من الالفاظ ونصوا عليه صراحة ؛ بيد انهم عدوا ما حدث بعد عصور الاحتجاج مولدا او لحنا ؛ مع ان الظاهرة واحدة ؛ كما ان هذا التطور لم يكن واضحا لديهم ولم يعللوا له . ومن الالفاظ التي تطـورت دلالتها ونص على ذلـك القدماء ، ما ذكره الجوهري : (والحميم الماء الحار والحميمة مثله ؛ وقـد استحممت اذا اغتسلت به ؛ هذا هو الاصل ؛ ثم صار كل اغتسال استحماما ؛ بأي ماء كان) [14]ومنه ان : (اصل العقـر ضرب قوائم البعير او الشـاة بالسيف ، وهو قائم ... ثـم اتسـع في العقر حتـى استعمل في القتل والهلاك)[15]. وعن ابن الاعرابي انه (اذا كانت في السرة نفخة فهي بجرة ، واذا كانت في الظهر فهي عجرة ؛ قال : ثم ينقلان الى الهموم والاحزان)[16]. وقال ابن الاثير : (الرمة بالضم : قطعة حبل يشد بها الاسير او القاتل الذي يقاد الى القصاص اى يسلم اليهم بالحبل الذي شد به تمكينا لهم منـه لئلا يهرب ، ثم اتسعوا فيه حتى قالوا اخذت الشيء برمته أي كله)[17] . وقال الجوهري فيه : (اصله ان رجلا دفع الى رجل بعيرا بحبل في عنقه ، فقيل ذلك لكل من دفع شيئا بجملته)[18]ومن ذلك ما نص عليه ابن دريـد في جملة

---

(12) ينظر الصاحبي لابن فارس : ص ٧٨ — ٨١ والمزهر للسيوطي : ١/٢٩٤ والتطور اللغوي التاريخي د . ابراهيم السامرائي : ص ٤٣ .

(13) فقه اللغة وخصائص العربية : محمد المبارك . ص ٢٢١ — ٢٢٢ .

(14) الصحاح مادة حمم : ١٩٠٥/٥

(15) اللسان مادة عقر : ٥٩٣/٤ .

(16) اللسان مادة بجر : ٤٠/٤

(17) اللسان مادة رمم : ٢٥٢/١٢

(18) الصحاح مادة (رمم) / واللسان مادة رمم : ٢٥٢/١٢ .

الفاظ منها ان (النجعة طلب الغيث ثم كثر فصار كل طلب انتجاعا ، والمنيحة اصلها ان يعطي الرجل الناقة او الشاة فيشرب لبنها ويجتز وبرها وصوفها ثم صارت كل عطية منيحة ... والوغى اختلاط الاصوات في الحرب ثم كثر ذلك فصارت الحرب وغى ...)[١٩] ومثل هذا كثير من الالفاظ التي نص القدامى على تطور معانيها واتساع دلالتها نتيجة كثرة الاستعمال . وقد عقدوا له بعض الابواب والفصول ، وقد ترجم له ابن دريد في : (باب الاستعارات)[٢٠] وجعله ابن فارس في : (باب القول في اصول اسماء قيس عليها والحق بها غيرها)[٢١] على حين خصه السيوطي بثلاثة فصول[٢٢] .

بيد ان القدامى على الرغم من اعترافهم بهذا التطور ، فانهم قصروه على حقبة بعينها ، ورفضوا كل تغير في المعنى حدث من بعد ذلك ، فوقف معظمهم من هذا التطور موقفا معارضا وشددوا النكير على هذا الجديد في المعنى ، بدافع الحرص على سلامة اللغة والحفاظ عليها ، ومن اجل تنقيتها لئلا تفسد ، ومراعاة لمبدأ الصحة اللغوية والفصاحة فيها ، ولم يكن لهذا الموقف ان يؤثر في الحركة الدائبة لتطور دلالة الالفاظ[٢٣].

وقد استوجبت هذه النظرة ان يتمسك هؤلاء في الغالب بالدلالة القديمة للكلمة أو المعاني الاصلية للالفاظ كما سجلتها المعجمات اول مرة ، ابان ماتعارفوا عليه بعصور الاحتجاج اللغوي . فقد ذهب ابن فارس الى ان اي تغير يحدث فهو موقوف على ما سمع ، اذ عقب على طائفة من الالفاظ التي تغيرت معانيها والتي ذكرنا طائفة منها آنفا بقوله : (وكل ذلك عندنا توقيف على ما احتججنا له ، وقول هؤلاء : « انه كثر حتى

(١٩) جمهرة اللغة لابن دريد : ٤٣٢/٣ — ٤٣٣ .
(٢٠) المصدر السابق : ٤٣٢/٣ — ٤٣٤ .
(٢١) الصاحبي : ص ٩٥ .
(٢٢) المزهر : ٤٢٦/١ وما بعدها .
(٢٣) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : ص ٢٧٩ .

صار كذا » ؛ فعلى ما فسرناه من ان الشرع موقف عليه ؛ كما ان الاصل موقف عليه)[٣٤] . ولا شك ان هذا الموقف كان بسبب تلك الحدود الزمانية والمكانية التي وضعوها في اخذ اللغة والتي ينتهي عندها قبول الاستعمال الجديد ؛ وهو مما يتفق مع نظرية التوقيف التي قال بها ابن فارس في نشأة اللغة ؛ تلك النظرية التي تتعارض مع مبدأ التطور الدلالي اساسا . وقد ادت هذه النظرة بهم الى قصر دلالة الالفاظ على حقبة معينة لم يتعدوها الى سواها ؛ فكان الواحد منهم ينقل عن الاخر تلك المعاني على تفاوت الزمان والمكان ؛ لاكما هي مستعملة في عصره . ولم يعنوا بما طرأ على دلالة الالفاظ من تطور ولم يعترفوا به بعد هذه الحقبة ؛ بل انكروا ذلك ورفضوا الاخذ به في اغلب الاحيان وردوه بشتى الحجج ؛ وما حركة تنقية اللغة وما عرف عن اصحابها من تزمت وتشدد الا تعبير واضح عن هذا الموقف ازاء التطور الدلالي والوقوف بوجهه بجانب ماكان من موقف اصحاب كتب لحن العامة الذين رفضوا هذا التطور ايضا وراحوا يستنكرونه ويصوبونه معولين في ذلك على الدلالة الاصلية للالفاظ . وقد ذهب هؤلاء الى ان يصفوا هذا التطور الدلالي باللحن والخطأ ؛ او المولد والمحدث ؛ او الحروف التي يتكلم بها في غير موضعها او ما يضعه الناس غير موضعه او بالمزال والمفسد وما الى ذلك من التسميات التي اطلقوها عليه . وقد احصى الدكتور مطر في كتاب ادب الكاتب اثنين وثلاثين استعمالا تغير مجال استعمالها عما ورد عن العرب وذكر ابن قتيبة معانيها الاصلية[٣٥]. وجمع ايضا من خلال المواد المختلفة في كتاب « تقويم اللسان » تسعا وخمسين مادة ذكرها ابن الجوزي من اخطاء العامة في دلالة الالفاظ وبعد تصنيفها تبين له ان التغير في المعنى قد تم في احد الاتجاهات الثلاثة تخصيص العام وتعميم الخاص ؛ وتغير مجال الدلالة[٣٦]؛ وهذه

---

(٣٤) الصاحبي : ص ٩٦ .

(٣٥) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ص ٦٢ .

(٣٦) المصدر نفسه ص ١٩٦ ـ ١٩٩ وينظر تقويم اللسان لابن الجوزي : ص ٦٥ من مقدمة المحقق .

الاتجاهات من اهم مظاهر تطور الدلالة ، كما سنتبين .

ان نظرة القدامى الى اللغة بتلك الحدود القائمة على اساس زمان معين ومكان مخصوص ، هي سبب هذه الظاهرة التي نجم عنها فقدان تدوين الالفاظ ودلالاتها المتطورة وعدم تتبع هذا التطور ، ولعل هذا اهم نقص وابرز عيب يجدهما الباحث المعاصر في المعجم العربي القديم .

والمحدثون من اللغويين العرب لهم ملاحظات ازاء نظرة القدامى هذه الى اللغة وتحديد زمان الاحتجاج ومكانه ، وموقفهم من التطور الدلالي .

وهذا ما بينه استاذنا الدكتور ابراهيم السامرائي حين عرض لمبدأ التطور في اللغة وموقف الاقدمين من هذه الحقيقة اللغوية . فذكر كثيرا من المآخذ المهمة والنتائج التي نجمت عن موقفهم هذا بسبب انكارهم لتطور اللغة وما ترك من آثار ومصاعب في الدراسة اللغوية التاريخية وفي تتبع مراحل تطورها . حيث يقول :(ومن نقص الادوات عندنا لمعرفة اللغة معرفة علمية : ان كتب اللغة لا تشير الى اللفظة المفردة وطرائق استعمالها عبر العصور . وذلك ان اصحابها مقلدون في بحثهم اللغوي للفكرة الاولى التي قيدت الفصاحة والبلاغة بحقبة معينة لا تتعداها الى غيرها كما اسلفنا ، واصحابنا من المعنيين باللغة وباساليب القول فيها بدع بين اقرانهم من علماء اللغات الاخرى ، فاللغوي الحديث يؤمن بالنظرة التاريخية وبالتطور الذي تستدعيه عوامل التطور المختلفة) [٢٧].

ويرى الدكتور ابراهيم انيس ان اللغويين الاقدمين قصروا السليقة اللغوية على قوم معينين ، وقصروها على زمن معين ، وقصروها على بيئة معينة ، فنشأ في مخيلاتهم ما يمكن ان يعبر عنه بدكتاتورية الزمان والمكان[٢٨]. ويقول الدكتور تمام حسان ان نظرة القدماء في حصر اللغة بزمان ومكان

(٢٧) التطور اللغوي التاريخي : ص ٢٩ .

(٢٨) من اسرار اللغة د . ابراهيم انيس : ص ٣٦ .

معينين وما كان من انكارهم للتطور اللغوي ، قد قادت التفكير اللغوي فيما بعد الى المعيارية ، ذلك ان مثل هذه النظرة قد فرضت قاعدة من مرحلة معينة على مثال مرحلة اخرى[٢٩].

واما المستشرق الالماني برجستراسر فيقول : (والذي منع علماء الشرق - مع بذل الجهد العجيب في درس اللغة العربية من جهة الصرف والنحو ومن جهة المفردات - عن الاعتناء الكافي بالكشف عن تطور اللغة بعد الاسلام ، سببان مرتبط احدهما بالاخر ، اولهما : مداومتهم على السؤال عن الجائز في اللغة وضده ، وعلى المنع عن كثير من العبارات ، وهذا وان كان واجبا نافعا فهو عمل المعلم لا العالم ، فالعالم يبحث عما يكون في الحقيقة لا عما كان ينبغي ان يكون ، والمعلم لا يظن ان تعليمه اقوى من الحياة ، فان نسي هذه النصيحة واجتهد ان يقهر حياة اللغة ، ويعوقها ، جازته وغفلت عن تعليمه ، فيتسع اذن الشق الحاجز بين اللغة الحقيقية الحية ، وما يعلمه النحويون ، كما نشاهد ذلك في تاريخ اللغة العربية ، والسبب الثاني : اعتقاد علماء الشرق ان اكمل ما كانت عليه اللغة العربية واتقنه واحسنه ما يوجد في الشعر القديم ، وهذا حكم غير علمي ...)[٣٠] كما ذكر المؤلف ان العلماء القدامى قد صرفوا عنايتهم الى الصرف والنحو اكثر من عنايتهم بالمفردات ، وانه ليس لنا معجم عربي يقضي حاجتنا[٣١].

وقد ادت هذه النظرة المحافظة الى ضياع كثير من السبل لمعرفة تطور دلالة الالفاظ بحسب تباين الزمان والمكان وذلك باستثناء تلك الحقبة المعهودة التي تيدوا بها دلالة الالفاظ ووقفوا عندها ، وعلى الرغم من هذه النظرة وهذا المنهج المتزمت نجد احيانا من اشار الى هذا التطور بشكل ما او اضطر للاعتراف به على جهة التأويل او محاولة تخريجه والتماس سبب له .

---

(٢٩) اللغة بين المعيارية والوصفية د . تمام حسان ص ١٩٠ .
(٣٠) التطور النحوي للغة العربية برجستراسر : ١٢٧ — ١٢٨ .
(٣١) المصدر السابق : ص ١٢٧ .

وعلى اية حال فان هذا الذي عدوه لحنا ما هو الا تطور لغوي من وجهة نظر علم اللغة الحديث ، وهذا التطور لا يحدث اتفاقا ولا يتم بطريقة عشوائية ؛ بل ينجم عن عوامل ما تزال بكل لغة حتى تخرج بها من حال الى حال[٣٢].

ولقد درس المحدثون اسباب التطور اللغوي وبينوا عوامله وذكروا ملامحه ومظاهره والذي يعنينا من هذا التطور كله ؛ التطور الدلالي خاصة لتعلقه بالترادف .

مظاهر التطور الدلالي

يرى علماء الدلالة المحدثون ان الالفاظ تتطور فتكتسب من المعاني اشباها جديدة لم تكن لها من قبل ، وان اللفظة تحيا حياة متجددة ، وهي ابدا في تغير في دلالاتها وفي طرائق استعمالها[٣٣].

وقد استطاع اللغويون المحدثون بعد طول نظر في ما يطرأ على المعاني من تغيرات ؛ ان يحصروا التطور الدلالي في مظاهر رئيسة تصدق ، على جميع اللغات اهمها[٣٤].

١ ـ تخصيص العام او التضييق في المعنى : وهو ان تقصر الدلالة

---

(٣٢) لحن العامة والتطور اللغوي : ص ٣٣ وينظر : ابو بكر الزبيدي الاندلسي وآثاره في النحو واللغة د . نعمة رحيم العزاوي : ص ٣٢٣ ـ ٣٢٤ .

(٣٣) التطور اللغوي التاريخي : ص ٤٠ ـ ٤١ .

(٣٤) ينظر : دلالة الالفاظ : ١٥٢ ـ ١٦٧ وعلم اللغة للسعران : ٢٠٥ ـ ٢١١ ولحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : ٢٨١ ـ ٢٨٨ ودور الكلمة في اللغة : ١٦٢ ـ ١٦٣ ودلالة الالفاظ العربية وتطورها د . مراد كامل ٢٥ ـ ٢٨ واللغة لفندريس : ص ٢٥٦ والاضداد في اللغة : ٥٦ وفقه اللغة وخصائص العربية : ص ٢١٨ وما بعدها

Semantics an introduction to the sience of meaning, p. 227 — 231.

Principles of Semantics, p. 171 — 257.

العامة على بعض اجزائها فيضيق شمولها بحيث يصبح مدلول الكلمة مقصورا على اشياء أقل عددا مما كانت عليه الكلمة في الاصل . وذلك نحو كلمة meat الانكليزية التي كانت تعني « الطعام » ثم تخصصت في الدلالة على اللحم .[٣٥] وكلمة " Poison " التي تطور معناها من الدلالة على الجرعة من اي سائل الى الدلالة على السم[٣٦] . وكلمة Shtarf الروسية التي كانت تعني اولا العقوبة بوجه عام ، ثم تخصصت دلالتها بالغرامة المالية ، ليس غير[٣٧]. ومثلها كلمة « Hound » الانكليزية التي كانت فيما مضى تدل على اى كلب ، ثم صارت تعنى الان نوعا خاصا من الكلاب[٣٨]. ومثل هذه في العربية كلمة « السبت » التي كانت في اصل معناها تعني الدهر ، ثم تخصص معناها باحد ايام الاسبوع[٣٩]. ونحوها الفاظ الصلاة والحج التي تخصصت دلالتها بعد ظهور الاسلام بعد ان كانت تدل على معان عامة . وقد افرد السيوطي لهذا الضرب من التطور فصلا سماه (في العام المخصوص ، وهو ما وضع في الاصل عاما ثم خص في الاستعمال ببعض افراده) وضرب له الامثلة[٤٠].

وقد يقع التخصيص نتيجة حذف المضاف اليه او الصفة ومثاله لفظ « الدنيا » واصله الحياة الدنيا . والتخصيص يعد اوسع من التعميم واكثر ورودا في تطور دلالة الالفاظ[٤١].

---

(٣٥) Language its nature, development and origin, p. 174.
وانظر : دلالة الالفاظ : ص ١٥٤ .
(٣٦) دور الكلمة في اللغة : ص ١٦٢ .
(٣٧) علم اللغة للسعران : ص ٣٠٨ — ٣٠٩ .
(٣٨) دلالة الالفاظ : ص ١٥٤ .
(٣٩) المزهر : ١/٤٢٧ .
(٤٠) المزهر : ١/٤٢٧ — ٤٢٨ .
(٤١) الاضداد في اللغة : ص ٥٨ — ٥٩ .

٢ ـ تعميم الخاص او توسيع المعنى : وهو ان يتوسع في معنى الكلمة ودلالتها فتنتقل من معناها الخاص الذي كانت تدل عليه الى معنى اشمل واعم من ذلك . وتعميم الدلالة اقل شيوعا في اللغات من تخصيصها واقل اثرا في تطور الدلالات وتغيرها .

ويمثل فندريس لهذا الضرب من التطور بما يقوله الطفل الباريسي حين يرى نهرا « ارى سينا » وهذه هي حال الاطفال الذين يسمون جميع الانهار باسم النهر الذي يروي البلدة التي يعيشون فيها[٤٢] . واما ستيفن اولمان فيمثل له بالكلمة الانكليزية « arrive » التي كانت تعني الوصول الى الميناء او الشاطيء ، ثم صارت تعني مجرد الوصول بأية وسيلة[٤٣]. ومثلها الكلمة الانكليزية « barn » التي كانت تدل فيما مضى على « مخزن الشعير » فاصبحت تدل الان على كل مخزن من اى نوع من انواع الحبوب ، وعلى مخزن ما سوى الحبوب ايضا[٤٤].

ومثال هذا التطور ايضا الكلمة الانكليزية « picture » التي كانت تعني في الاصل « painting » اى الرسم باليد ، ثم صارت تعني الرسم مطلقا ايا كان نوعه كالصورة الفوتوغرافية والصور الفكرية او الخيالية نتيجة التعميم في دلالتها[٤٥]. ومثلها ايضا كلمة « hard » التي كانت تعني « الصلب » للجوز والحجر خاصة ثم صارت تعني الصلابة ليس المادية فقط وانما المعنوية ايضا ، فانتقلت دلالتها من المجال المادي الى المجال المعنوي وصار يقال : hard labour, hard words[٤٦] ومثلها الفعل الانكليزي grow الذي كان يدل على نمو النباتات خاصة ثم

---

(٤٢) اللغة : ص ٢٥٨ .

(٤٣) دور الكلمة في اللغة : ص ١٦٢ .

(٤٤) علم اللغة للسعران : ٣٠٩ .

(٤٥) Language its nature, development and origin, p. 174.

(٤٦) Language its nature, development and origin, p. 174.

صار يعني محض النمو حتى نمو المشاعر بسبب التوسع في الدلالة وما لحقه من تعميم في الاستعمال[٤٧].

ومن امثلة التعميم في العربية ان كلمة البأس في اصل معناها كانت خاصة بالحرب ثم صارت تطلق على كل شدة[٤٨]. وان اصل الورد اتيان الماء ثم صار اتيان كل شيء وردا[٤٩]. والنجعة اصلها طلب الغيث ، ثم عممت في كل طلب[٥٠] . وقد عقد السيوطي لهذا الضرب من الالفاظ فصلا خاصا سماه « فيما وضع في الاصل خاصا ثم استعمل عاما » اورد فيه الكثير من الامثلة على ذلك[٥١].

٣ ـ تغير مجال الدلالة : وهو ان ينتقل اللفظ من مجال دلالته الى مجال دلالة اخرى لعلاقة او مناسبة واضحة بين الدلالتين . ويجري هذا المظهر من التطور الدلالي على سبيلين هما[٥٢]:

آ ـ الاستعارة : وذلك بان ينتقل مجال الدلالة لعلاقة المشابهة بين المدلولين . وقد وضحه ستيفن اولمان بقوله : (اننا حين نتحدث عن عين الابرة نكون قد استعملنا اللفظ الدال على عين الانسان استعمالا مجازيا . اما الذي سوغ لنا ذلك فهو شدة التشابه بين هذا العضو والثقب الذي ينفذ الخيط من خلاله)[٥٣].

والاستعارة من سنن العرب كما يقول ابن فارس[٥٤] ، قد حفل بها

---

(٤٧) Ibid., p. 174.

(٤٨) المزهر : ٣١/١؛

(٤٩) الصاحبي : ص ٩٦ .

(٥٠) المزهر : ٢٩/١؛ ــ ٣٢؛ .

(٥١) نفسه : ٢٩/١؛ ــ ٣٣؛ .

(٥٢) ينظر دلالة الالفاظ : ١٢٧ ــ ١٣٢ ؛ ١٦٠ ولحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ص ٢٨٥ ــ ٢٨٦ .

(٥٣) دور الكلمة في اللغة : ص ١٦٥ .

(٥٤) الصاحبي : ص ٢٠٤

وبغيرها من الوان المجاز شعرهم ونثرهم ؛ حتى قال ابن جني : (اعلم ان اكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة)[٥٥] . ومن امثلتها استعمال اهل الاندلس كلمة القلادة في معنى الحزام ؛ وهي ما يحيط بالعنق ، وبين المدلولين تشابــه ؛ فالحزام يحيط بالوسط ، كما تحيط القلادة بالعنق[٥٦] . ويعد من الاستعارة ايضا قول عامة بغداد للفاجرة : متفتية . والمتفتية هي الفتاة المراهقة . والذي سوغ انتقال الدلالة هو ما يبدو من كلتيهما من نزق وطيش في الغالب[٥٧].

ب ـ المجاز المرسل : وهو ان ينتقل مجال الدلالة لعلاقة غير المشابهة بين المدلولين[٥٨] . واهم علاقات المجاز المرسل هي السببية والحالية والمحلية والمجاورة والزمانية والمكانية والجزئية والكلية واعتبار ما كان وما سيكون وغير ذلك .

وقد مثل ستيفن أولمان لهذا السبيل من التطور بأن : (الكلمة bureau مكتب ، قد يكون معناها اليوم المكتب الذي يجلس اليه الانسان ويكتب عليه ، او المصلحة الحكومية او المكان الذي تدار منه الاعمال . ومن الواضح انه ليست هناك اية مشابهة بين المدلولين ؛ ولكن بينهما ارتباط من نوع اخر ، فالمكتب الذي نكتب عليه يوضع عادة في الاماكن التي تدار منها الاعمال وعلى هذا فالفكرتان مرتبط بعضهما ببعض في ذهن المتكلم . او قل انهما تنتميان الى مجال عقلي واحد . هذا هو التفسير النفسي لذلك النوع من المجاز المعروف بالمجاز المرسل motonymy)[٥٩].

ان المجاز المرسل واحد من سبل التطور الدلالي المعترف بها ؛ وله اثر كبير في مجرى هذا التطور . ومن امثلته في العربية انتقال دلالة الوغى من اختلاط

(٥٥) الخصائص لابن جني : ٢/٤٤٧ .
(٥٦) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ص ٢٨٥ .
(٥٧) المصدر السابق : ص ٢٨٦ .
(٥٨) دور الكلمة في اللغة : ص ١٦٩
(٥٩) المصدر السابق : ص ١٦٩ ـ ١٧٠

الاصوات في الحرب الى الدلالة على الحرب نفسها لعلاقة المسببية[٦٠]. ومن المجاز المرسل ايضا ان الظعينة معناها في الاصل المرأة في الهودج ؛ ثم انتقل الى الدلالة على الهودج نفسه وعلى البعير وعلى المرأة[٦١]. وذلك لعلاقة الحالية . كذلك يعد من المجاز المرسل انتقال معنى الراوية من البعير الذي يستقى عليه الى المزادة[٦٢]. وذلك لعلاقة المجاورة بين المدلولين ايضا ومنه ايضا قول عامة الاندلس : يوم شات أي مطير ؛ للعلاقة الزمانية ؛ وذلك أن فصل الشتاء هو زمن المطر غالبا[٦٣].

ومن المجاز المرسل الذي علاقته المحلية استعمال الملة بمعنى الخبز في قولهم اكلنا ملة . والملـة في الاصل : الرماد الحار ؛ وهي موضع الخبزة فسموا الخبزة باسم موضعها ؛ وهذا من باب التسمية باسم المكان[٦٤]. ومنه ايضا قول عامة الاندلس للعنب اول ما يعصر : مصطار ؛ والمصطار الخمر التي فيها حموضة . وذلك باعتبار ان المصطار سيؤول الى خمر فيها حموضة[٦٥]. ونحوه قوله تعالى : « اني اراني اعصر خمرا »[٦٦].

وللمجاز اثر كبير في التسمية واطلاق الالفاظ على مسمياتها . « والعرب تسمي الشيء باسم غيره اذا كان مجاورا له او كان منه بسبب » كما يقول ابن قتيبة[٦٧]وهذا من المجاز المرسل .

وثمة مظاهر اخرى للتطور الدلالي اقل شيوعا مما ذكرناه وهي تتصل بعوامل نفسية واجتماعية كرقي الدلالة وانحطاطها ؛ والمحظور ؛ وحسن

---

(٦٠) جمهرة اللغة : ٤٣٢/٢

(٦١) نفسه : ٤٣٢/٢

(٦٢) جمهرة اللغة : ٤٣٢/٢

(٦٣) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : ص ٢٨٧

(٦٤) نفسه : ص ٢٨٨ . وانظر اصلاح المنطق لابن السكيت ص ٣١٢

(٦٥) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : ص ٢٨٨

(٦٦) سورة يوسف آية : ٣٦

(٦٧) ادب الكاتب لابن قتيبة : ص ٢١ .

التعبير ، والتحول نحو المعاني المضادة ، وسوء فهم المعنى ، والبلى المعنوى والغموض ، وغير ذلك من السبل التي لها اثر في تغير مجال الدلالة وانتقالها[٦٨].

وسوف تتبين ان لهذا التطور الدلالي بمختلف سبله من تخصيص وتعميم ومن انتقال على جهة المجاز والاستعارة اثرا كبيرا في تفسير ترادف الالفاظ وفي توجيه القول بالفروق ، والوقوف على سبب الخلاف فيها وفهم حقيقتها .

(٦٨) ينظر دلالة الالفاظ العربية وتطورها : ص ٢٧ — ٢٨ . ودلالة الالفاظ : ١٥٦ — ١٦٠
وعلم اللغة للسعران : ص ٣٠٥ — ٣١١ ودور الكلمة في اللغة : ١٧٢ وما بعدها .

الفصل الأول

فكرة الترادف

الترادف لغة واصطلاحا :

الترادف في اللغة هو ركوب احد خلف اخر . يقال : رَدِفَ الرجلَ وارده اي ركب خلفه ، وارتدفه خلفه على الدابة ، ورد يفك : الذي يرادفك والجمع رُدَفاء ورُدافى . ويقال ردفت فلانا اي صرت له رِدْفـا . قال الجوهري : الرِّدْف : المرتدف وهو الذي يركب خلف الراكب ، والرديف المرتدف ، واستردفه : ساله ان يردفه ، والرِّدْفُ : الراكب خلفك . وعلى هذا قيل للحقيبة ونحوها مما يكون وراء الانسان (ردف) .

فالردف هو ما تبع الشيء ، وكل شيء تبع شيئا فهو ردفه ، واذا تتابع شيء خلف شيء فهو الترادف والجمع الردافى ، يقال : جاء القوم ردافى اي بعضهم يتبع بعضا ، وهذا امر ليس له ردف اي ليس له تبعة ، وترادف الشيء : تبع بعضه بعضا ، والترادف : التتابع .

ومن هذا قولهم : مرادفة الجراد ، اي ركوب الذكر الانثى والثالث عليهما وقولهم لليل والنهار : ردفان لأن كل واحد منهما ردف صاحبه ، بمعنى ان احدهما يتبع الاخر . وكذلك قولهم : ارداف النجوم اي تواليها وتوابعها ، واردفت النجوم اي توالت . وقولهم للرجل الذي يخلف الملك من بعـــد ردف ، وارداف الملوك في الجاهلية هم الذين كانوا يخلفونهم في القيام بأمر المملكة بمنزلة الوزراء في الاسلام . وقد فسر قوله تعالى : (بألف من الملائكة مردفين)[1] بمعنى يأتون فرقة بعد فرقة على رأى الزجاج ، وقال الفــراء ،

(1) سورة الانفال آية ٩ .

مردفين متتابعين . وقالوا ايضا لحداة الظعن والاعوان : الردافى ؛ لأنه اذا اعيا احدهم خلفه الاخر . وقد سموا ضربا من القوافي في الشعر والعروض بـ (المترادف) وهو كل قافية اجتمع في اخرها ساكنان . سمي بذلك لأن غالب العادة في اواخر الابيات ان يكون فيها ساكن واحد ، رويا مقيدا كان أو وصلا او خروجا ، فلما اجتمع في هذه القافية ساكنان مترادفان كان احد الساكنين ردف الاخر ولاحقا به .(٢) .

هذا هو المعنى الحقيقي للترادف في اللغة كما ابتناه اولا ، وما هذه المعاني اللاحقة الا طائفة من الاستعمالات المجازية للكلمة التي اردت بها ان ابين التجوز الذي حصل في استعمالاتها والتوسع في معناها ، وما هذا الذي اوردناه الا قليل من كثير .

واما الترادف في المصطلح اللغوي فهو : دلالة عدة كلمات مختلفة ومنفردة على المسمى الواحد او المعنى الواحد دلالة واحدة(٣) نحو الشمول والعقار والتَّرْقَف والخندريس والراح والمدامة والصهباء والسَّباء ... فكل هذه الاسماء تدل على الخمر وحدها . ومثال ذلك ايضا اسماء الداهية ومنها : القنطر والنئطل والدهاويس والدهيم والتجارم والبايجة والفليقة والسلتم والغنقير والغاصة والاغويّة والوامئة والصيلم والغوايل ... وما الى ذلك من اسمائها الكثيرة الي تنصرف جميعها للدلالة على الداهية وحدها .

ويمكن ان تلحظ العلاقة بين المعنى اللغوي للترادف والمعنى الاصطلاحي له ؛ ذلك ان ركوب احد خلف اخر قد قيل له في اللغة « ترادف » كما ذكرنا واطلقت الكلمة في الاصل على هذا المعنى . ثم نقلت

---

(٢) لسان العرب لابن منظور مادة ردف : ٩/١١٤ ــ ١١٦ وانظر : الصحاح للجوهري ، مادة ردف : ٤ / ١٣٦٣ ــ ١٣٦٤ وتاج العروس للزبيدي مادة ردف : ٦/ ١١٤ ــ ١١٦ .

(٣) انظر : التعريفات للجرجاني ص ٢١٠ ، والمرصع لابن الاثير : ص ٢٥٢ ، والمزهر للسيوطي : ٤٠٢/١ وموسوعة اصطلاحات العلوم الاسلامية للتهانوي : ٥٧٨/٣ وما بعدها .

فيما لابعد من معناها الحقيقي هذا الى تلك المعاني المجازية المتعددة الاتية الذكر، اذا استعملت عدة استعمالات مجازية كما اسلفنا ؛ ومن جملتها اطلاقها على الكلمات التي تدل على معنى واحد، فان الكلمات قد تترادف على المعنى الواحد أو المسمى الواحد ، كما يترادف الراكبان على الدابة الواحدة ؛ وعلى هذا فالعلاقة في هذا الاستعمال المجازي هي المشابهة . وقد اشار صاحب التاج نقلا عن الصاغاني الى هذا المعنى المجازي الجديد ، حيث ذكر ان المترادف هو ان تكون اسماء لشيء واحد وهي مولد ومشتقة من تراكب الاشياء[٤]. وقال الجرجاني في تعريفه للترادف موضحا الصلة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للكلمة : (المترادف ما كان معناه واحدا واسماؤه كثيرة وهو ضد المشترك ؛ اخذا من الترادف الذي هو ركوب احد خلف آخر ، كأن المعنى مركوب واللفظان راكبان عليه كالليث والاسد ...)[٥]

ومن هذا كله يتبين لنا كيف اصطلحوا على تسمية الالفاظ التي تتتابع وتتوالى على معنى واحد او مسمى واحد بـ« الترادف » وصارت هذه الظاهرة اللغوية تعرف عند العلماء والدارسين بهذه التسمية اصطلاحا .

الترادف في الدراسات اللغوية :

اذا نظرنا الى الترادف من الناحية التاريخية يمكن القول ان هذه الفكرة من الظواهر اللغوية القديمة التي انتبه اليها العلماء في وقت مبكر . اذ اننا نشهد في مصنفاتهم كثيرا من الملاحظات اللغوية التي تشير بوضوح الى هذه الفكرة فقد سجلت هذه الآثار عدة اسماء مختلفة للمعنى الواحد ، او للمسمى الواحد دون فرق يذكر ؛ اضافة الى شهادة الاقدمين منهم بامكانية تعدد الاسماء للمسمى الواحد، وبوقوع الالفاظ المختلفة على المعنى الواحد . تعدد عبروا عن هذه الفكرة بتعابير وتسميات متقاربة ؛ وذلك قبل ان يصطلح عليها ويتشعب القول فيها .

---

(٤) تاج العروس للزبيدي مادة ردف : ٦ / ١١٦ .

(٥) التعريفات للجرجاني : ص٢١٠ .

ومن اجل الوقوف على ملامح هذه الظاهرة وتطور مفهومها لدى العلماء لابد من استقراء النصوص اللغوية التي اشارت اليها من قريب او بعيد ، ومن متابعة هذه العبارات والتسميات العديدة التي كانت تدل عليها سواء التي سبقت التسمية الاصطلاحية ام التي اعقبتها . فالملاحظ ان مصطلح « الترادف » قد جاء متأخرا بعض التأخر ، وذلك بعد ان اتضحت معالم هذه الظاهرة واصبحت من المواضيع اللغوية التي يعرض لها العلماء في كتبهم . والدليل على هذا ان مصطلح الترادف لم يرد في مصنفات الاقدمين ولم يكن معروفا لديهم آنذاك ؛ مع ملاحظتهم لفكرة الترادف وتمثلها في اقوالهم ومصنفاتهم . يعزز ذلك اشارة صاحب التاج الى ان هذه الكلمة بهذا المعنى الاصطلاحي هي مولدة كما ورد آنفا ؛ ويبدو ان هذا المصطلح اللغوي لم يعرف الا في القرن الثالث الهجري ، وقبل هذا لانجد له ذكرا عند العلماء . واقدم نص لغوي بين ايدينا ورد فيه هذا المصطلح صراحة هو لثعلب المتوفي سنة ٢٩١ هـ ، وذلك في انكاره للترادف فقد قال التاج السبكي في شرح المنهاج : (ذهب بعض الناس الى انكار المترادف في اللغة العربية ، وزعم ان كل مايظن من المترادفات فهو من المتباينات التي تتباين بالصفات .... وقد اختار هذا المذهب ابو الحسن احمد بن فارس في كتابة الذي الفه في فقه اللغة والعربية وسنن العرب وكلاهما ، ونقله عن شيخه ابي العباس ثعلب .)[٦] ومما يعزز هذا الرأي ايضا اشارة احمد بن فارس نفسه الى مذهب شيخه ثعلب في الترادف واعترافه بالتعويل عليه[٧] . وفي القرن الرابع الهجري نجد من الاثار اللغوية التي وصلت الينا ماهو معنون بهذه التسمية الاصطلاحية كما في كتاب : « الالفاظ المترادفة » لعلي بن عيسى الرماني المتوفى سنة ٣٨٤ هـ اضافة الى ورودها صراحة في كتاب الصاحبي[٨] لابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥هـ . ولايعقل انهم قد تواضعوا على هذه التسمية في هذا العصر

---

(٦) المزهر للسيوطي : ١ / ٤٠٣ .
(٧) الصاحبي : ٩٦ .
(٨) ص : ٤١ .

ذاته الذي صنفوا فيه بعض الكتب بهذا الاسم وكثر النظر والجدل في هذه الظاهرة •

ولكن هذا لا يعني ان فكرة الترادف قد ظهرت في هذا الوقت وانها لم تكن معروفة او ملحوظة بشكل ما لدى علماء اللغة ورواتها • فقد سبقت ظهور هذا المصطلح عبارات وتسميات عبرت عن هذه الظاهرة تعبيرا اجماليا • ولعل من اقدم النصوص التي بين ايدينا والتي اشارت بوضوح الى هذه الفكرة في اللغة ما جاء في تقسيمات سيبويه (ت ١٨٠ هـ) للالفاظ في باب اللفظ للمعاني ، حيث يقول : (اعلم ان من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، واختلاف اللفظين والمعنى واحد ، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ••• فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو : جلس وذهب ؛ واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو : ذهب وانطلق ؛ واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك : وجدت عليه من المَوجِدة ووجدت اذا اردت وجدان الضالة واشباه كثير)[٩] • والذي يعنينا من هذا التقسيم هذا القسم الثاني منه الذي جاء فيه : اختلاف اللفظين والمعنى واحد ، وقد مثل له بقوله ذهب وانطلق • فهذا الضرب من الالفاظ هو الذي سمي فيما بعد بالالفاظ المترادفة • وواضح ان الترادف هو من هذا القبيل ، ولكن مع ملاحظة السعة في هذا النص بالقياس الى المفهوم لدقيق للترادف كما حدده العلماء ، لانه يصدق على الفاظ مختلفة اخرى معناها واحد ايضا ولكنها ليست مترادفة حقا كما سيتضح لنا •

ان هذا النص من النصوص اللغوية المهمة التي اشارت الى فكرة الترادف في اللغة من غير تحديد ، واصبح من الشهرة بمكان في كتب اللغة اللاحقة • اذ تناقل تقسيم سيبويه هذا كثير من العلماء والدارسين من بعده وذلك بشيء من التصرف والزيادة والشرح • فقد عرض له قطرب والمبرد وابن فارس والانباري وابن الاثير والسيوطي وغيرهم • ومن توسعهم في مقولة سيبويه

(٩) الكتاب لسيبويه : ١ / ٧ — ٨ •

الآنفة الذكر قول المبرد : (من كلام العرب اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد .... واما اختلاف اللفظين والمعنى واحد، فقولك : ظننت وحسبت ، وقعدت وجلست ، وذراع وساعد ، وانف ومرسن .)[10] وكذلك قول محمد بن القاسم الانباري ، فبعد ان ذكر الاضداد والمشترك اللفظي قال : (.. واكثر كلامهم يأتي على ضربين آخرين: احداهما ان يقع اللفظان المختلفان على المعنيين المختلفين كقولك : الرجل ، والمرأة ، والجمل ، والناقة ، واليوم ، والليلة ، وقام ، وقعد ، وتكلم وسكت ، وهذا هو الكثير الذي لايحاط به . والضرب الاخر ان يقع اللفظان المختلفان على المعنى لواحد ، كقولك : البُر والحنطة والعَيْر والحمار ،والذئب ، والسِّيد وجلس وقعد ، وذهب ومضى .)[11] ونجد من الاقدمين من لم يقف عند ملاحظة هذه الظاهرة اللغوية والاشارة اليها وحسب ، بل حاول ان يعلل وقوعها . يقول قطرب (ت ٢٠٦هـ) : « انما اوقعت العرب اللفظتين على المعنى الواحد ليدلوا على اتساعهم في كلامهم ، كما زاحفوا في اجزاء لشعر[12] ، ليدلوا على ان الكلام واسع عندهم ، وان مذاهبه لاتضيق عليهم عند الخطاب والاطالة والاطناب »[13] وقد يطول بنا الحديث لو اتينا على ذكر جميع العلماء الذين اخذوا بتقسيمات سيبوية للالفاظ وتعمقوا في دلالتها . تلك التقسيمات التي اشار فيها الى عدة ظواهر لغوية والتي تمثلت عند الباحثين من بعده بالمتباين والمشترك اللفظي والمترادف .

والمهم من هذا : تلك الالفاظ المختلفة الدالة على معنى واحد . فبهذا

---

(١٠) مااتفق لفظه واختلف معناه للمبرد : ص٢ - ٣ ، وعنه في المزهر : ٢٨٨/١

(١١) الاضداد : محمد بن القاسم الانباري : ص٦-٧ وعنه في المزهر : ٣٩٩/١

(١٢) الزحاف في الشعر هو ان يسقط بين الحرفين حرف فيزحف احدهما الى الاخر ، والشعر مزاحف .

(١٣) الاضداد لقطرب = مجلة اسلاميكا ص ٢٤٢-٢٤٤ المجلد الخامس سنة ١٩٢١م . وانظر : الاضداد للانباري ص٨ والمزهر : ١ / ٤٠٠-٤٠١ .

الضرب من الالفاظ نحو : قعد وجلس ، وذهب ومضى وانطلق : وثلثت وحبت والبر والحنطة ... الخ ، هو الذي تعارفوا عليه فيما بعد بالترادف كما اسلفنا ، ثم اختلفوا بشأنه بين قائل به ومنكر له ، فبينما نجد جماعة من اللغويين تقول ان هذه الالفاظ مترادفة ، تذهب جماعة اخرى الى انكار ترادفها بالتماس الفروق الدقيقة بين معانيها[14].

واذا كان سيبويه قد عبر عن فكرة الترادف باختلاف اللفظين والمعنى واحد ، فقد تمثلت عند الاصمعي المتوفى سنة ٢١٦هـ ، باسم «ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه» الذي عنون به احد كتبه، فهذه التسمية مماثلة لعبارة سيبويه في المضمون واللفظ اذ هي تدل أيضا على تعدد الالفاظ المختلفة للمعنى الواحد . ولا شك ان الترادف عموما هو من باب الاختلاف في اللفظ والاتفاق في المعنى ، حيث سبق أن ذكرنا أنه وقوع عدة الفاظ مختلفة على معنى واحد . وقد اورد الاصمعي في كتابه هذا كثيرا من الالفاظ المترادفة حقا ، ولكنه ذكر ايضا الفاظا غير مترادفة بالمفهوم الحقيقي للترادف . ولهذا يمكن ان نأخذ على هذا الكتاب الملاحظة السابقة نفسها . وهي دلالته على فكرة الترادف بصورة تامة . فليس كل ما اختلفت الفاظه واتفقت معانيه هو من قبيل الترادف . وهذا ما تدل عليه طبيعة الكتاب ومن أمثلة ذلك : (حاضَت المرأة وطَمِثت وعَرَكَت ، كل ذلك سواء)[15] . ومنه ايضا (... ويقال للذي يرضع من كل صبي او بهيمة بلغة أهل الحجاز رَضَعَ يَرضع ويقول من دونهم رضع يرضَع ومَلَجَ يملُج مَلْجاً ورَغَثَ يَرْغَثُ .. وهذا كله في معنى رَضَع .)[16] وهنا نلاحظ اشارة الاصمعي الى لغات القبائل في اختلاف مثل هذه الالفاظ . وقد ذكر ايضا عدة اسماء

---

(١٤) الفروق اللغوية للعسكري : ص ٧٩ ، ٨٠ ، ٢٥٢ . والصاحبي لابن فارس : ص ٩٦ — ٩٧ .

(١٥) ما اختلفت الفاظه واتفقت معانيه للاصمعي : ورقة ١ . ثم انظر كتاب خلق الانسان لابي محمد ثابت بن ابي ثابت ص ٣٢ .

(١٦) ما اختلفت الفاظه واتفقت معانيه : ورقة ٢ .

للآثار دون فرق في الدلالة نحو : نَدَب ونُدُوب وعَلُوب وأبْلاد وجَبَار[١٧] . وكذلك عدة أسماء للجراب في قوله (ويقال قد اكتال الرجل في جرابه ومزوده وسلفه ؛ كل من اسماء الجراب . ويقال جعل فلان متاعه في كُرْزه وفي خرجه سواء .)[١٨] وعلى هذا النحو يجرى معظم ما في الكتاب .

ان هذا الكتاب وان احتوى كثيرا من الالفاظ التي هي بمعنى واحد ، الا انه لا يمكن حمل كل ما جاء فيه على الترادف . فالمؤلف لم يقتصر على الكلمات المفردة بل ذكر أحيانا الجمل والعبارات المختلفة التي تتوارد على معنى واحد ايضا هذا من ناحية ؛ ومن ناحية اخرى نجد طائفة من الكلمات المختلفة الدالة على معنى واحد ؛ ولكن اختلافها قد جاء بسبب القلب او الابدال وما الى ذلك من الاختلافات الصوتية في الكلمة الواحدة ؛ ومن هذه على سبيل المثال : جذب وجبذ ؛ اضمحل وامضحل ؛ السباسب والبسابس ؛ النشوز والنشوص[١٩] وغير ذلك فمثل هذه الالفاظ ليست مترادفة في الحقيقة ، اذ ليس ثمة اختلاف بينها تماما ، فاللفظة واحدة جاءت بصور مختلفة . وهذا ما يدعوه المحدثون بالترادف الوهمي وسوف يأتي بيانه . ان هذا ليؤكد ما ذهبنا اليه آنفا من أنه ليس مجرد الاختلاف في اللفظ والاتفاق في المعنى ترادفا كما تصور ذلك عدد من الباحثين . ومما يجدر ذكره هنا أن الدكتور فؤاد حنا ترزي قد اعتبر كتاب الاصمعي هذا في الالفاظ المترادفة ، مستدلا على ذلك بالعنوان ، دون ان يطلع عليه[٢٠] . والواقع ان الكتاب ليس كله في الترادف على وجه الدقة ، كما تقدم بيان ذلك .

ومن الاقدمين الذين ظهرت فكرة الترادف في تصانيفهم بصورة واضحة ،

---

(١٧) المصدر السابق : ورقة ٣٢ .
(١٨) المصدر السابق : الورقة نفسها .
(١٩) المصدر السابق : الورقة نفسها ، وورقة ٥ .
(٢٠) في اصول اللغة والنحو ــ د . فؤاد حنا ترزي ــ ص ٥٤

ابو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ للهجرة . فقد تمثلت عنده بما سماه : « كتاب الاسماء المختلفة للشيء الواحد » وهو احد الكتب التي ينقسم اليها كتاب الغريب المصنف . فقد ذكر كثيرا من الالفاظ المختلفة الدالة على معنى واحد تحت هذا العنوان ؛ ومن ذلك ما ذكره للعطية من أسماء نحو : الشكم والشكد والجزح والصفد والفرض والرفد واللهوة والنوفل[٢١] ... وغير ذلك ونجد في كتاب الالفاظ المترادفة للرماني فصلا بعنوان : « في معنى الصلة والعطية » أورد فيه شيئا من هذه الالفاظ والفاظا اخرى[٢٢] . ومن هذه ايضا ما جاء في باب الطبيعة والسجية حيث نقل عن ابي زيد قوله : (يقال انه لكريم الطبيعة والسليقة والخليقة والنحيزة والغريزة كل هذا واحد.

قال والشرْجُوجة وبعضهم يقول الشَّرجيجة ، والسجية مثل ذلك .)[٢٣] ونجد هذه الالفاظ نفسها بعد ذلك من أمثلة الترادف عند الرماني[٢٤] وابن جني[٢٥] وهما من علماء القرن الرابع الهجري ، فقد استشهدا بهذه الالفاظ فيما اورداه من مترادفات مع ملاحظة التزيد فيها .

كما افرد صاحب الغريب المصنف في كتابه ابوابا كثيرة وفي مواضع متفرقة لذكر اسماء الخمر والعسل والسيف ، وأسماء الزوجة والداهية والنفس والسباع والضباع والثعالب والاسد والذئب ؛ وأسماء القصير والطويل والمجنون وغير هذا ... وهو يروي وينقل هذه المترادفات عمن تقدمه من اللغويين كالاصمعي وأبي عمرو واليزيدي والكسائي والفراء والاموي.

---

(٢١) الغريب المصنف ـ القاسم بن سلام ـ ورقة ٢٨٦ب ـ ورقة ٢٨٧ أ .
(٢٢) الالفاظ المترادفة : ص ٨
(٢٣) المصدر السابق : ورقة ٢٨٩ ب .
(٢٤) الالفاظ المترادفة : ص ١٤ .
(٢٥) الخصائص : ١١٤/٢ وما بعدها .

وغيرهم . ومن هذه ما جاء في باب العسل : (الضرب العسل والشهدة وهي مؤنثة : يقال هي ضرب ، والأرْي العسل والسلوى العسل ...)[٢٦] وهذه المترادفات الأربع للعسل هنا ، قد بلغت الثمانين بعد ذلك عند الفيروزآبادي في كتابه الذي سماه : « ترقيق الاسل لتصفيق العسل » ، ثم استدرك عليه السيوطي باثنتين آخرين[٢٧] . وكذلك منها ما رواه المؤلف عن الاصمعي في باب اسم حليلة الرجل : (حَنَّة الرجل امرأته وهي أيضا طَلَّته وعِرْسُه وقَعيدَتُه ورَبضُه ورُبْضُه ونَطيئَته وزوجُه ...)[٢٨] ويلاحظ ان هذه الالفاظ نفسها قد وردت في كتاب الامالي لابي علي القالي بعد ذلك مع الاضافة اليها[٢٩] . وقل مثل هذا في اسماء السيف والخمر والداهية والنفس والاصل والقصير والطويل التي ذكرها صاحب الغريب المصنف وخصص لها ابوابا مستقلة من كتابه . حيث نجد كل هذا منقولا في كتب المتأخرين الذين جمعوا المترادفات وعنوا بها ، وقد اضافوا اليها كثيرا وضاعفوها مرات ، حتى بلغت المئات كما في اسماء الداهية وغيرها .

يتبين لنا من هذا أن فكرة الترادف لاوضح ما تكون عليه في هذا الكتاب بسبب كثرة المترادفات التي احتواها والتي اتخذ منها أصحاب الترادف فيما بعد مادة لهم للتصنيف في هذه الظاهرة واساسا لان يتزيدوا فيها كثيرا الى درجة المبالغة . وينبغي القول انه لا يصح الحكم على كل الالفاظ المختلفة التي أوردها المؤلف للمسمى الواحد ، بانها مترادفة . اذ ان هذه الالفاظ تبدو كذلك في الظاهر ، ولكنها عند التحقيق ليست مترادفة فالمؤلف لم يقتصر على مترادفات الشيء الواحد وحسب ، بل ذكر ايضا طائفة من الاسماء التي تدل على احواله وانواعه وصفاته وما يتعلق به ، شأنه في ذلك

---

(٢٦) الغريب المصنف : ورقة ٥ ب . وفي امالي الزجاجي خمسة الفاظ للعسل : ص ١٩ .
(٢٧) المزهر : ٤٠٧/١ — ٤٠٩ .
(٢٨) الغريب المصنف : ورقة ٢٨ ب .
(٢٩) الامالي : ١٩/١ — ٢٠

شأن كتب الموضوعات الاخرى • كما اننا نجد في حالات كثيرة عدة صيغ وصور مختلفة للكلمة الواحدة ومثال ذلك : رَفهنية ورَفاهية ورَفاغية •[٣٠] ومنها ايضا ما ذكرناه سابقا : قال والسرجوجة وبعضهم يقول السرجيجة • وكذلك منها ما جاء في اسماء القصير نحو : الحَبْتر والبُحْتُر والبُهْتُر ، ودنَبة ودنَابة والدَعْدَاع والدَحْدَاح[٣١] •••• ومثل هذا كثير • ان هذه الالفاظ ليست من الترادف الحقيقي في شيء ، على وجه الدقة والتحديد • كما ذكرنا آنفا ، وذلك بخلاف الكثير من القدامى والمحدثين الذين توهموا الترادف في هذا النوع من الالفاظ • بل نرى انهم قد شطوا بعيدا حين عدوا أقل تغيير في بنية الكلمة وشكلها ، مهما كان طفيفا ، من الترادف • وقد ادت هذه النظرة الواهمة الى خلط كثير بين المترادف حقا وغير المترادف ، مما ادى الى الغلو في المترادفات لا يمكن التسليم به • ويضاف الى كتاب الغريب المصنف السالف الذكر ، كتب الموضوعات الاخرى المتقدمة منها خاصة ، التي الفها العلماء والرواة في شتى الموضوعات كالمطر والخيل والابل والسلاح والنبات والشجر وخلق الانسان والحيوان والنخل والبئر والعسل والنحل ••• وما الى ذلك • تلك الرسائل اللغوية الصغيرة التي صنفوها في القرنين الثاني والثالث الهجريين بحسب الموضوع الواحدة ، وقد عني اصحابها فيها بتدوين المفردات اللغوية المتصلة بذلك الموضوع وما يتعلق به[٣٢] • وتعتبر هذه

---

(٣٠) الغريب المصنف : ورقة ٢٨٨ آ •

(٣١) المصدر السابق : ورقة ١١ آ — ١١ ب •

(٣٢) ومن هذه الكتب : النخل والكرم ، والابل ، وخلق الانسان ، والعسل والنحل والنبات ، والشجر ، والخيل للاصمعي • وخلق الانسان ، والخيل لابي مالك عمرو بن كركرة • والحشرات لابي خيرة الاعرابي • والسلاح للنضر بن شميل • والنحلة ، والابل ، والخيل ، وخلق الانسان ، لابي عمرو الشيباني • والانسان ، والزرع ، لابي عبيدة • والمطر ، والمياه ، وخلق الانسان ، والشجر ، واللبا اللبن لابي زيد الانصاري • والخيل ، والبئر ، والدرع ، لابن الاعرابي ، والعسل والنحل لابي حنيفة الدينوري ، وكتاب خلق الانسان لابي محمد ثابت بن ابي ثابت وغيرها • واكثر هذه الكتب مفقود •

الكتب المرحلة الاولى في تدوين اللغة وجمع مفرداتها وتعد نواة للمعاجم الكبرى التي ظهرت بعد ذلك[٣٣] . والذي يعنينا من كتب المعاني هذه انها لا تكاد تخلو من المترادفات فكثيرا ما نجد فيها عدة اسماء مختلفة للمعنى الواحد او للمسمى الواحد . وقد سجل العلماء والرواة الاوائل طرفا من ذلك ، على سبيل السماع والرواية . ومن ذلك مثلا : (من صغار النخل الجَثيث ، وهو أول ما يطلع من أمه ؛ وهو الوَدِيّ والهِراء والفَسيل ... والأشاءُ من صغار النخل .... ويقال للسَّعَفات اللواتي يلين القلْبة « العَواهِن » في لغة أهل الحجاز ؛ أما أهل نجد فيسمونها « الخَوافِيَ » .. والسَّعَف هو الجَريد عند أهل الحجاز واحدته جَريدة ؛ وهو الخُوص وجمعه خِرْصان ، والخُلْب الليفُ واحدته خُلْبة ...)[٣٤] ومنها ايضا ما جاء في اسماء الخمر ونعوتها عن الطائفي وهي « المُشَعْشَعَة والمُدامَة والأسفَنط والطّلاء والبابلية والعانيّة والشَّمُول والصهباء والقَهْوة والخُرْطُوم والسُّلاف والخَنْدريس والشَّمُوس والجِرْيال والعُقار والقَرْقَف والحُمَيّا . وقال ابو سعيد والرَّساطون بالرومية . » وقد بين الاصمعي الفروق في بعض هذه الاسامي واشار الى سبب التسمية في بعضها الاخر[٣٥] . كذلك من هذه الامثلة ما رواه ابن الاعرابي : (... ويقال لتراب البئر : النَّجِيثة ، والنبيثه ، والنثيلة ، والثَّليثة ، والسَّفاة ، وبئر نَضُوض ، ويَرُوض ، ورَشُوح ، ومَكُول : وهي التي يجتمع ماؤها قليلا قليلا ... فاذا كانت البئر الى جنبها بئر اخرى تضر بها قيل : بئر ضَغيط .

---

(٣٣) انظر : المعجم العربي نشأته وتطوره ــ د . حسين نصار : ١/٣٦ . والبحث اللغوي عند العرب ــ د . احمد مختار عمر : ص ٢٠٣ وفقه اللغة وخصائص العربية ــ محمد المبارك : ص ٢٤ ــ ٢٥ وص ١٥ــ١٥٥ . وفي اصول اللغة والنحو د . فؤاد ترزي : ٥٦ ــ ٥٧ ومقدمة كتاب البئر لابن الاعرابي لمحققه د . رمضان عبدالتواب : ص ٥ .

(٣٤) كتاب النخل والكرم للاصمعي : ضمن البلغة في شذور اللغة : ص ٦٤ ــ ٦٥ .

(٣٥) المصدر السابق : ٩٠ ــ ٩٢ .

وبثر مأطورة مثلها .)[٣٦] وقد اورد ابو حنيفة الدينوري العديد من الاسماء للعسل[٣٧] وهي ضعف ما ورد في الغريب المصنف .

ومن الالفاظ التي تدل على مسمى واحد ما رواه الاصمعي بقوله : (ويقال لسنام البعير : السَّنام ، والشَّرَف ، والذُّرْوة ، والقَمَعَة ، والقَحَدَة ، والهَوْدَة ، يقال ابل لها هَوَد ضخام ، والعَرِيكَة والكِتْر ...)[٣٨] ومن هذا ايضا ما ذكره من اسماء مختلفة للعنق ونص على المعرب منها .[٣٩] كما ان هناك العديد من الالفاظ المختلفة التي جاءت بمعنى واحد في كتاب المطر[٤٠] وكتاب اللبأ واللبن[٤١] لابي زيد الانصاري . ومن الاشارات المفيدة التي نلحظها في هذه الالفاظ ان الرواة والعلماء يذكرون احيانا المعرب والدخيل منها ويشيرون في احيان اخرى الى ما جاء منها على سبيل اختلاف لغات القبائل في تسمية الشيء .

يضاف الى هذا كله ما نجده في كتب النوادر من مترادفات لا تعد . وقد اصاب الدكتور حسين نصار في وصفه هذه الكتب بانها كانت مولعة بايراد المترادفات[٤٢] ولا تنحصر الالفاظ المترادفة على كتب الموضوعات والنوادر فحسب ، بل نجد الكثير منها في ثنايا كتب الامالي ، كما في أمالي أو مجالس ثعلب ، وفي أمالي الزجاج والزجاجي ثم في أمالي القالي . فهذه

---

(٣٦) كتاب البئر لابن الاعرابي ، الصفحات : ٥٧ ، ٦٠ ، ٦٢ .

(٣٧) كتاب العسل والنحل ابو حنيفة الدينوري : مجلة المورد ، المجلد الثالث العدد الاول سنة ١٣٩٤ — ١٩٧٤ . ص ١١٩ — ١٢١ .

(٣٨) كتاب الابل للاصمعي : ضمن الكنز اللغوي في اللسن العربي : ص ٩٢ .

(٣٩) كتاب خلق الانسان للاصمعي : ضمن الكنز اللغوي في اللسن العربي : ١٩٨ .

(٤٠) كتاب المطر لابي زيد الانصاري : ضمن البلغة في شذور اللغة : ١٠٤—١٠٥

(٤١) كتاب اللبا واللبن لابي زيد الانصاري : ضمن البلغة في شذور اللغة: ١٤٣

(٤٢) المعجم العربي نشاته وتطوره : ١٤٧/١ .

الكتب مليئة بالالفاظ المختلفة التي وقعت على معنى واحد . وقد اقتبس السيوطي منها طائفة وساقها أمثلة للترادف في مزهره[٤٣] . ونكتفي بالاشارة اليها خشية الاطالة .

بقي ان نشير الى الادباء الذين لمحوا ظاهرة الترادف في اللغة وذلك قبل القرن الرابع الهجري ، ومن هؤلاء صالح بن جناح)[٤٤] في قوله : (اعلم ان العرب قد تجعل للشيء الواحد اسماء وتسمي بالشيء الواحد اشياء ...)[٤٥] كما عرض لها الجاحظ وعللها)[٤٦] .

وهكذا يتحقق عندنا ان العلماء والرواة القدامى قد فطنوا الى فكرة الترادف في اللغة ، معبرين عنها بتسميات وعبارات متقاربة ، ناهيك عن تمثلها في تصانيفهم بصورة لاتقبل الشك كما أسلفنا . ولذا فالعجب من قول صاحب رواية اللغة الذي يزعم فيه ان أمثلة الرواة القدامى لا تدل على انهم كانوا يتصدون الترادف . وإنما كانوا يعنون الشيء وصفته ، والشيء وقريبه[٤٧] . ويغنينا في الرد عليه ما قاله المؤلف نفسه بعد ذلك بقليل : (ولكن الرواة الذين جمعوا اللغة وعنوا بالمعاني ، جمعوا الاسماء المترادفة كهذه التي يعنيها ابن جني الى جانب اخواتها مما كان صفة للشيء او معنى مجازيا له ....)[٤٨] وهذا هو الصحيح وليس القول الاول . اذ سبق ان بينا ان الرواة والعلماء الاوائل كانوا يخلطون في احيان كثيرة بين المترادف الحقيقي

---

(٤٣) المزهر : ١/٤٠٩ — ٤١٢ .

(٤٤) هو صالح بن جناح اللخمي الشاعر احد الحكماء ، حكى عنه ابو عثمان الجاحظ ، وكان ممن ادرك الاتباع بلا شك، وكلامه مستفاد في الحكمة. وهو شاعر كوفي . (ملخص عن تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٦/٣٦٧ وما بعدها ط ١ .)

(٤٥) رسائل البلغاء — محمد كرد علي — ص ٣٨٥

(٤٦) البيان والتبيين : ١/٢٠

(٤٧) رواية اللغة — عبدالحميد الشلقاني : ٣٢٥ — ٣٢٦

(٤٨) نفسه : ٣٢٧

وما هو غير ذلك ، قبل ان تحدد هذه الفكرة وتتضح شروطها ومعالمها بشكل اوضح فليس كل ما أوردوه ترادفا ، بل اشتمل على هذا وغيره . ويمكن القول بأن قدامى الرواة بنهجهم هذا ، لم يجمعوا المترادف فقط ، بل اكدوا هذه الظاهرة وكانوا من الاسباب في كثرتها والمبالغة فيها ، بما جمعوه ورووه من كثرة الالفاظ للمعنى الواحد .

وبهذا تهيأ الكثير من هذه المواد لاصحاب الترادف والمؤيدين له بعد ذلك لان يؤلفوا فيه ويغالوا الى حد لا يصدق ، معولين على حصيلة هذا الجمع الذي وضعه الرواة امامهم . كما اننا لا نرتاب في تحسس القدامى لفكرة الترادف ، فقد كانت طبيعية جدا وماثلة في اذهانهم وسلوكهم اللغوي . والذي تدلل به على هذا اضافة الى ما تقدم ، اننا نرى الكثير من العلماء والرواة الذين ساحوا في الجزيرة العربية وجابوا البوادي من اجل جمع اللغة وتدوين مفرداتها ، عن طريق مشافهة الاعراب ، نجد هؤلاء قد سجلوا ميدانيا عدة الفاظ مترادفة . قال ابو زيد : قلت لاعرابي : ما المُتَكَأْكِيء ؟ قال : المُتَأَزِّف ، قلت : وما المتأزف ؟ قال : المُحْبَنْطِيء ، قلت : وما المحبنطيء ؟ قال : انت احمق وتركني ومضى ، وذلك كله القصير[49] . وقد جاء تعليق الدكتور ابراهيم أنيس وجيها على هذا النص عندما رأى فيه : ان عالما جليلا كأبي زيد الانصاري كان لا يرى غضاضة في ان يعبر عن المعنى الواحد باكثر من لفظ ، بل كان فيما يظهر يؤمن ان الاعرابي قد يحتفظ في ذاكرته بالفاظ عدة للتعبير عن معنى واحد[50] . وفي آثار الاقدمين الشيء الكثير من هذا مما لا يمكن حصره . والطريف الغريب أننا كثيرا ما نجد ، حتى الذين انكروا الترادف أو تأولوه ، يروون لنا عدة كلمات مختلفة بمعنى واحد ، كما فعل ابن الاعرابي وتلميذه ثعلب وابن فارس وسوف يأتي تفصيل ذلك .

---

(٤٩) الجمهرة لابن دريد : ٢/٢٧١ ـ ٢٧٢ وعنه في المزهر : ١/٤١٣ . وانظر : نزهة الالباء لابن الانباري : ١٠٢ واخبار النحويين البصريين للسيرافي : ٥٦ . وقد وردت هذه الرواية في هذه المصادر بشيء من الاختلاف اليسير من حيث التقديم والتاخير في هذه الالفاظ .

(٥٠) في اللهجات العربية : ١٦٢ .

ان هذه الروايات والنصوص التي عرضنا لها ، تشهد على امكانية تعدد الالفاظ المختلفة للمعنى الواحد ، في طرائق الاستعمال اللغوي ، وتدل على التفات العلماء نحوها وادراكهم لجوازها في العرف اللغوي . لقد كانت هذه الفكرة من الوضوح في اذهان القدامى من العلماء والرواة مما جعل عالما كالاصمعي يفتخر امام الرشيد بانه يحفظ للحجر سبعين اسما[٥١] . وكذلك كانت من الشيوع مما جعلهم يستوحونها في تآليفهم ، فيفردون على هذا الاساس ابوابا ومصنفات خاصة ، ويدرجون تحت المعنى الواحد او المسمى الواحد كثيرا من الالفاظ المختلفة له ، كما رأينا ذلك في كتاب الاصمعي وكتاب الغريب المصنف وكتب الموضوعات الاخرى وفي كتب النوادر والامالي . بل ان كتب التراجم تذكر للمبرد كتابا بعنوان : « اسماء الدواهي عند العرب »[٥٢] والكثرة من هذه الالفاظ التي دونها الاوائل وقالوا انها بمعنى واحد ، هي التي عرفت فيما بعد بالمترادفات ، وآلت الى اصحاب الترادف وجامعيه فصارت اساسا يعولون عليه ويضيفون له الكثير كما اشرنا الى ذلك .

وصفوة القول ان فكرة الترادف قد كانت من جملة الظواهر اللغوية الاولى التي تنبه اليها العلماء والدارسون العرب في وقت مبكر نتيجة ملاحظاتهم للواقع اللغوي وان هذه الفكرة لم تكن غريبة على الحس اللغوي العام . وقد اتضحت عندهم بعد تدوين مفردات اللغة ومحاولة تصنيفها ودرسها ، ونتيجة النظر والتأمل في هذه المفردات ، لاحظ العلماء عدة ظواهر لغوية كالاشتراك والاضداد والقلب والابدال والترادف ... وغيرها ، فشرعوا يصنفونها ويبحثون فيها .

واما الخلاف في هذه الفكرة فيرجع الى القرن الثالث الهجري على وجه التحديد . اذ اننا لا نلحظ اي خلاف او جدل بشأنها قبل هذا العصر .

---

(٥١) الصاحبي لابن فارس : ٤٤

(٥٢) الفهرست لابن النديم : ص ٩٤ ، وانباه الرواة للقفطي : ٣/٢٥٢ ، ومعجم الادباء لياقوت الحموي : ١٩/١٢٢

فكل الدلائل تشير الى ان علماء اللغة كانوا يسلمون بالترادف ولا يرونه محل نزاع في القرن الثاني الهجري . ولذلك فنحن نتفق مع الدكتور ابراهيم انيس الذي ذهب الى مثل هذا[٥٣] ؛ بيد ان الدكتور انيسا والدكتور صبحي الصالح[٥٤] قد بدءا بذكر ثعلب في انكار الترادف والقول بالتباين في المترادفات . ولسنا نوافقهما الرأى في ذلك . وعندنا ان ابن الاعرابي هو أول من ذهب هذا المذهب ، فهو القائل : (كل حرفين اوقعتهما العرب على معنى واحد ، في كل واحد منهما معنى ليس في صاحبه ...)[٥٥] وقد تلاه في ذلك تلميذه ثعلب الذي روى عنه هذا النص ، مما يجعلنا نرجح ان ثعلبا استمد هذا من شيخه وتأثر به . ثم تابعهما في ذلك احمد بن فارس تلميذ ثعلب .

كما اننا نجد معظم الذين انكروا الترادف من القدامى والمحدثين قد عولوا على رأى ابن الاعرابي واستشهدوا به كثيرا . وسوف يأتي تفصيل ذلك . ومن منكري الترادف في القرن الرابع الهجري ابن درستويه وصاحب الفروق اللغوية ابو هلال العسكري وفي هذا القرن نفسه نجد ابن جني وابن خالويه وعلي بن عيسى الرماني وغيرهم يقولون بترادف الالفاظ في اللغة ويصنفون فيها .

هكذا بدأ النظر في هذه الظاهرة بتلك الملاحظات اللغوية البسيطة ، ثم تطور شيئا فشيئا ، كما مر بنا ، حتى اذا ما حل القرن الرابع الهجري ، اتسع البحث فيها وتشعب القول وكثر الجدل ازاءها . فظهرت عدة مصنفات بهذا الخصوص منها ما يتصل بالترادف ومنها ما يتصل بالفروق ؛ وبذلك اصبحت هذه الفكرة ملهمة للعلماء والدارسين في ضرب من التأليف والبحث فيها سلبا وايجابا ، وما زال الباحثون على هذه الحال حتى يومنا هذا .

---

(٥٣) في اللهجات العربية : ١٦٢

(٥٤) دراسات في فقه اللغة : ٢٤٣ .

(٥٥) المزهر : ١/٣٩٩ — ٤٠٠

مفهوم الترادف ، تطوره وتحديده :

اختلف مفهوم الترادف بمرور الزمن نتيجة توفر العلماء على التأمل في هذه الظاهرة وبسبب تباين مناهجهم ومذاهبهم في النظر اليها . فقد شارك في هذا كثير من علماء اللغة والاصول والفقه والمنطق قدامى ومحدثين . فما فتيء العلماء منذ ملاحظتهم هذه الظاهرة ، دائبين على البحث فيها والتنقير عنها بغية الوصول الى مفهوم دقيق لها ، مدلين بأقوالهم ووجهات نظرهم المتفاوتة التي جعلت هذه الفكرة تختلف ضيقا واتساعا لديهم . وما زال الحال على هذا النحو حتى وصل الامر الى المحدثين من علماء اللغة الذين حدوا الترادف وقيدوه بصورة اكثر ضبطا وصوابا مما نجده عند من سبقهم ، كما سنرى في نهاية هذا الفصل .

ولهذا ما كان لمفهوم الترادف ان يكون متطابقا عند جميع العلماء وعلى اختلاف العصور .

ولما كان الامر كذلك ، فقد بدا لي ان من المسائل المهمة في هذا البحث قبل كل شيء ، ضرورة تحديد فكرة الترادف وبيان المقصود منها على وجه الدقة وذلك كما اثبتها المحققون من العلماء .

تمثلت فكرة الترادف عندهم اول الامر في اختلاف الالفاظ للمعنى الواحد او للشيء الواحد ، وذلك قبل الاصطلاح عليها وتطور البحث فيها وتحديد مفهومها . كما مرّ بنا آنفا في تعبيرهم عنها باختلاف اللفظين والمعنى واحد تارة ، وبما اختلفت الفاظه واتفقت معانيه تارة اخرى ، أو بالاسماء المختلفة للشيء الواحد . فكل هذه التسميات والتعبيرات متقاربة في دلالتها على فكرة الترادف بصورة واسعة وبغير تحديد دقيق لها . لذلك احتوت الشواهد التي تمثلنا بها المترادف وغيره . اذ انها لم تقتصر على الالفاظ المفردة ، بل تجاوزتها الى العبارات والجمل المختلفة في الالفاظ التي تواردت على معنى واحد ، والى المجاز والكناية والمشترك والى ذكر انواع المسمى وصفاته واحواله في احيان اخرى .

وقد حاول العلماء بعد ذلك ان يجدوا هذه الفكـرة الشـاملة ، وان يضعوا لها بعض الاعتبارات اللغوية . فهم لم يرتضوا في الترادف مجـرد دلالة عدة كلمات مختلفة على معنى واحد او انصراف عدة اسماء الى مسمى واحد . بل يرون انه لابد من تحقق اعتبارات لغوية معينة حين النظـر الى هذه الظاهرة ، لتمييزها من غيرها واخراج ما ليس منها حقيقة .

وبهذا اصبحت فكرة الترادف عندهم أكثر وضوحا وتحديدا بعد تطور البحث اللغوي واتساعه ، ولم تعد كما كانت عليه عند الاقدمين منهم ، وهذا ما يتمثل لنا خير تمثل في تعريف التهانوى للترادف الذي نقله عنهم في قوله : (الترادف لغة ركوب احد خلف آخر ، وعند أهل العربية والاصول والميزان هو توارد لفظين مفردين او الفاظ كذلك في الدلالة على الانفراد بحسب اصل الوضع على معنى واحد من جهة واحدة . وتلك الالفاظ تسمى مترادفة .. ويقابل الترادف التباين)[٥٦] .

وهكذا ضيقوا من مفهوم الترادف وحدوه لئلا يختلط به غيره كما في التسميات السابقة الذكر . فقد ميزوه من الظواهر اللغوية الاخرى كالاتباع نحو حسن بسن ، وعطشان نطشان ، لان بعضهم قال بترادفهما ، ولكنهما خرجا بقيد الانفراد ، زد على ذلك ان شروط الاتباع في الوزن وعدم افادة التابع معنى اذا كان منفردا تختلف عن فكرة الترادف وما ينبغي ان يتحقق فيها من اعتبارات خاصة . كذلك أخرجوا منه التوكيد بنوعيه اللفظي والمعنوى . كما اخرجوا منه الالفاظ الدالة على معنى واحد مجازا والتي يدل بعضها مجازا وبعضها حقيقة . وليس عندهم من الترادف ايضا تلك العبارات والجمل التي تواردت في الدلالة على معنى واحد من جهة واحدة نحو : الانسان قاعد ، والبشر جالس ، فمثل هذه وان كانت سواء في معناها ،

---

(٥٦) موسوعة اصطلاحات العلوم الاسلامية (المعروف بكشاف اصطلاحات الفنون) للتهانوي : ٥٧٨/٣ . وانظر ، المزهر : ٤٠٢/١ — ٤٠٣

الا انها ليست من الترادف في شيء بسبب اشتراطهم الانفراد في الكلمات المترادفة[٥٧] . وهذه من قبيل التراكيب .

وعلى هذا يتبين لنا غلط بعض الباحثين في اعتبار الترادف حتى في الجمل والعبارات . وقد فاتهم ان ليس هناك ترادف في الجمل والعبارات بالمعنى الاصطلاحي الذي تواضع عليه المحققون من العلماء ، وان الترادف ينبغي ان يلتمس في الالفاظ المختلفة المنفردة . ونتيجة ذلك وقع هؤلاء في خلط عجيب وفوضى لا طائل تحتها لعدم اهتدائهم الى المفهوم الحقيقي للترادف ولشروط تحققه في اللغة . نعم ان الجمل والعبارات قد تتوارد على معنى واحد ، وهذا في الواقع من قبيل تنوع الاساليب البيانية في التعبير ، وليس ترادفا بمفهوم المصطلح اللغوي كما بيناه . واذا تجوزنا في اطلاق « الترادف » على مثل هذه الجمل والعبارات ، فهذا يختلف عن مفهوم الترادف في اللغة . ومما نستدل به على هذا أننا نجد احيانا من يصف اسلوب بعض الكتاب بان جمله مترادفة . ومثال ذلك ما جاء في حديث المستشرق يوهان فك عن كتاب جواهر الالفاظ لقدامة بن جعفر وملاحظته الجمل المترادفة فيه[٥٨] . وكما جاء لدى كثير من الباحثين واصفين بها طرائق بعض الكتاب في التعبير . وهنا يمكن القول بأن الترادف في مثل هذه الحالة هو اصطلاح ادبي نقدي ، اذا ما صح التعبير ، وليس مصطلحا لغويا ، اذ يقصد به ان تتابع الجمل والعبارات المختلفة في التعبير عن المعنى الواحد .

يضاف الى هذا ان طبيعة الخلاف والجدل الذي نشب بين العلماء حول الترادف في اللغة ، لم يتناول الجمل والعبارات ، وانما كان يتصل بالالفاظ وهي منفردة . بل لا نكاد نجد خلافا حول امكانية التعبير عن المعنى الواحد بعدة جمل وتعابير مختلفة .

بعد هذا نجد من العلماء القائلين بوقوع الترادف من يقسم هذه الظاهرة

---

(٥٧) المصدر السابق : ٥٧٨/٣ ـ ٥٧٩ . والمزهر : ٤٠٢/١ ـ ٤٠٣ .
(٥٨) العربية ـ يوهان فك : ١٤٦

قسمين ، حيث نقل السيوطي عن بعضهم (قال الكيا في تعليقه في الاصول : الالفاظ التي بمعنى واحد تنقسم الى الفاظ متواردة والفاظ مترادفة ، فالمتواردة كما تسمى الخمرُ عُقَارا وصهباء وقهوة ، والسبع اسدا وليثا وضرغاما . والمترادفة هي التي يقام لفظ مقام لفظ لمعان متقاربة يجمعها معنى واحد ، كما يقال : أصلح الفاسد ولم الشعث ، ورتق ألفتق ، وَشَعَبَ الصَّدع ..)[٥٩] ونرى ان الكيا في تقسيمه هذا ، قد عكس الامر حقا ، اذ انه اعتبر الترادف في العبارات والجمل وجعل التوارد في الالفاظ المفردة المترادفة وهذا خلاف ما ذهب اليه غالبية العلماء وما عرف عنهم . حيث لا اشكال لديهم في شأن الالفاظ المتقاربة المعنى وفي العبارات والجمل المتواردة على معنى واحد فهذه ليست موضع خلاف في اللغة ، وانما اختلفوا في الالفاظ المفردة الدالة على معنى واحد ، اي المترادفة . ولو كان الامر كذلك لانتفى الخلاف بينهم . وقد انفرد الكيا في تقسيمه هذا على ما يبدو ، وجرى العلماء القدامى على البحث عن الترادف في الالفاظ المفردة وليس في العبارات والجمل المركبة ، ولم يلتفتوا الى قوله ويأخذوا بما صرح به . وقد عقب السيوطي على هذا الوهم بقوله : (وهذا تقسيم غريب)[٦٠] ازاء هذا فنحن مع الدكتور ابراهيم أنيس بأنه لايعنينا هنا الاالبحث في الكلمات ، ولا ننظر الا الى ما سماه في تقسيمه بالالفاظ المتواردة ، وهي التي اصطلح معظم العلماء على تسميتها بالمترادفات[٦١] .

ومما تقدم يتضح لنا وهم احد الباحثين المحدثين[٦٢] عندما قال ان السيوطي يدعو الترادف بالتوارد وان الترادف في نظره هو ان يقام لفظ مقام لفظ لمعان متقاربة يجمعها معنى واحد كما في النص السابق ... وهذا ليس

---

(٥٩) المزهر : ١/٤٠٦ — ٤٠٧ .
(٦٠) المصدر السابق : ١/٤٠٧ .
(٦١) في اللهجات العربية : ١٦٣
(٦٢) في اصول اللغة والنحو : ٢٤ حاشية .

بتصحيح قطعا لان السيوطي لم يقل بهذا قط . وكل ما فعله انه نقل لنا مقولة الكيا السابقة الذكر . بل ان السيوطي نفسه قد استغرب هذا الرأى ، معقبا عليه بقوله : وهذا تقسيم غريب ، كما ذكرنا .

وعلى هذا يتحقق عندنا ما ذهبنا اليه من أنه لا ترادف في الجمل والعبارات بالمعنى الاصطلاحي اللغوي لمفهوم الترادف الصحيح . ويثبت هذا ما قرره العلماء من ان الترادف انما هو من خواص المفردات . ومع هذه الحقيقة فاننا نجد طائفة من الباحثين المحدثين قد تابعوا الكيا في وهمه هذا ، ولا ندري أكان ذلك عن وعي وقصد او عن جهل وسهو . فلقد اعتبر هؤلاء الالفاظ المتقاربة في المعنى ترادفا وكذلك الجمل والعبارات ، وخلطوا بين التوارد والترادف كثيرا ؛ وذلك كما فعل صاحب كتاب نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد وصاحب غرائب القاموس العربي وصاحب المترادفات والمتجانسات وغيرهم كما سنبين ذلك بالتفصيل .

وقد سمي نفر من المحدثين الترادف تسمية أخرى ، بخلاف ما اتفق عليه معظم العلماء . فقد ذهب هؤلاء الى تسمية الترادف بـ « المشترك المعنوي »[٦٣] والذي نراه في هذا انهم قد قصدوا بها مقابلة المشترك اللفظي الذي هو ضد الترادف تماما . ونحسب ان هذه التسمية المستحدثة ليست دقيقة في اطلاقها على ظاهرة الترادف ، لان مفهوم الترادف الحقيقي في عرف العلماء قائم على دلالة الفاظ مختلفة على معنى واحد بصورة مستقلة على سبيل الانفراد ، وليس على جهة الاشتراك كما هو في المشترك اللفظي . زد على ذلك ان مفهوم المشترك المعنوي عند القدامى مغاير لهذا ولا يعنون به الترادف . يقول التهانوي : (الاشتراك في عرف العلماء كأهل العربية والاصول والميزان ، يطلق بالاشتراك على معنيين احدهما كون اللفظ المفرد موضوعا لمفهوم عام مشترك بين الافراد ويسمى اشتراكا معنويا وذلك اللفظ يسمى

---

(٦٣) علم اللغة ـ د . علي عبدالواحد وافي : ٢٥٥ ـ وانظر : مقدمة كتاب شجر الدر لابي الطيب اللغوي ، لمحققه محمد عبدالجواد : ٣٩ .

مشتركا معنويا ...)[٦٤] ومثل هذا ايضا ما جاء عند علماء الاصول ، حيث لا يريدون بالمشترك المعنوي الترادف ويفرقون بينهما[٦٥] .

بهذه الاعتبارات والحدود حصر العلماء القدامى الترادف ، فصار اكثر ضبطا وتحديدا من ذي قبل ، وقد وفقوا في ذلك الى حد ما . الا اننا نلحظ انه على الرغم من الجهود الكثيرة التي بذلوها في هذا الشأن ، فقد بقي مفهوم الترادف عندهم يتسع لكثير من الالفاظ ويسمح لطوائف اخرى بالدخول في هذه الظاهرة . وقد ادى هذا الى الخلط والاضطراب في بحوثهم والى جدل كثير حول جواز الترادف في الفاظ كثيرة حتى عند القائلين بالترادف ، اضافة الى الغلو فيه .

واذ تأمل المترادفات التي اوردوها نجد ان مفهوم الترادف الذي قرروه لا يصدق كثيرا اذا ما حاولنا تطبيقه على طائفة كبيرة من الالفاظ التي عدت من المترادف عندهم . فقد اورد معظم الذين جمعوا المترادف كثيرا من الالفاظ الخارجة عن الحد الذي شرطوه للترادف ، كما هي الحال في « الالفاظ المترادفة » للرماني ، وفي مترادفات الفيروز آبادى وأمثلة السيوطي وغيرها . فلو رجعنا الى المعاجيم للكشف عن هذه ، لوجدنا فروقا في الدلالة بين طائفة كبيرة منها . وهذا ما يدلل على ان جامعي الترادف ولاسيما المتأخرين منهم ، لم يلتزموا عمليا بمفهوم الترادف الصحيح في كل الاحوال . ونعني بذلك مسالة الاتفاق في المعنى التي ذكرها ابن فارس وثبتها الجرجاني وابن الاثير وفخر الدين الرازي والتهانوي في تعريفهم للترادف . ولعل الدافع الاساسي للخروج عن هذا التحديد يكمن في التفاخر والمباهاة بجمع أكبر عدد ممكن من اسماء الشيء الواحد ، وهذا يعني ان جمعهم لهذه الالفاظ لم يكن يهدفون فيه الى غاية لغوية معينة . ولنا عود الى هذا في الفصل الخاص بكثرة المترادفات واسباب المبالغة فيها .

---

(٦٤) موسوعة اصطلاحات العلوم الاسلامية : ٧٧٦/٢

(٦٥) اصول الفقه ـ محمد الخضري : ١٥٨

الترادف عند الاصوليين والمناطقة :

لقد شارك الاصوليون والفقهاء والمناطقة علماء اللغة في البحث عن العديد من المسائل اللغوية المهمة . اذ لا يخفى ان هناك علاقة بين اللغة وعلم الاصول والمنطق . فقد شعر العلماء من الاصوليين والمناطقة بحاجتهم الى اللغة في كثير من القضايا والاحكام وطرق الاستدلال ، اذ لا يمكن التوصل الى ذلك الا عن سبيل اللغة وفهمها وادراك اسرارها . ومن هنا كانت الصلة وثيقة بين اللغة من جهة وعلم الاصول والمنطق من جهة اخرى ، لكونها الاداة التي يصطنعونها في مباحثهم ويتوقف عليها كثير من الاحكام والقضايا ... ولهذا كله نراهم قد نظروا في كثير من الظواهر اللغوية وناقشوها فيما يسمى عندهم بمباحث الالفاظ والتصورات ، ومن ذلك ظاهرة الترادف . فقد قسموا الالفاظ بحسب دلالتها على اقسام كثيرة متشعبة ، ووضعوا لها الاصطلاحات المختلفة مما لا مجال لذكره هنا .

والذي يعنينا من هذا ان علماء الاصول والمنطق قد عرضوا لظاهرة الترادف وتحدثوا عنها كثيرا في مباحثهم تلك وفي تقسيماتهم للاسماء وانواعها المختلفة ناظرين اليها في اكثر الاحيان وفق مناهجهم العقلية والمنطقية .

لقد ناقش الاصوليون الترادف وحدوه بقولهم : (هو الالفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد) .[٦٦] او هو تعدد اللفظ مع اتحاد المعنى مفهوما وما صدقا كبرّ وحنطة ، وانسان وبشر[٦٧] . وقد فرقوا بينه وبين الاتباع والتوكيد واخرجوهما منه . وقد ذهب الجمهور منهم

(٦٦) المزهر ــ السيوطي : ١/٤٠٢ ــ ٤٠٣ . ثم ينظر : نهاية السول في شرح منهاج الاصول ــ جمال‌الدين عبدالرحيم بن الحسن الاسنوي : ٢/١٠٤ ــ ١٠٥ ، وكذلك : ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول للشوكاني ص ١٨ــ١٩ .

(٦٧) حاشية العطار على جمع الجوامع ــ حسن العطار ــ : ١/٢٧٩ ، ثم انظر : تيسير اصول الفقه ــ بدر المتولي عبدالباسط ص ٢٤٣ ــ ٢٤٤ .

الى القول بوقوعه وباثباته في اللغة وعجبوا من نسبة المنع الى بعض اللغويين مثل ثعلب وابن فارس مع توسعهما في هذا العلم • فهم يرون ان الترادف لا يمتنع عقلا ، ولا شك في جواز وقوعه ، أما من لغتين كالعربية والفارسية فهو عندهم معلوم بالضرورة ، او من لغة واحدة كالحنطة والبر والقمح • ولذلك ردوا على المنكرين له فيما احتجوا به وانحوا باللائمة عليهم ، وقالوا ببطلان آرائهم وبفسادها وبأن تعسفات الاشتقاقيين في انكاره لا يشهد لها شبهة فضلا عن حجة •

كما انهم رأوا في فروقهم في مثل الانسان والبشر ، والخمر والعقار ، الجلوس والقعود ، تكلفا ظاهرا وتعسفا بحتا ، واذا أمكن تكلف مثلها في بعض المواد المترادفة فانه لا يمكن في اكثرها[٦٨] • يقول الامدي في الرد على المانعين له مبينا كيفية وقوعه : (ذهب شذوذ من الناس الى امتناع وقوع الترادف في اللغة ، مصيرا منهم الى ان الاصل عند تعدد الاسماء تعدد المسميات ، واختصاص كل اسم بمسمى غير مسمى الاخر ••• وجوابه ان يقال لا سبيل الى انكار الجواز العقلي ، فانه لا يمتنع عقلا ان يضع واحد لفظين على مسمى واحد ، ثم يتفق الكل عليه • أو ان تضع احدى القبيلتين احد الاسمين على مسمى ، وتضع الاخرى له اسما آخر ، من غير شعور كل قبيلة بوضع الاخرى ثم يشيع الوضعان بعد ذلك • كيف وان ذلك جائز بل واقع بالنظر الى لغتين ضرورة فكان جائزا بالنظر الى قبيلتين)[٦٩] • ونقل السيوطي قول التاج السبكي في شرح المنهاج وهو يسفه فيه حجج المنكرين للترادف ويصمهم بالتكلف في اظهار الفروق بقوله : (ذهب بعض الناس الى انكار المترادف في اللغة العربية ، وزعم ان كل ما يظن من المترادفات فهو من المتباينات التي تتباين بالصفات كما في الانسان والبشر ، فان الاول موضوع له باعتبار النسيان ، او باعتبار أنه يؤنس والثاني باعتبار انه بادي البشرة •

---

(٦٨) ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول ـ الشوكاني : ص ١٨ــ١٩ ثم انظر المزهر للسيوطي : ١/٤٠٢ ـ ٤٠٣ •

(٦٩) الاحكام في اصول الاحكام للامدي : ١/٣٠ ـ ٣١ •

وكذا الخندريس والعقار ، فان الاول باعتبار العتق ، والثاني باعتبار عَقْر الدّنْ لشدتها . وتكلف لاكثر المترادفات بمثل هذا المقال العجيب .)[٧٠]

من هذا نرى انه لا اشكال في وقوع الترادف في نظر علماء الاصول ، بل ثمة من لا يرى منهم حاجة الى الاستدلال على وقوعه ولا يرى معنى لاقامة البرهان على جوازه في اللغة وذلك بعد تحقق وقوعه كالبر والقمح ، والقعود والجلوس وغيرها مما لم يجعله نقلة اللغة محل خلاف ، كما ان العقل لا يحيل جواز الوقوع ، وأن الواقع يؤيد الوقوع . ولذا فالاشتغال باثبات ذلك ودفع هذا عبث فلا يصغى الى مقالة من انكره ، لان ذلك مكابرة ومباهتة .[٧١] وعلى الرغم من قول أهل الاصول بوقوع الترادف في اللغة والقرآن الكريم والسنة النبوية ، فقد اختلفوا في ايقاع كل من المترادفين مكان الاخر ، حيث ذهبت طائفة منهم الى القول بالجواز في حين ذهبت الاخرى الى المنع ، ولكن المحققين منهم اجازوا ذلك وقيدوه بالمانع الشرعي . واما بالنسبة الى القرآن الكريم فقد اقروا بوقوع الترادف في الفاظه ، ولكن لا يجوز عندهم ان يحل لفظ مكان لفظ مهما كان الترادف تاما وقويا ، وذلك لان القرآن الكريم لفظه ومعناه من عند الله تعالى ، والمتعبد بتلاوته ، والمانع هنا شرعي[٧٢] .

وقد فسر أهل الاصول وقوع الترادف في اللغة بتعدد الوضع ، وذلك اما ان يكون على سبيل لغات القبائل المختلفة ، وهو السبب الاكثر لديهم وهذا مبني على كون اللغات اصطلاحية ، او ان يكون من واضع واحد

---

(٧٠) المزهر : ٤٠٣/١ ثم ينظر حاشية العطار على جمع الجوامع ٢٧٩/١ وارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول ص ١٨ — ١٩ .

(٧١) تيسير اصول الفقه ـ بدر المتولي عبدالباسط : ص ٢٢٨ ثم انظر اصول الفقه ـ محمد رضا المظفر : ٣١/١ واصول الفقه ـ محمد الخضري : ص ١٥٧ .

(٧٢) اصول الفقه ـ محمد الخضري ـ ص ١٥٧ — ١٥٨ . ثم انظر : تيسير اصول الفقه ـ بدر المتولي عبدالباسط ص ٢٢٨ — ٢٢٩ .

وهو الاقل[٧٣] • وقد ذهب بعضهم يلتمس لوقوعه تعليلات منطقية وحججا كلامية مختلفة مما ليس مكانه البحث اللغوي الوصفي •

كذلك تحدثوا عن فوائده ورأوها في تكثير وسائل التعبير وفي التوسع في سلوك طرق الفصاحة وأساليب البلاغة نظما ونثرا وذلك لان اللفظ قد يتأتي باستعماله مع مرادفه السجع والقافية والتجنيس والترصيع وغير هذا من ضروب البديع • كما انهم قد قالوا بفوائده بالنسبة للالثغ وفي ايضاح او تعريف الغامض والخفي والمبهم ، وفي توكيد المعنى ، (لان الحاجة تدعو الى تاكيد المعنى والتحريش والتقرير ، فلو كرر اللفظ الواحد لسمج ومج • ويقال : الشيء اذا تكرر تكرج ، والطباع مجبولة على معاداة المعادات ، فخالفوا بين الالفاظ والمعنى واحد •)[٧٤] وعموما فانهم قد اعترفوا بمعظم فوائده التي ذكرها اللغويون •

ولا يفوتنا ان نشير الى ان من الاصوليين من جاء بتقسيم غريب – على حد قول السيوطي – للالفاظ التي هي بمعنى واحد • حيث قسمها الكيا الهراسي الى الفاظ متواردة والفاظ مترادفة جاعلا الترادف في العبارات والجمل نحو : أصلح الفاسد ، ولم الشعث ، ورتق الفتق وشعب الصدع ••• والتوارد في الالفاظ المفردة المترادفة نحو : عقار وصهباء وقهوة للخمر ••• وقد سبق لنا ان ناقشنا ذلك وبينا انفراد قائله بهذا الرأى وعزوف العلماء عن الاخذ به وهنا نضيف الى ما تقدم ان هذا الوهم مردود بقولهم :

(قعدت خوفا وجلست فرقا ، فان هذين التركيبين ليسا مترادفين لان الترادف من خواص المفردات) •[٧٥]

---

(٧٣) حاشية العطار على جمع الجوامع : ١/٣٧٩ ، ثم انظر المزهر للسيوطي ١/٤٠٥ – ٤٠٦

(٧٤) المزهر : ١/٣٦ – ٣٧

(٧٥) نهاية السول في شرح منهاج الاصول – عبدالرحيم بن الحسن الاسنوي : ٢ / ١٠٧ •

ومما يلاحظ على مبحث الترادف عند الاصوليين انهم اخرجوا منه طائفة من الالفاظ التي قال بعض اللغويين بترادفها ، وذلك كاسم الشيء وصفاته نحو السيف والصارم والحسام والمهند ... فعندهم ان السيف هو اسم للذات والبواقي صفات له ، وهي وان دلت على مسمى واحد ولكنه باعتبارات مختلفة[٧٦] ، وكذلك ليس من الترادف الصفة وصفة الصفة كالناطق والفصيح ، وقد سموها « المتباينة المتواصلة »[٧٧] والواقع ان هذا ناتج بسبب الخلاف في نظرهم الى الترادف اهو الاتحاد في المفهوم أم الاتحاد في الذات ... ؟ يقول الشيخ عزالدين بن جماعة في شرح جمع الجوامع مبينا خلافهم في مثل هذه الالفاظ : (والحاصل أن من جعلها مترادفة ينظر الى اتحاد دلالتها على الذات ، ومن يمنع ينظر الى اختصاص بعضها بمزيد معنى ، فهي تشبه المترادفة في الذات والمتباينة في الصفات .)[٧٨] وعلى اية حال فان الكثرة منهم لم تقل بترادفها كالامدي والرازي والغزالي وغيرهم . وقد ذهب بعض المتأخرين منهم الى انه ينبغي ان يكون هذا قسما آخر ، سموه « المتكافئة » ومن هذا النوع أسماء الله تعالى كغفور ورحيم وقدير .. وكذلك أسماء رسوله[٧٩] .

وقد تابع أهل الاصول معظم اللغويين القدامى عندما توهموا الترادف في الفاظ ليست مترادفة حقا وذلك نحو : البهتر والبحتر للقصير[٨٠] ، وغير هذا من الصيغ المختلفة للكلمة الواحدة التي نشأت بسبب الابدال او القلب او غير ذلك .

واما المناطقة فقد عرضوا للترادف أيضا في مباحثهم للالفاظ وفي تصنيفهم

---

(٧٦) المستصفى من علم الاصول ـ الغزالي : ١/٣١ ـ ٣٢
(٧٧) المزهر : ١/٣٦٨
(٧٨) نفسه : ١/٤٠٥ ـ ٤٠٦
(٧٩) نفسه : ١/٤٠٥
(٨٠) الاحكام في اصول الاحكام ـ الامدي ١/٢٤

للاسماء من حيث الدلالة . وقرروا انه قد يكون المعنى واحدا ، وتتعدد الالفاظ التي تدل عليه كما هو في الحيوان الزئر ، فان له عدة الفاظ تدل عليه هي أسد وليث وهزبر وسبع وضيغم وغضنفر وغيرها . فكل هذه الالفاظ متحدة في المعنى ومن ثم فهي مترادفات Synonyms وعليه يكون الترادف عندهم هو ما تعدد لفظه واتحد معناه كأسد وسبع ، واصبع وبنان ، وقلم ويراع . ان مثل هذه الالفاظ مترادفة في نظرهم لانها متحدة في المفهوم ، وعليه كانت متحدة في (الماصدق) على حد تعبيرهم(٨١) .

واذا كان الاصوليون قد اعتمدوا الادلة العقلية والنقلية في اثبات الترادف ، فان المناطقة قد عولوا في ذلك كثيرا على الواقع اللغوي واقتبسوا منه عدة أمثلة فقد سجلوا لنا كلمات مترادفة مما جرى في الاستعمال بين الناس ، كما ورد في تقسيمات ابن حزم للاسماء حيث يقول : (والرابع ان يكون المسمى يوافق المسمى في حده ، ويخالفه في اسمه ، مثل قولنا : سنور وضيون وهر ، فان هذه الفاظ مختلفة ، وهي كلها واقعة وقوعا واحدا على كل شخص من اشخاص النوع المتخذ في البيوت لصيد الفأر الذي يلح في السؤال عند الاكل ، وتشبه الاسد في خلقه . وهذا النوع من الاسماء يسمى المترادفة(٨٢)) .

ومن الجدير بالذكر هنا ان فكرة الترادف ليست بغريبة ولا بجديدة عند اصحاب المنطق ، اذ اشار اليها ارسطو واضع المنطق من قبل ، في مباحث التصورات التي تتصل بكثير من المسائل اللغوية ، كذلك ذكرها في تقسيماته للاسماء وفي باب الحدود . لقد لاحظ ارسطو تعدد الاسماء الكثيرة للمعنى الواحد وقرر انه يمكن ان يقال الشيء بعينه متى كانت الاسماء له كثيرة والمعنى واحدا بعينه وذلك بمنزلة الثوب والرداء(٨٣) ، وعنده ان كلمات مثل

---

(٨١) علم المنطق — احمد عبده خيرالدين — ص ٣٣ وص ٦٠
(٨٢) التقريب لحد المنطق والمدخل اليه — ابن حزم ص ٣٧
(٨٣) منطق ارسطو : ٢/٧٩ — ٨٠ . تحقيق الدكتور عبدالرحمن بدوى .

الفرح والطرب والسرور كلها اسماء لمعنى واحد هو اللذة[٨٤] .

وقد عد ارسطو الترادف وسيلة لحد الشيء في البسائط ، اذ ان الذي يغير الاسم قد حد الشيء ، مثال ذلك ان يجعل بدل « الثوب » « رداء » ؛ ومثل قولنا : اللائق جميل ؛ وهكذا فكل ما يجري هذا المجرى ينبغي عنده ان نجعله داخلا في باب الحد ، وينبغي لذلك ان تبدل الاسماء بالاسماء اذا كان معناها واحدا . الا انه من اعظم الخطأ ان نجعل التبديل باسماء لا تعرف ومثال ذلك ان نجعل مكان حجر أبيض : جندل بلجاء ؛ فما قيل بهذا الطريق لم يجد وهو أقل بيانا[٨٥] . ولقد ذكر ارسطو ان الترادف مفيد للشاعر[٨٦] .

ومن هذا نرى ان ارسطو ينظر الى مرادف الكلمة على انه تعريف لها ، مقيدا ذلك بضرورة كون المرادف أعرف واوضح من الكلمة المراد تعريفها وهكذا يتبين لنا كيف تمثلت فكرة الترادف في منطق ارسطو بهذه الصورة ، في حين اكتفى بعض الباحثين المحدثين بالاشارة فقط الى هذا الامر ، دون ان يوضح ذلك[٨٧] .

بعد هذا نجد ان من انواع التعريف لدى المناطقة ، التعريف بالمرادف . حيث اصطنعوه سبيلا لتعريف الشيء وحده واكثروا القول في هذا النوع وزادوه تفصيلا وبيانا . ويبدو انهم قد تابعوا ارسطوا في هذا . فقد ذكر الاستاذ جونسون ثلاثة انواع من التعاريف ومنها التعريف بالمرادف (Biverhal Definition) وهو تعريف الشيء بمرادف اوضح منه[٨٨]

---

(٨٤) نفسه : ٢/٥١٨ .

(٨٥) نفسه : ٢/٦٦١ ، ٤٧٤ – ٤٧٥

(٨٦) The works of Aristotle translated into English under the editorship of W.D. Ross, Volume XI Book III, P. 1404-1405a.

(٨٧) المنطق الصوري منذ ارسطو وتطوره المعاصر – د . علي سامي النشار ص ٥٢

(٨٨) Johenson : Logic I, p. 289. عن المنطق الصوري ص ١٥٠ حاشية

وقد قال بهذا كثير من المناطقة والباحثين . وذلك بان نعرف المجهول او الغامض او الخفي بما هو معلوم أو بما هو اوضح منه بذكر مرادفه كتعريف الغضنفر بالاسد والبنان بالاصبع واليراع بالقلم او كأن تقول : البر هو القمح والسجنجل هي المرآة . وقد سمى المناطقة هذا النوع من التعريفات « التعريف اللفظي »(٨٩) .

وهم يرون في هذا النوع من التعريفات ان المرادف قد استخدم ليرمز بدقة للمعرف ؛ بحيث يمكن استبدال احدهما بالاخر . فهما متكافئان ومتساويان منطقا ودلالة ؛ ولا فرق بينهما الا من جهة كون المرادف أشهر واوضح ؛ وذلك لان التعريف عندهم هو دائما معادلة(٩٠) . وعلى هذا الاساس اجازوا منطقا ان تعرف الكلمة بذكر مرادفها ؛ وجعلوه احدى طرائقهم في التعريف وذلك لادراك المفرد وتصوره ومعرفته .

ان هذه الوظيفة المنطقية للترادف عدها اللغويون والاصوليون من فوائد الترادف في اللغة . ولا شك ان المعاجم العربية قد نهجت هذا السبيل في تفسير وبيان دلالة الكثير من الكلمات . فالمترادفات وان كانت واحدة من حيث الدلالة الا انها تتفاوت في الشهرة والاعلمية والوضوح بالنسبة للناس ؛ وذلك كأن يكون بعضها اشهر واعرف من الاخر . ولهذا تبرز الحاجة اللغوية الى معرفة المجهول وبيان الخفي وتفسير الغامض بمرادفه المعلوم والاكثر شيوعا .

ان هذه الحاجة اللغوية للترادف ـ الوظيفة المنطقية عند أهل المنطق ـ قد ذهب اليها ايضا اصحاب المذهب الوضعي ؛ فهي عندهم من قبيل التعريف الاسمي وضرب منه ؛ وقد اطلقوا عليها ؛ اسم « التعريف القاموسي » الذي هو ايضا يعرف الكلمة بمرادفها ؛ معتمدا في ذلك على الاستعمال القائم فعلا

---

(٨٩) علم المنطق ـ احمد عبده خيرالدين ص ٥٥ ثم انظر : المنطق التوجيهي ابو العلاء عفيفي ص ٢٨

(٩٠) المنطق ومناهج البحث ـ محمد فتحي الشنيطي ـ ص ٧١

بين الناس[٩١] . وسبيلهم الى هذا هو استبدال لفظ معلوم بلفظ مجهول ، بحيث يجيء المعلوم مساويا في الاستعمال الجاري للفظ المجهول . وعليه كان التعريف القاموسي عندهم يقوم على اساس فكرة الترادف في الالفاظ وذلك لانه طريقة لتفسير اللفظ بما يرادفه معنى اذا كان هذا المرادف معلوما لمن يفسر له اللفظ المجهول كما في تفسير الليث بالاسد في العربية[٩٢] .

وقد توسع الوضعيون كثيرا في هذا الضرب من التعريفات فكل لفظة في اللغة يمكن تعريفها بحذفها ووضع ما يساويها ، لا فرق في ذلك عندهم بين لفظة واخرى ؛ كما انهم لم يقصروه على الالفاظ المفردة ، بل شمل العبارات ايضا . ولكن برغم توسعهم هذا ؛ فانهم قد اصابوا في نظرتهم الى التعريف القاموسي بوصفه حالة تاريخية ، وذلك لانه تسجيل للكلمات بحسب استعمال الناس لها في ظروف معينة . فاذا قلنا ان اللفظ « س » معناه مرادف للفظ « ص » فهذا يعني تسجيلا تاريخيا لحالة قامت بالفعل فيما مضى ، وقد تكون قائمة اليوم كذلك. وليس لنا ان نقرر تعريف اللفظةبما يساويها ان نضيف شيئا من عندنا او نحذف شيئا ، اذ ان الناس يستعملون هذه الكلمة على هذا النحو ، وهم يستعملونها بحيث تساوي كذا من الكلمات الاخرى . فاذا استعملوا مثلا كلمة مقعد وكلمة كرسي بمعنى واحد ، كانت الواحدة منهما تعريفا قاموسيا للاخرى .

ولما كانت المعاني القاموسية للكلمات تسجيلا لما يجري به الاستعمال بين جماعة من الناس ، ولهذه الجماعة أن تغير كيف شاءت من طريقة استعمالها للكلمات فان معانيها القاموسية تتغير تبعا لذلك ؛ فلذلك اوجبوا ضرورة تقييد هذا التعريف بزمان معين ومكان معين ، لانه يجوز ان يتغير التعريف باختلاف الزمان والمكان . فليست المعاني القاموسية بالحقائق الثابتة ثباتا مطلقا كجدول الضرب في الحساب[٩٣] .

---

(٩١) المنطق الوضعي — زكي نجيب محمود — : ١٢٨/١

(٩٢) نفسه : ١٢٥/١ — ١٢٦

(٩٣) نفسه : ١٢٨/١ — ١٢٩

يتضح لنا من هذا كله ان اصحاب المنطق الوضعي كانوا اكثر دقة من غيرهم في النظر الى هذا التعريف وفي فهم وادراك فكرة الترادف التي يقوم عليها . فقد اقتربوا كثيرا من حقيقتها عندما ربطوا هذه الظاهرة بتغير المعنى ولاحظوا فيها الجانب التاريخي . كما انهم قد عولوا في ذلك على الاستعمال ، وجعلوا صحة الترادف في الالفاظ هو الواقع اللغوي لا غير ، ومقياس الصواب او الخطأ هو الناس انفسهم وكيف يتفاهمون .

وبالاضافة الى هذا قالوا بضرورة تحقق التطابق التام في دلالة المترادفين ليكون التعريف صحيحا ودقيقا ، وهو ما عبروا عنه بالذاتية والتساوى . وخلاصة هذا ان يكون هناك بين المترادفين تطابق ذاتي في المعنى يجعل الواحد منهما مساويا في الاستعمال للاخر ، بحيث لو استعملنا الواحد مكان الاخر ، كنا كأننا استعملنا الكلمة نفسها مكان نفسها . وهذا ما اكده وبينه « مل » في شرحه لعلاقة الذاتية في الالفاظ والعبارات التي عنوا بها اتفاق المترادفين في المعنى او تساوى العبارتين . وقد رمزوا لها في المنطق الرياضي بهذه العلامة (=) . كذلك وردت هذه الفكرة فيما يسمى عندهم احيانا بقانون « ليبنتز » الذي هو في الواقع معيار او قانون لاثبات صحة الترادف في الالفاظ والعبارات من الوجهة المنطقية الرياضية . فمما يترتب على مؤدى هذا القانون الاتفاق التام في معنى الكلمات والعبارات المترادفة بحيث نعدها كالكلمة الواحدة او العبارة الواحدة ، فاذا ثبت لنا ذلك جاز لنا ان نضع المرادف مكان مرادفه في أي موضع ورد من السياق[٩٤] . وعندما طبق الوضعيون المنطق الرياضي على اللغة بدت لهم مسألة الترادف قضية تكرارية ، فهي لا تضيف الى علمنا شيئا جديدا لانها في حقيقة الامر تكرار للشيء نفسه او للمعنى الواحد نفسه ، في صورة لفظية اخرى . فقولنا الليث والاسد بمعنى واحد هو من قبيل الاتفاق على استعمال رمزين بمعنى واحد وذلك كقولنا (٦+٤=١٠) . فلا فرق بين ان تقول ان عندي « ٦+٤ » من

(٩٤) نفسه : ١/١٥٥ — ١٥٧

التروش وان تقول ان عندي «١٠» قروش . وكذلك في نظرهم القول : القاهرة = عاصمة جمهورية مصر العربية . اسمان مختلفان لمسمى واحد ، ولذا فيهما مترادفان وتستطيع ان تضع الواحد مكان الاخر حيثما وجدته . فهي شبيهة بالقضية الرياضية نحو ٢+٢=٤[٩٥] . وهكذا يرون ان استعمال الالفاظ بمعنى واحد هو كاستعمال الرموز بمعنى واحد . ولهذا كانت القضية في نظرهم تحليلية يقينية ، لا تؤيدها التجربة الحسية ولا تنفيها ، فليس في وسع التجربة الحسية ان تدحض القضية التكرارية ، لانها لا تقصد ان تصور شيئا مما يقع في تلك التجربة . بل هي تسجيل لاتفاق تواضع عليه الناس من حيث معاني الالفاظ والرموز التي يستعملونها . كما ان صدق القضية التكرارية لا يتوقف على طبيعة العالم الخارجي . وكذلك لا يتوقف على طبيعة عقولنا . اذ يجوز لنا ان نستعمل اوضاعا لغوية اخرى ، غير هذه الاوضاع التي اتخذناها[٩٦] .

واذا كان بعض المناطقة يرى ان هذا النوع من التعريفات ـ التعريف اللفظي ـ القائم على اساس فكرة الترادف ، هو من اكثر التعريفات استعمالا في اللغة الاعتيادية ، وانه ليست له قيمة منطقية[٩٧] . فان الوضعيين قد ذهبوا الى خلاف هذا تماما ، بل كادوا يقصرون التعريف على هذا النوع فقط ، ويفهمونه على هذا الاساس . فما التعريف في نظرهم الا ان تثبت صحة الترادف بين لفظتين او عبارتين ، وما تشيران اليه من حقائق الواقع . ولهذا عنوا بفكرة الترادف في الالفاظ ، معتبرين اياها حقيقة مهمة جدا من الناحية المنطقية ، لانها تلخص التعريف في صميمه[٩٨] . ان السبب في خلافهم هذا مبعثه الاختلاف في فلسفة التعريف مما لا مجال لذكره هنا .

---

(٩٥) المنطق الوضعي : ١/٤٣ و١١١

(٩٦) Ayer, A.J. Language, Truth and Logic, p. 114. عن المنطق الوضعي : ١/٤٣

(٩٧) المنطق الصوري منذ ارسطو وتطوره المعاصر على سامي النشار ص ١٥٠ ثم انظر المنطق ــ الشيخ محمد رضا المظفر : ١/٩٠

(٩٨) المنطق الوضعي ــ د . زكي نجيب محمود : ١/١٥٧

الترادف عند المحدثين :

لست ابغي هنا ان اعرض لمواقف الدارسين المحدثين من موضوع الترادف وبيان ارائهم في تفسيره ووقوعه ، بل اروم التعرف على فكرة الترادف كما يراها المحدثون من علماء اللغات . فقد سبق ان تعرفنا هذه الفكرة وجلونا معالمها وبينا مفهومها لدى قدامى اللغويين وغيرهم من أهل الفقه والاصول والمنطق ، ولابد من الوقوف على النظرة اللغوية الحديثة بغية الوصول الى مفهوم الترادف الدقيق ، الذي يمكن ان نهتدي به في البحث . وقد ثبت لنا ان عدم معرفة الترادف على وجه الدقة والتحديد ، وعدم الاهتداء الى مفهومه الحقيقي ، كان وما زال سببا مهما من اسباب الخلط والاضطراب في النظر الى هذه الظاهرة اللغوية عند اغلب الدارسين .

ان نظرة المحدثين الى الترادف تختلف عن نظرة القدامى اليه ، وهذه نقطة مهمة تتبين منها مدى اختلاف هذه الفكرة وتطورها عند هؤلاء عما كانت عليه عند اولئك ، ثم تتلمس ما يترتب على ذلك من نتائج جديدة . فلا شك ان العلوم اللغوية الحديثة قد قطعت شوطا بعيدا في مجال الكشف والبحث ، وقد حدث تطور كبير في الدرس اللغوي بما توصل اليه علم اللغة الحديث من حقائق ومعلومات ولاسيما في موضوعات الاصوات واللهجات وعلم الدلالة . وبهذا تهيأ للباحث اللغوي الحديث كثير من الادوات والوسائل والعلوم التي لم تكن في وسع القدامى . فكانت حصيلة هذا كله ان نظر المحدثون الى الترادف نظرة اخرى ، تتصف بالدقة والموضوعية قياسا الى النظرة اللغوية القديمة التي نجد فيها كثيرا من السعة والشمول ونلاحظ فيها عدة مآخذ .

ان نظرة المحدثين الى الترادف تتمثل في تلك الشروط اللغوية التي وضعوها ورأوا أنه لابد من تحققها حتى يمكن القول بالترادف في الالفاظ ،

وبغيرها لا يمكن ذلك ، وهذه الشروط تتلخص فيما يأتي[99] :

١ ـ الاتفاق في المعنى بين الكلمتين اتفاقا تاما ، على الاقل في ذهن الكثرة الغالبة من افراد البيئة الواحدة . ويكتفي اللغوي الحديث بالفهم الاعتيادي لمتوسطي الناس حين النظر الى مثل هذه الكلمات . فاذا تبين لنا بدليل قوي ان العربي كان حقا يفهم من كلمة « جلس » شيئا لا يستفيده من كلمة « قعد » قلنا حينئذ انه ليس بينهما ترادف .

٢ ـ الاتحاد في البيئة اللغوية ، اي ان تنتمي الكلمتان الى لهجة واحدة او مجموعة منسجمة من اللهجات . وعلى هذا يجب الا نلتمس الترادف من لهجات العرب المتباينة والمتباعدة من نحو لغة أهل اليمن القديمة ولغة أهل الحجاز . فالترادف بمعناه الدقيق هو ان يكون للرجل الواحد في البيئة الواحدة ، الحرية في استعمال كلمتين او اكثر في معنى واحد ، يختار هذه حينا ويختار تلك حينا آخر ، وفي كلتا الحالين يكاد لا يشعر بفرق بينهما الا بمقدار ما يسمح به مجال القول .

٣ ـ الاتحاد في العصر : ينظر المحدثون الى المترادفات على انها واقعة في عهد خاص وزمن معين ، ويعبرون عن هذه النظرة بكلمة Synchronic اي (الوصفية) ، وليس على اساس النظرة التاريخية Dinchronic التي تتبع الكلمات المستعملة في عصور مختلفة ثم تتخذ منها مترادفات . فاذا بحثنا عن الترادف يجب الا نلتمسه في شعر شاعر من الجاهليين ثم نقيس كلماته بكلمات وردت في نقش قديم يرجع الى العهود المسيحية مثلا .

٤ ـ الا يكون احد اللفظين نتيجة تطور صوتي للفظ الاخر ، كما في

---

(٩٩) في اللهجات العربية : ص ١٦٦ ـ ١٦٧ ، وفصول في فقه العربية د . رمضان عبدالتواب : ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥ ، وقد اشار الى بعض هذه الشروط ايضا فندريس في كتابه اللغة ، الصفحات : ٢٤٧ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٨٦ . وانظر :

The Principles of Semantics, by Stephen Ullmann, p. 108 — 109.

« الجثل والجفل » بمعنى النمل • حيث يمكن ان تعد احدى الكلمتين اصلا والاخرى تطورا لها • فالجثل والجفل ليستا في الحقيقة الا كلمة واحدة • ولهذا اخرج المحدثون من الترادف كل الكلمات التي حدث فيها تطور صوتي وصارت تنطق بعدة صور ، وعدوها مترادفات وهمية •

وخلاصة القول ان المحدثين لا يشترطون الاتفاق التام في المعنى حسب ، انما يرون ايضا ان مقياس الترادف في الفاظ اللغة يقوم على مبدأ الاستعاضة الذي يعني استبدال الكلمة بما يرادفها في النص اللغوي دون اي تغيير في المعنى ؛ وقد جعلوا من هذا مقياسا للتحقق من الترادف في الالفاظ ، وهذا هو المفهوم الدقيق للترادف في فقه اللغة المعاصر[١٠٠] •

يتضح لنا من هذا الفرق بين فهم المحدثين للترادف بهذه الشروط وبين نظرة القدامى اليه • ولو وازنا بين النظرتين لظهر لنا بوضوح اسراف معظم القدامى وغلوهم في القول بترادف الكثير من الالفاظ بسبب اغفالهم هذه الضوابط اللغوية التي قيد بها المحدثون فكرة الترادف • فقد كانت هذه الفكرة تتسع عندهم لكثير من الالفاظ الى الحد الذي سمحوا فيه لمئات الكلمات بأن تترادف على المعنى الواحد احيانا • بل انهم قد تسامحوا في هذه الفكرة حتى شملت كثيرا من الكلمات المتقاربة في المعنى واسماء الشيء الواحد ذات الاعتبارات المتباينة في الدلالة عليه • كما توهموا الترادف في الصور اللفظية المختلفة للكلمة الواحدة بسبب العوامل الصوتية • وقصارى القول انهم قد عدوا كثيرا من الالفاظ مترادفة على الرغم من محاولتهم تحديد مفهوم الترادف ، ووضعهم لشروط تحققه في اللغة • وقد ادت هذه النظرة المتساهلة

---

(١٠٠) انظر : The principles of Semantics, p. 108.

Semantics an introduction to the science of meaning, p. 141 — 143.

Philosophy of language, by William P. Alston, p. 44.

الى كثرة الترادف في العربية والمبالغة فيه الامر الذي اثار استغراب باحثين واستنكار اخرين له .

على اننا اذا نظرنا الى المترادفات في ضوء شروط المحدثين هذه وطبقناها عليها ، فسوف نخرج كثيرا منها ونستبعد تلك الاعداد الهائلة من الالفاظ التي زعم انها مترادفة . ولهذا نرى ان شروط المحدثين في جوهرها انما هي حد لكثرة الترادف والغلو فيه حتى صارت المترادفات بقدر مقبول ؛ وكأنهم قد ادركوا الاضطراب والخلط في هذه المسألة التي تمثلت في جمع المترادفات تبعا لتلك النظرة المنهجية الخاطئة التي جرى عليها القدامى . ولكننا لا نبخس القدامى حقهم ولا ننكر فضلهم في هذا ، اذ لا نعدم احيانا ان نجد منهم من فطن الى بعض هذه الشروط واشار اليها على وجه من الوجوه . فقد كان حمزة الاصفهاني ينكر الترادف في اللهجة الواحدة ويعترف به في لهجتين مختلفتين . وهذه وجهة نظر سليمة تتجه الى ما يتجه اليه المحدثون في نظرتهم الى الترادف كما يرى ذلك الدكتور ابراهيم أنيس الذي اعجب بهذا الرأي[١٠١] . وعندنا أن ابن جني قد اقترب كثيرا من المفهوم الحديث للترادف ايضا ، وذلك في قوله :

« واذا كثر على المعنى الواحد الفاظ مختلفة فسمعت في لغة انسان واحد ، فان أحرى ذلك ان يكون قد افاد اكثرها او طرفا منها .. »[١٠٢] فهذا القول يكاد يتفق مع نظرة المحدثين الى الترادف ولا سيما قوله « فسمعت في لغة انسان واحد » . ولا ننسى قولهم باتفاق المعنى في المترادفات وضرورة دلالتها على المسمى الواحد باعتبار واحد كما رأينا ذلك آنفا لدى الكثير من علماء اللغة والاصول والمنطق في تعريفهم للترادف وحدهم له . نستنتج من هذا ان شروط المحدثين ليست جديدة كلها ولعل الجديد منها شرطان هما : الاتحاد في العصر ، والا يكون احد اللفظين نتيجة تطور صوتي للفظ الآخر . وعلى اية حال إن

---

(١٠١) في اللهجات العربية : ص ١٦٣ ، ١٦٦

(١٠٢) الخصائص : ٣٧٢/١

هذه الضوابط اللغوية مجتمعة هي التي تمثل نظرة الجمهور من المحدثين الى الترادف وفهمهم له .

غير ان هذا لا يعني ان جميع المحدثين متفقون على هذه النظرة الى الترادف ، كما ظن بعضهم ، اذ نجد منهم من يذهب الى خلاف هذه النظرة . فالدكتور محمود فهمي حجازي مثلا يرى ان المعنى الحديث للترادف انما هو في الالفاظ ذات الدلالات المتقاربة ، وليس في اتفاق المعاني[١٠٣] . وواضح ان هذه النظرة بخلاف ما يراه كثير من المحدثين . وقد عرف باحثون اجانب الترادف فذكروا انه : (الفاظ متحدة المعنى وقابلة للتبادل فيما بينها في اي سياق)[١٠٤] . او انه في الحقيقة يعني دلالة كلمتين على معنى واحد في اللغة الواحدة . على حين جعله بعضهم ضربين : الترادف التام(Complete Synonyms) وهو ان تتفق الالفاظ في المعنى اتفاقا تاما بحيث يمكن استبدال الواحدة بالاخرى . واما النوع الثاني فهو الترادف الجزئي (Partial Synonyms) وهو ان تتقارب الالفاظ في دلالتها على الشيء الواحد[١٠٥] . ومن اللغويين الاجانب من قسم الترادف تقسيما قريبا من هذا اذ ذكر ان الكلمات التي

(١٠٣) علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة : ص ٩٧ — ٩٨ .

(١٠٤) دور الكلمة في اللغة : ستيفن اولمان : ص ٩٧ .

(١٠٥) ينظر :

A comprehensive English Grammar for Foreign students, by C.E. Eckersley, M.A. and J.M. Eckersley, M.A., p. 428.

The meaning of meaning, by C.K. Ogden and I.A. Richards, p. 126.

The Shorter Oxford English Dictionary on Historical principles, prepared by William Little, H.W. Fowler, J. Coulson, p. 2113.

Webster's New International Dictionary of the English language, by William Allan Neilson, Thomas A. Knott, and Paul W. Carhart, Vol. 2, p. 2560.

دور الكلمة في اللغة : ٩٧ — ٩٨

يمكن ان توصف بانها مترادفة هي تلك التي يمكن ان تحل احداها محل الأخرى أو تنوب عنها في أي نص لغوي دون أقل تغيير في المعنى الفكري والمضمون العاطفي (الانفعالي) لهما • وان التطبيق الكلي لهذين المقياسين يعطينا تقسيما ثلاثيا لانواع الترادف :

١ ـ المرادف التام او الصرف (Pure synonyms) : وهو يمتد زمانا ومكانا وقابل للمبادلة في القيمة العقلية والتأثيرية •

٢ ـ شبه المرادف (Pseuda - Synonyms or homoionyms)

آ ـ الشامل او المتطابق في الحدود والقابل للابدال في نص لغوي بعينه ولا يجوز ذلك في غيره ، نحو : يقفز ويثب ، ويساعد ويعين ويسعف •

ب ـ الشامل أو المتطابق في الحدود والقابل للابدال من الوجهة الفكرية ؛

لا الناحية الوجدانية ، ومثال ذلك : الحرية والعتق ، ويخفى ويخبىء •

فالنوعان من شبه المترادفات يتداخلان او يتطابقان جزئيا ، لان الاختلاف في العناصر الحسية العاطفية غالبا ما يولد معه فرقا ما في الملامح الفكرية ايضا ، ومثال هذا : ملكي وفخم (ممتاز) ، ويقرأ ويطالع[١٠٦] •

ويبدو واضحا ان هذا التقسيم للترادف لا يقتصر على النظر الى الالفاظ تبعا لدلالتها اللغوية العامة ، بل يأخذ بنظر الاعتبار التأثيرات الوجدانية لها ، وما توحي به من خواطر ومعان اضافية اخرى • والذي يعنينا من هذه التقسيمات هو الترادف التام الذي يمثل المفهوم الحقيقي للترادف في اللغة ، وهو ما تعارف عليه المحققون من علماء اللغة قدامى ومحدثين • واما النوع الثاني اعني الترادف الجزئي فلا يمثل مفهوم الترادف الدقيق • ولعل هذا النوع هو الذيعناه الدكتور حجازي برأيه السالف الذكر وعده المعنى الحديث للترادف فحسب ولم يشر الى غيره • فليس من الصواب ان يكون الترادف في تقارب المعاني ، ذلك اننا نجد المنكرين له من القدامى والمحدثين يحتجون

(١٠٦) The Principles of Semantics, p. 108 — 110.

بالفروق الدقيقة بين الالفاظ على انكار الترادف ، ذاهبين الى ان هذه الالفاظ ليست متفقة في المعنى تماما ، وانما هي متقاربة لا اكثر . ان مسألة الاتفاق في المعنى كانت ـ وما تزال ـ من اهم الاعتبارات التي ينبغي تحققها في الالفاظ المترادفة وان عدم الاتفاق التام في المعنى يعني انكارا للترادف عند الباحثين . ولا ادل على ذلك من ان المحدثين لا يشترطون الاتفاق التام في معاني المترادفات حسب ، بل يرون ضرورة استبدال الواحدة بالاخرى دون اي تغيير في المعنى . وهذا هو مقياس الترادف الحقيقي في فقه اللغة المعاصر كما اسلفنا . وهو ما ذكره ستيفن اولمان (Stephen Ullmann) وماكولي[١٠٧] (Macaulay) ووليم الستن (William P. Alston)[١٠٨] وغيرهم ، وسموه بمبدأ الاستعاضة او الاستبدال وجعلوه افضل سبيل للتحقق من الترادف في الفاظ اللغة .

ومن اجل هذا كان الضرب الاول هو ما نعتمده اساسا للقول بالترادف ، واما الضرب الثاني فليس من الترادف الحقيقي في شيء ، اذ لا خلاف في الالفاظ المتقاربة في المعنى على أن هناك علاقة وثيقة بين حدوث الترادف التام والألفاظ المتقاربة في المعنى ، فقد تصير هذه مترادفات تامة نتيجة التطور الدلالي وقد يحدث العكس من هذا . وسوف نبسط القول في هذا في الفصل القادم .

واذا كان لبعض المحدثين وجهات نظر مختلفة في الترادف ، فثمة آخرون لم يدركوا هذه الفكرة قط ، ولم يفقهوا لها معنى محددا بأية حال . وذلك ما نجده عند طائفة من الباحثين الذين راحوا يصنفون المعجمات في الترادف على غير هدى ، خالطين بين الترادف في المفردات وبين الجمل والعبارات ، والتوارد والتجانس في المعاني ، ولم يميزوا الترادف الحقيقي من التطور الصوتي للالفاظ ، كما خلطوا بينه وبين الاشتراك اللفظي والمجاز والكناية ،

---

(١٠٧) Semantics an introduction to the science of meaning, p. 143.
The principles of semantics, p. 108.
ودور الكلمة في اللغة ـ ستيفن اولمان : ص ٩٧

(١٠٨) Philosophy of Language p. 441.

خلطا عجيبا يثير الدهشة والاستغراب • غير آبهين بتعريفات القدامى ولا مكترثين بشروط المحدثين وتقسيماتهم للموضوع ، ولا ملزمين أنفسهم بأي قيد او اعتبار ، فكانوا بنهجهم هذا كحاطب ليل • وسوف نتناول هذا بالتفصيل في الفصل الخاص بكثرة الترادف •

نخلص من هذا كله الى ان الترادف هو كما قرر القدامى : تلك الالفاظ المختلفة التي تدل على معنى واحد على سبيل الانفراد • بيد اننا نختلف معهم في تقييدهم الترادف بالوضع ، ذلك انه من الصعب ان نقف على حقيقة الالفاظ تبعا لمعانيها الوضعية في اللغة ، فالوضع الاصلي أمر مجهول لدينا لا سبيل الى الوصول اليه والقطع به، لتعلقه بالتاريخ اللغوي السحيق واوليات اللغة التي يكتنفها الغموض • واما اشتراطهم في دلالة المترادفات على المسمى الواحد ان تكون حقيقة لا مجازا : فأمر ليس له صفة الثبات في الالفاظ لاختلاط الحقيقة بالمجاز وتداخلهما كثيرا في اللغة • فقد تصير الحقيقة مجازا والمجاز حقيقة ، وليس لدينا مقياس ثابت لتحديد ذلك ؛ وانما الامر مرده الى الحس اللغوي العام • ولما كانت مسألة الحقيقة والمجاز متغيرة ولا يمكن ان نلتمس الترادف في الفاظ اللغة بمقتضى الوضع الاصلي فلابد اذن ان ننظر الى الترادف تبعا للاستعمال ، معولين على الواقع اللغوي ، ومهتدين في نظرنا اليه بما قرره المحدثون من شروط واعتبارات وجيهة في تحققه ، وان كنا نجد صعوبة كبيرة في تحقق هذه الشروط في المترادفات في العربية لافتقارنا الى المعجم اللغوي التاريخي الذي يقيد استعمال الالفاظ بالزمان والمكان المعينين ويعنى بتطورها الصوتي والدلالي • وعلى هذا فلا مناص من التعويل على واقع الاستعمال اللغوي مقياسا للترادف ، فاذا كان الناس يستعملون الفاظا مختلفة بمعنى واحد ، من غير ان يشعروا بفرق بينها ، بحيث يمكنهم ان يستبدلوا كلمة باخرى فلا يتغير المعنى المقصود ، قلنا حينئذ ان هذه الالفاظ مترادفة •

ومن اجل هذا ينبغي لنا ان نستبعد من البحث تلك الجمل والعبارات التي تواردت في الدلالة على معنى واحد ، وكذا الالفاظ المتقاربة في المعنى

خلافا لمن قال بترادفها . يضاف الى ذلك الزاح كل الصيغ المختلفة والصور اللفظية المتعددة للكلمة الواحدة ؛ سواء ما نشأ منها بسبب العوامل الصوتية ام بسبب غيرها من العوامل كالتصحيف والتحريف والخطأ في السمع وعيوب النطق .

وبعد ان عرضنا لمفهوم الترادف وتاريخه وتطوره وما تبع ذلك من تحديد له ، يجدر بنا ان نبحث في تفسير حدوثه ؛ وهذا ما سنتناوله بالدرس في الفصل الاتي .

الفصل الثاني

تفسير حدوث الترادف

سوف نتناول في هذا البحث دراسة اسباب وقوع الترادف في اللغة ، وما يتصل بذلك من عوامل مختلفة ، بغية الوصول الى الحقيقة اللغوية لحدوث هذه الظاهرة ، وما يترتب عليها من النظر الى مسألة الخلاف الطويل حولها من حيث الجواز والانكار .

ولعل من المفيد هنا ان نشير بايجاز الى تفسيرات القدامى والمحدثين قبل ان نأتي الى ذكر الاسباب منفصلة . فلقد اختلف اللغويين العرب في تفسير الترادف وتعددت مذاهبهم في النظر الى أسباب وقوعه في اللغة . واول ما يلاحظ على القدامى اهتمامهم البالغ بجمع الالفاظ المترادفة وتدوينها ، حتى اصبح هذا غرضا لهم في الغالب يتسابقون اليه ويتفاخرون به . وقد كادوا يقتصرون على هذا المنحى في معظم الاحوال ، فشغلهم ذلك عن النظر في المسائل المتعلقة بنشأة الترادف وكيفية حدوثه وتعليل اسبابه .

وهذه مصنفاتهم في الترادف التي وصلت الينا تكاد تخلو من التحليل والتفسير الا ما قل وندر .

نعم ، لقد اشار بعضهم في احيان قليلة الى بعض اسبابه ، فذكروا اختلاف لغات القبائل في حدوثه ، واشاروا بصورة غير مباشرة الى المعرب والدخيل ، وقد كادوا يقفون عند السبب الاول . وهذا يعني ان معظم القدامى كانوا يفسرون حدوث الترادف بتعدد الوضع . ويصح هذا حقا في تفسير القليل من الترادف ، ولا يصدق على الكثرة منه كما سيتضح لنا ذلك فقد تحقق عندنا ان ليس بالامكان تفسير الترادف بتعدد الوضع وتداخل اللغات المختلفة ـ ما عدا القلة منه ـ كما ذهب الى ذلك ابن جني وغالبية القدامى .

وفيما يتعلق بالمعرب والدخيل ، فانهم - في الواقع - لم ينصوا عليه صراحة كما في السبب الاول ، ولكن هذا مستفاد ضمنا من اشاراتهم احيانا الى بعض الالفاظ المترادفة بانها معربة او دخيلة . وهذا السبب لا يصح ايضا الا في بعض كلمات بالنسبة الى مترادفات الشيء الواحد كما سنتبين .

وقد جعل بعضهم من اسبابه تكثير طرق الاخبار عما في النفس ، فقد ينسى احد اللفظين ، أو يصعب لفظه ، فيلجأ الى الاخر تسهيلا وتخفيفا . وعدوا من اسبابه التوسع في طرق الفصاحة والحاجة اليه في الشعر وضروب البديع ، ومن اجل تكثير وسائل التعبير والتفنن في الكلام ، وبيان الخفي والمجهول وشرح المبهم وما الى ذلك[1] . وهذه امور اشد تعلقا بفوائد الترادف منها باسباب وقوعه .

ونجد من هذه الاراء ما يكاد يكون تفسيرا غيبيا له ، ومن ذلك ما صرح به ابن حزم وهو يتحدث عن لغة آدم : (ولعلها كانت حينئذ لغة واحدة مترادفة الاسماء على المسميات ، ثم صارت لغات كثيرة اذ توزعها بنوه بعد ذلك ، وهذا هو الاظهر عندنا والاقرب)[2] . ويبدو لنا ان هذه التفسيرات لا تمت بصلة الى الاسباب اللغوية لحدوث الترادف فضلا عما فيها من التمحل والتكلف .

واما المحدثون فقد كانوا أكثر تفصيلا ودقة في تفسيرهم للترادف من اسلافهم القدامى ، نتيجة تطور البحث اللغوي واكتشاف الكثير من الحقائق اللغوية المهمة وخاصة في علم الدلالة والاصوات ، الا اننا مع ذلك نجد مواقفهم متباينة في تفسيره . فالكثرة منهم قد تابعوا القدامى في القول باختلاف لغات القبائل واكدوا هذا السبب كثيرا ، ومنهم من رفضه وانكره تماما . ومنهم من كاد يفسره بالمعرب والدخيل حسب ، فانكر بعضهم ذلك ايضا . في حين نسبه

---

(١) المزهر : ٤٠٥/١

(٢) الاحكام في أصول الاحكام : ٣١/١

آخرون الى عبث الرواة والخلق والخطأ وغير ذلك ، وثمة طائفة منهم اشارت الى تطور المعنى في حدوثه بالاضافة الى الاسباب الاخرى ، فكانوا بهذا اكثر صوابا واتساعا من غيرهم[٣] .

ونرى قصورا في هذه الاسباب والمسوغات التي ذكروها في تفسير الترادف اذ لا يمكن ان تنطبق عليه بصورة شاملة . فهي تفاسير جزئية مبتورة وان كنا لا نرتاب في صحتها . كما اننا نرى ان معظم الذين عرضوا لتفسير هذه الظاهرة قد جانبوا الصواب في تلمس الاسباب الحقيقة لها بحسب طبيعتها واهميتها ،فمن مغال في سبب بعينه، ومن مغفل لسبب، ومنكر لاخر . واهم ما يلاحظ فيها ذلك الخلط بين اسباب الترادف الحقيقي وبين اسباب كثرته . ان هذا ليدل على مبلغ حيرة الباحثين ازاء تفسير هذه الظاهرة ، وعلى مدى خلطهم واضطرابهم فيها ، مما حدا ببعضهم الى انكار الترادف ورفضه بسبب قصور هذه العوامل ؛ ولانها غير مقبولة او غير معقولة ، ولاسباب اخرى رأوها هم .

ولاضطراب هذه الاراء وتناقضها احيانا ، وقصورها وبعدها عن التفكير اللغوي في احيان اخرى ، رأينا من الصواب ان نعرض عن هذا بادىء الامر والا نساق وراء كل ما ذكروه . فمن الافضل ان نتجه الى دراسة المترادفات ذاتها لنستنتج منها الاسباب لعلنا نظفر بالتفسير الصحيح لحدوث الترادف في اللغة . وفي ضوء هذه الدراسة نستطيع بعدئذ ان نميز الغث من السمين ، والخطأ من الصواب فيما قيل بشأنه .

ان هذا السبيل هو الاسلم لمعرفة حدوث الترادف وفهم نشأته ، بعيدا عن الاجتهادات العقلية والافتراضات المنطقية وكل التفسيرات غير اللغوية . وسبيلنا الى هذا ، هو تحليل الالفاظ المترادفة وتتبع استعمالاتها وتطورها الدلالي ، بشتى السبل الممكنة على الرغم مما نجده في هذه المنهج من صعوبة

(٣) لم نثبت المصادر هنا لاننا سوف نذكرها في هذا الفصل كلا في مكانه المناسب .

بالغة ومشقة كبيرة ؛ ومن نقص في المظان والمصادر التي لا تفي بهذه الحاجة ايفاء كاملا ؛ ولا تلبي متطلبات هذه الدراسة الا بعسر واقتضاب .

وبعد ، فان استقراء المترادفات والبحث فيها يمليان علينا تفسيرات تتمثل في جملة اسباب سنفصل القول فيها دون ان نفترض سببا ثم نأتي ونلتمس له الشاهد والحجة . وسنرى اهمية كل سبب واثره في موضعه من هذا البحث .

أثر التطور الدلالي في حدوث الترادف

لعل من نافلة القول هنا ان نعرض لموضوع التطور الدلالي في الالفاظ ؛ فذلك ما تناوله الباحثون وفصلوا القول فيه وفرغوا من اثباته وبيان سبله . وقد اصبحت هذه المسألة ـ كما قررها علماء اللغات المحدثون ـ حقيقة لغوية لا يختلف فيها اثنان . وقد سبق لنا ان بينا في التمهيد مفهوم هذا التطور وابرز اسبابه ؛ وذكرنا اهم وجوهه وملامحه المتمثلة في تعميم الخاص وتخصيص العام وفي انتقال مجال الدلالة وتغيرها ؛ وغير ذلك من مظاهر تطور الدلالة وسبله الكثيرة التي شرحها الدارسون .

ويمكننا ان نفسر حدوث الترادف في كثير من الالفاظ بسبب التطور الدلالي الذي يحدث للالفاظ في اطوار حياتها . ذلك ان ظاهرة الترادف في جوهرها مسألة دلالية قبل كل شيء ؛ وهي غالبا ما تكون نتيجة التطور في دلالة الالفاظ فهي تؤلف موضوعا لغويا تاريخيا من حيث علم الدلالة التاريخية . وبهذا التفسير يمكن ان نرد كثيرا من المترادفات الى هذه الحقيقة في التطور والاستعمال . وهنا تبرز الحاجة الى ضرورة تتبع استعمالات الالفاظ لمعرفة تطورها الدلالي الذي جعلها مترادفة ؛ مع الاخذ بالحسبان تفاوت الزمان والمكان والبيئة في مثل هذا التطور .

ومن اجل ذلك سنجد كثيرا من الفاظ اللغة قد ترادفت بسبب التطور ؛ ولا سيما الالفاظ المتقاربة في المعنى ؛ والالفاظ التي تدل على معان كلية او عامة ؛ والالفاظ التي تدل على معنى خاص او جزئي . وقد تصبح مثل هذه

الالفاظ مترادفة نتيجة تطورها الدلالي . اذ كثيرا ما يحدث ان يتخصص العام او ان يعم الخاص ، او ان يتغير مجال الدلالة ، بفعل الاستعمال اللغوي ، فيختفي ذلك التباين بالتدريج ، ثم تصبح دالة على معنى واحد ، بمرور الزمن . وهكذا يحدث الترادف في مثل هذه الالفاظ بسبب تطور الدلالة فيها ضيقا واتساعا وبتغير مجالها من محيط الى آخر . حتى ان احد المحدثين قد نظر الى الكلمات التي تشترك معانيها في بعض الاجزاء وتختلف في بعضها الآخر فشبهها بدوائر متحدة المركز مختلفة في جزء من سطوحها ، او مشتركة في جزء من السطح فقط . فاذا مر عليها زمن طويل ، ودعت عوامل تغير المعاني الى ان تنطبق الدوائر بعضها على بعض ، صارت تلك الكلمات مترادفة . لان المعاني لا تبقى على حال واحدة ، فقد يصبح الخاص عاما أو يصبح العام خاصا[٤] .

وما يساعد على هذا الامر ، توافر تلك الالفاظ ذات المعاني المتقاربة والمعاني العامة والخاصة للشيء الواحد . وقد عقد اصحاب اللغة لالفاظ العموم والخصوص والالفاظ المتقاربة في المعنى ابوابا جمعوا فيها الكثير من هذا القبيل[٥] كما صنف بعض العلماء في هذا الضرب من الالفاظ كابن جني في كتابه الموسوم بـ (الفصل بين الكلام الخاص والعام)[٦] الذي عده المستشرق « جولد تسهير » من كتب المترادفات وليس من كتب لحن العامة كما ذهب الى ذلك المستشرق توربيكة[٧] وهذا ما يدل على مدى التقارب الدلالي بين هذه الالفاظ ، حتى اصبح مدعاة للتفرقة بينها لئلا تختلط وتصبح بمعنى ، او تحسب كذلك . ولهذا السبب كثيرا ما نلاحظ حدوث الترادف في هذه الالفاظ

---

(٤) في اللهجات العربية د . ابراهيم انيس : ١٧١

(٥) انظر : فقه اللغة وسر العربية للثعالبي ، فصل في العموم والخصوص ٣١١ ـ ٣١٢ والمزهر ، معرفة العام والخاص وفيه خمسة فصول : ٤٢٦/١ وما بعدها .

(٦) مقدمة الخصائص : ٦٦/١

(٧) لحن العامة والتطور اللغوي د . رمضان عبدالتواب : ٦٧

المتقاربة في المعنى ، لانها عرضة لاحتمالات التطور الدلالي اكثر من غيرها ، ومن ثم تؤول الى معنى واحد بفعل الاستعمال . وهذا ما جعل بعض العلماء يصنفون في مثل هذه الالفاظ التي صارت مترادفة او كادت ، ويعنون بالفروق بينها . ولعل اشهر هؤلاء ابو هلال العسكري الذي صرح في مقدمة كتابه بان هذا السبب هو الذي دعاه الى القول بالفروق اللغوية بين المعاني المتقاربة او التي صارت بمعنى ، فهو يقول : (ثم اني ما رأيت نوعا من العلوم وفنا من الاداب الا وقدصنفـفيه كتب تجمع اطرافه وتنظم اصنافه الا الكلام في الفرق بين معان تقاربت حتى اشكل الفرق بينها نحو العلم والمعرفة ، والفطنة والذكاء ، والارادة والمشيئة ، والغضب والسخط ، والخطأ والغلط ، والكمال والتمام ، والسنة والعام)[8] وسوف تتبين ان مجمل الفروق التي ذكرها العسكري ، انما هي في حقيقة الامر ترجع الى هذا التقارب في المعنى اصلا ، ثم شرع الناس يستعملونها فيما بعد بمعنى واحد . فراح العسكري يبين الفروق بينها ، معولا على معانيها الاصلية ودلالاتها القديمة كما وردت عن فصحاء العرب القدامى ، وذلك خشية الاشكال والخلط فيها . ويؤكد هذا ان العسكري كثيرا ما يفرق بين هذه المعاني المتقاربة ، بحسب الاصل ، ثم يذكر بعد ذلك انها استعملت بمعنى واحد ، مشيرا الى التوسع فيها ، وسوف يأتي تفصيل ذلك .

ان دراسة الالفاظ المترادفة على اساس تطور الدلالة وملاحظة استعمالاتها من الناحية التاريخية ، يثبت لنا ان التطور هو سبب ترادف الكثير من الالفاظ ، ولا سيما تلك الالفاظ المتقاربة في المعنى التي اشرنا اليها .

ففي اللغة كثير من الامثلة التي لا تعد ولا تحصر . ومن ذلك ، ان اصل الورد هو اتيان الماء ، ثم صار اتيان كل شيء وردا[9] . وقد جاءت الكلمة في القرآن الكريم بهذا المعنى الاخير في قوله تعالى (... فاوردهم النار)[10]

(٨) الفروق اللغوية : ٧

(٩) جمهرة اللغة لابن دريد : ٢/٤٣٢ والمزهر : ١/٤٢٩

(١٠) سورة هود آية ٩٨

وفي قوله تعالى (لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون)[11] وجاءت ايضا بهذا المعنى في الحديث الشريف في قوله (ص) : (من فاته من ورده شيء فقرأه بين صلاة الفجر الى الظهر ، فكأنما قرأه في ليله)[12] . وان اصل القرب هو طلب الماء ، ولما كثر استعماله صار يقال ذلك لكل طلب . فيقال : هو يقرب كذا ، اي يطلبه ، ولا تقرب كذا . وفي اللسان عن الخطابي : (نقرب اي نطلب والاصل فيه طلب الماء ، ومنه ليلة القرب .... ثم اتسع فيه فقيل : فلان يقرب حاجته ، اي يطلبها)[13] . وان العقيرة في الاصل هي الساق المقطوعة ، ثم قالوا : رفع عقيرته اي صوته ، وسبب ذلك ان رجلا عقرت رجله فرفعها وصاح فقيل بعدلكل من رفع صوته: رفع عقيرته[14]. وان النجعة معناها في الاصل طلب الغيث ولكثرة الاستعمال صار كل طلب انتجاعا . وان المنيحة اصلها ان يعطى الرجل الناقة او الشاة فيشرب لبنها ، ثم صارت كل عطية منيحة ، والوغى كان يعني اختلاط الاصوات في الحرب ، وليس نفسها ، ثم كثر استعمال ذلك حتى صارت الحرب وغى وكذلك الواغية . والراوية كانت تعني في الاصل البعير الذي يستقى عليه، ثم استعملت بعد ذلك بمعنى المزادة فصارت المزادة راوية[15] . والالب في اللغة كان لا يعني العطش ، وانما هو الحوم حول الماء دون القدرة على الوصول اليه . ثم صار فيما بعد يعني العطش نفسه . فيقال : الالب : العطش . وقد سجل صاحب اللسان المعنيين عن الفارسي[16] ، في حين اقتصر ابن السكيت على ذكر المعنى الاول عن الفراء[17] . وهذا من باب تسمية

---

(11) الانبياء : آية ٩٩

(12) ذيل فصيح ثعلب ــ لعبداللطيف البغدادي ص ٣ = ضمن فصيح ثعلب والشروح التي عليه .

(13) اللسان مادة قرب : ٦٦٧/١

(14) اللسان مادة عقر : ٥٩٣/٤ .

(15) اللسان مادة روى : ٣٤٦/١٤ — ٣٤٧

(16) اللسان مادة الب : ٢١٦/١

(17) اصلاح المنطق : ص ٩٠

الشيء بسببه ، ذلك ان سبب الحوم حول الماء هو العطش • وهو من صور التطور الدلالي على سبيل المجاز المرسل الذي علاقته السببية •

ومن الامثلة الاخرى على حدوث الترادف في الالفاظ بسبب التطور الدلالي على جهة التعميم والتوسع في المعنى ان كلمة الحوة في اللغة كانت تعني شية من شيات الخيل ، وهي بين الدهمة والكمتة ، وقد كثر هذا في كلامهم وتوسعوا في معناها حتى سموا كل اسود احوى ، فقالوا : ليل احوى وشعر احوى • وبهذا صارت الكلمتان بمعنى •

ومن هذا القبيل ان اصل البشم في اللغة هو : التخمة للبهائم خاصة ، ثم كثر حتى استعمل في الناس ايضا ، وبذلك اصبحت الكلمتان مترادفتين نتيجة هذا التوسع في الدلالة الذي جرى على سبيل تعميم الخاص ، وهذا واحد من مظاهر التطور الدلالي في الالفاظ • ومن هذا ايضا ان كلمة الخارب في اللغة ، كانت تطلق على سارق الابل خاصة ، ثم عمموا بها حتى صارت تقال لكل من سرق بعيرا كان او غيره ، جاء في اللسان : (والخارب : سارق الابل خاصة ، ثم نقل الى غيرها اتساعا •• والخارب : اللص ، ولم يخصص به سارق الابل ولا غيرها ، ••• يقال : خرب فلان اي صار لصا)[18] وبهذا اصبحت لفظتا الخارب والسارق مترادفتين بسبب هذا التعميم في الدلالة[19] • ومثل هذا كثير في اللغة •

من هذه الامثلة تبين كيف ترادفت مثل هذه الالفاظ ، فنلاحظ انها قد كانت في الاصل متباينة في المعنى ، وان كان هذا التباين قليلا ، ثم صارت تدل على معنى واحد بسبب التطور الدلالي الذي حدث فيها لكثرة الاستعمال •

---

(١٨) اللسان مادة خرب : ٣٤٨/١ — ٣٤٩ •

(١٩) حول هذه الامثلة جميعا انظر : جمهرة اللغة لابن دريد : ٤٣٢/٢—٤٣٤ ؛ والصاحبي لابن فارس : ٩٥ — ٩٦ والمزهر : ٤٢٩/١ — ٤٣٣ اضافة الى اللسان •

ولا يخفى هنا دور المجاز في هذا التطور كما في ترادف الراوية والمزادة ، والالب والعطش ، والوغى والحرب وغير ذلك . ومعلوم ان تطور دلالة الكلمة من الخاص الى العام وبالعكس ، او على سبيل المجاز بنوعيه ، هو من أهم وجوه التطور الدلالي . وقد اشار اللغويون القدامى صراحة الى هذا النمط من التطور واعترفوا به كما رأينا في هذه الامثلة التي نصوا فيها على اتساع المعنى بسبب كثرة الاستعمال . بيد ان القدامى على الرغم من اعترافهم بالتطور ، قد قصروه على حقبة معينة ووقفوا به عند عصور محددة ، وذلك كما بينا في التطور الدلالي وموقف القدامى منه .

وفي ضوء ما تقدم يمكن ان نفسر حدوث الترادف في كثير من الالفاظ . وللتحقق من صحة هذا التفسير وبيان ماله من اثر نعرض لدراسة امثلة اخرى ، فمن ذلك ان (البأس) في اصل معناها كانت خاصة بالحرب ، ثم صارت تطلق على كل شدة[٢٠] . وقد جاءت بهذا المعنى في قوله تعالى (فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا)[٢١] .

وتجدر الاشارة الى ان الدكتور عبدالعزيز مطر قد علل هذا التطور بتعميم الدلالة[٢٢] ، حيث اورده السيوطي فيما سماه : (فيما وضع في الاصل خاصا ثم استعمل عاما)[٢٣] .

ويجوز حمله على المجاز المرسل ، اذ ان العلاقة المجازية واضحة بين المدلولين وهي التي سوغت اطلاق البأس بمعنى الحرب على كل شدة وذلك لعلاقة السببية . ومنها ان (حلاً) تعني الضرب بالسوط والسيف خاصة ، ثم عمّ به بعضهم فقال : حلاه : ضربه[٢٤] ، ومنها ان العهن اصله الصوف الملون

(٢٠) الجمهرة ٢٠٦/٢ وانظر : المزهر : ٤٣١/١

(٢١) سورة غافر آية ٢٩ . وانظر في تفسيرها : الكشاف للزمخشري : ١٦٤/٤ وتفسير القرطبي : ٣١٠/١٥

(٢٢) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : ٢٨٢

(٢٣) المزهر : ٤٢٩/١ ، ٤٣١

(٢٤) اللسان مادة حلا : ٥٩/١

على قول اكثر أهل اللغة ، ثم عم به فقيل لكل صوف عهن[٢٥] : والحنتم اصله الخزف الاخضر ، ثم اتسع فيه فقيل للخزف كله حنتم[٢٦] .

ومن ذلك ايضا ان المجد في الاصل هو : امتلاء بطن الدابة من العلف ، ثم قالوا : مجد فلان فهو ماجد ، اذا امتلأ كرما[٢٧] . والافن : قلة لبن الناقة ، هذا هو الاصل ، ثم قالوا : افن الرجل اذا كان ناقص العقل ، فهو افين ومافون[٢٨] . وبهذا اصبحت من اسماء الاحمق . وهنا نلاحظ في المثالين الاخيرين انتقال المعنى من الدلالة المادية الى المعنوية . والكثب بمعنى القرب ، الاصل فيه رمي الصيد من كثب اي من قرب . يقال : ارم الصيد فقد اكثبك اي دنا منك واكثبك الصيد والرمي اي دنا منك . وقد كثر في كلامهم فاتسع فيه حتى صار كل قريب مكثبا ، والاسم الكثب[٢٩] .

كذلك من امثلة وقوع الترادف بسبب التعميم في الدلالة ، اطلاق اسم الورد على كل زهر ، وهو في اللغة خاص بالاحمر[٣٠] . وحول اطلاق الوردة على كل زهرة يذكر فندريس ان في اللغات السلافية الجنوبية صار اسم الوردة يطلق على الزهرة عموما، كما في الصربية والكرواتية وبعض اللهجات الالمانية ، ثم حدث مثل هذا ايضا في بعض اللهجات الايطالية التي صارت تطلق اسم الوردة على كل زهرة ايا كانت ، واضطرت الى ان توجد للوردة اسما جديدا[٣١] . ومنها استعمال الحفان والتولب بمعنى واحد ، حيث استعملها الشعراء زمن ابن السكيت - ت ٢٤٤هـ - للصغار مطلقا ، والاول

---

(٢٥) اللسان مادة عهن : ١٢/٢٩٧
(٢٦) اللسان مادة حنتم : ١٢/١٦٢ والمزهر ١/٤٢٨
(٢٧) الجمهرة : ٢/٤٣٣
(٢٨) الجمهرة ٢/٤٣٣ والمزهر ١/٤٣١
(٢٩) الجمهرة : ١/٢٠٣ والالفاظ المترادفة ص ١٤- ١٥ واللسان مادة كثب : ١/٧٠٢ والمزهر : ١/٤٣٢
(٣٠) اللسان مادة ورد : ٣/٤٥٦
(٣١) اللغة : ٢٥٨ - ٢٥٩

في الاصل لصغار النعام والثاني لولد الاتان من الوحش اذا استكمل الحول[٣٢] . بيد ان ابن السكيت عد هذا الاستعمال من الحروف التي يتكلم بها في غير موضعها . ويمكن تفسير استعمالهما مترادفين بسبب تعميم الدلالة ، والى مثل هذا اشار محقق كتاب ابن السكيت[٣٣] . ومنها اطلاق الاستحمام على الاغتسال سواء اكان بالماء الحار ام البارد واستعمالهما بمعنى . وليس الاصل كذلك لان الاستحمام اصله الاغتسال بالحميم اي الماء الحار . ثم عمم بعد ذلك فشمل كل اغتسال باي ماء كان . وقد اعترف الجوهري بهذا الاستعمال نتيجة هذا التطور الدلالي وسجله بقوله : (والحميم : الماء الحار ، والحميمة مثله ، وقد استحممت اذا اغتسلت به ، هذا هو الاصل ، ثم صار كل اغتسال استحماما ، باي ماء كان)[٣٤] . كما ذكر ابو بكر الزبيدي[٣٥] وابن مكي الصقلي[٣٦] ان اهل الاندلس وصقلية يستعملون الاستحمام بمعنى الاغتسال من غير تفرقة بينهما . الا انهما قد حكما بالخطأ على هذا الاستعمال وعداه لحنا ، وذلك لتمسكهما بالدلالة القديمة وهي ان الاستحمام خاص بالماء الحار .

واما من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة فهو تطور دلالي قد جرى على سبيل تعميم الدلالة[٣٧] .

ومنها استعمال اللسع واللدغ والنهش بمعنى واحد . والاول للعقرب . وكل ما يضرب بذنبه ، والثاني لما يضرب بفيه ، والثالث لما يأخذ باسنانه . هذا هو الاصل ، ولكن الناس يعممون دلالة كل منها ، بحيث ترادف الواحد

---

(٣٢) اللسان مادة تلب : ٢٣٢/١

(٣٣) الحروف التي يتكلم بها في غير موضعها لابن السكيت : ٢٧ لحقيق د . رمضان عبدالتواب .

(٣٤) الصحاح مادة حمم : ١٩٠٥/٥

(٣٥) لحن العوام للزبيدي : ٢٥٦

(٣٦) تثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكي الصقلي : ٢١٧

(٣٧) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : ص ١١١ ، ١٦١

منها الاخرى ولا يفرقون بينها ، وذلك باعتراف بعض اللغويين الذين الفوا في لحن العامة وسجلوا هذا الاستعمال وخطأوه لانه جاء بخلاف الاصل[٣٨] . ويمكن تفسير ترادف هذه الالفاظ بتعميم الخاص ، والى مثل هذا ذهب الدكتور مطر[٣٩] .

ومنها ايضا استعمال العش والوكر او الوكن مترادفة . والاول ما كان من عيدان ، والثاني لما كان نقبا في جبل او حائط . والناس في استعمالهم زمن ابن الجوزي - ت ٥٩٧ هـ - لا يفرقون بين هذه الالفاظ وذلك باعتراف ابن الجوزي نفسه الذي خطأهم في هذا الاستعمال لانه بخلاف الاصل[٤٠] . ويبدو ان ترادف هذه الالفاظ قديم وذلك بدلالة قول ابي عمرو -ت١٥٤هـ - : (الوكر : العش ، حيثما كان)[٤١] ومثل هذا كثير من الالفاظ التي تطورت دلالتها على وجه تعميم الخاص فصارت مترادفة في طرائق الاستعمال اللغوي من غير مراعاة او التفات الى التباين الذي كانت عليه . ولا يهمنا هنا الموقف المتزمت لبعض اللغويين الذين انكروا هذا التطور وعدوه لحنا ، نتيجة محافظتهم الشديدة على الدلالة القديمة للكلمة . وهو موقف تدحضه الدراسات اللغوية الحديثة التي تناولت ظاهرة لحن العامة ؛ لتعارضه مع مفهوم التطور اللغوي عامة ومبادىء علم الدلالة الحديث خاصة . ولهذا استشهدنا به في اثبات هذا التطور من ناحية ، ولتعزيز تفسيرنا لحدوث الترادف في ضوء التطور الدلالي من ناحية اخرى . وسوف تمر علينا امثلة اخرى في سياق هذا المبحث .

وثمة ضرب من التطور الدلالي يجري على عكس ما سبق ، وذلك بان

---

(٣٨) تقويم اللسان لابن الجوزي : ١٧٩ ودرة الغواص للحريري : ١٠٠

(٣٩) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : ص ١٩٨

(٤٠) تقويم اللسان : ص ١٦٠

(٤١) اصلاح المنطق ص ٣٧٦ - ٣٧٧ وانظر : فقه اللغة وسر العربية للثعالبي ص ٢٩٢ ولحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : ٢٨٤

تخصص الدلالة في الاستعمال بعد ان كانت عامة ؛ وهو ما يعبر عنه الباحثون بتخصيص العام او تضييق المعنى كما تقدم بيانه ، وهذا النوع من التطور يؤدي الى حدوث الترادف في الالفاظ ايضا . وامثلة ذلك : تخصيص الغنم باسم الضأن واستعمالها بمعنى والغنم في الاصل اسم عام يقع على الضأن والمعز جميعا ؛ ولكن الاستعمال قصره بعد ذلك على الضأن خاصة . يقول ابن مكي الصقلي : (ومن ذلك الغنم ؛ لا يعرفونها الا الضأن خاصة ؛ دون المعز ؛ وليس كذلك ؛ انما الغنم اسم للضأن والمعز جميعا[42]) . ومثله استعمال البعير مرادفا للجمل . والبعير يطلق على الجمل وعلى الناقة ؛ ثم خصوا به الجمل . وقد سجل هذه الاستعمالات ابن مكي الصقلي كما يجري بها الاستعمال فعلا ؛ بيد انه عدها لحنا بحجة انها بخلاف الاصل ؛ ووضعها في باب (ما جاء لشيئين او لاشياء فقصروه على واحد)[43] وما حقيقة هذه الا تطور دلالي تدجرى على جهة تخصيص العام ، وتخصيص العام ليس غلطا ؛ يعزز هذا ما ذهب اليه الدكتور مطر[44] . ومن ذلك تخصيص دلالة الدبر والجحر بالاست وحدها واستعمالها مترادفة . يقول الجواليقي حول استعمال هذه الالفاظ بمعنى واحد : (ومن ذلك الدبر تذهب العامة الى انه الاست خاصة ؛ وليس كذلك ؛ دبر كل شيء خلاف قبله .. وكذلك يجعلون الجحر اسما لها ـ أي للاست ـ خاصة ؛ وانما الجحر ما تحتفره في الارض الدواب ما لم يكن من عظام الخلق نحو جحر اليربوع والثعلب والارنب وشبه ذلك)[45] . وقد صوب عبداللطيف البغدادي هذا الاستعمال ووجهه توجيها سديدا ؛ حيث قال في رده على الجواليقي : (قلت : هذا كله عام ؛ يجوز ان

---

(٤٢) تثقيف اللسان وتلقيح الجنان : ٢٠٩

(٤٣) المصدر السابق : ٢٠٩ ـ ٢١٠

(٤٤) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : ١٦١

(٤٥) تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة للجواليقي : ص ١٩ وانظر : التلويح في شرح الفصيح لابي سهل الهروي حيث اقتصر على ذكر الدلالة الاصلية للجحر ص ٩٧ ضمن كتاب فصيح ثعلب والشروح التي عليه لمحمد عبدالمنعم خفاجي .

يخص ؛ وتخصيص العام ليس غلطا)[٤٦] . كذلك لم يخطئه الراغب الاصفهاني بل جعله من باب الكناية[٤٧] . وعلى هذا يجوز عندنا ايضا تفسير ترادف هذه الالفاظ على اساس المجاز الذي اصبح حقيقة بسبب كثرة الاستعمال ، وذلك لعلاقة المشابهة بين مدلولات هذه الالفاظ التي سوغت لانتقال مجال الدلالة على سبيل الاستعارة . وهذا من معالم التطور الدلالي الواضحة .

ومن ذلك استعمال المثقال بمعنى الدينار لا غير . والمثقال هو : زنة الشيء ، وكل وزن يسمى مثقالا ، وليس مقصورا على وزن معين هذا باعتبار الاصل ، بيد ان الاستعمال قد قصره على الدينار وحده وجرى بهما مترادفين بشهادة ابي بكر الزبيدي[٤٨] والجواليقي[٤٩] وابن الجوزي[٥٠] . وقد ذهب هؤلاء جميعا الى تخطئة هذا الاستعمال معولين على الدلالة الاصلية ، وهذا عندهم قد جرى بخلاف ذلك . وليس الامر كما ذكروا ، لان المثقال اسم عام يشمل الدينار وغيره كما سبق ، ثم خص به الاستعمال الدينار فحسب ، وهذا ليس غلطا . وقد صوبه عبداللطيف البغدادي ايضا بقوله : (اقول : هذا ايضا عام قد خصصه الاستعمال)[٥١] وهذا الرأي جدير بالاعجاب . وقد فسره الدكتور مطر بتغير مجال الاستعمال وفي مكان آخر جعله من باب تخصيص العام[٥٢] . والثاني هو الاصح بالنظر الى طبيعة هذا التطور الذي بيناه ، وبدلالة قول البغدادي .

---

(٤٦) ذيل فصيح ثعلب : ٦ — ٧ = ضمن فصيح ثعلب والشروح التي عليه ، وانظر لحن العامة والتطور اللغوي : ٢٥٨

(٤٧) المفردات في غريب القرآن للراغب الاصفهاني : ١٦٤ .

(٤٨) لحن العوام : ٢٢١ — ٢٢٢

(٤٩) تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة : ٢١

(٥٠) تقويم اللسان : ١٩٣

(٥١) ذيل فصيح ثعلب ص ٨ = ضمن فصيح ثعلب والشروح التي عليه .

(٥٢) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : ١١١ ، ١٩٦

ومن الالفاظ التي ترادفت بسبب التطور الدلالي على هذا الوجـه ، اليقطين والقرع . اذ ان اليقطين في اللغة هو كل شجر ينبسط على الارض ، ولا يقوم على ساق كالقرع والقثاء والبطيخ ونحو ذلك[٥٣] . الا ان الاستعمال قد خص اليقطين بالقرع وحده دون سواه ، فاصبحت الكلمتان نتيجة هـذا التخصيص بمعنى واحد . وهذا ما يشهد به ويؤيده الواقع اللغوي كما سجل ذلك اصحاب كتب لحن العامة ، الذين انكروا هذا التطور كعادتهم وخطأوا الاستعمال ، لانه جرى بخلاف الاصل[٥٤] . والغريب هنا حقا متابعة عبـد اللطيف البغدادي لهم في تخطئة هذا الاستعمال الذي سببه تخصيص العام . اذ عده مما يضعه الناس غير موضعه ، مستشهدا على ذلك بقول سعيد بن جبير القائل : (كل شيء ينبت ثم يموت من عامه ، فهو يقطين)[٥٥] فسلك مذهبا متشددا في ذلك، وهذا لا يتفق تماما مع قوله السالف الذكر من ان تخصيص العام ليس غلطا لان الظاهرة واحدة . وليس من الصواب ان نعتمد الكلمة فيما كانت عليه من دلالة في الماضي ، ولا تنظر الى ما آلت اليه من دلالة جديدة بحكم التطور اللغوي ، ثم نخطيء الاستعمال العام ونقول بالتفرقة تبعا لذلك . لان هذه التفرقة القائمة على الدلالة القديمـة للكلمـة تبتعد عن واقع الاستعمال اللغوي ، ذلك ان الدلالة القديمة قد صارت شيئا تاريخيا منسيا في حياة الكلمة بسبب من تطورها الدلالي ، اذ هجرها الاستعمال او تناساها بل ان الاستعمال العام يجهل مثل تلك الدلالة التاريخية القديمة ولا يعنيه من الالفاظ الا دلالتها الحالية المتداولة والمستعملة فعلا .

ومن ذلك ايضا قصر دلالة الهلاك على الموت وحده ، في العربية .

---

(٥٣) اللسان مادة قطن : ١٢/٣٤٥

(٥٤) انظر : تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة للجواليقي : ١٢ وتقويم اللسان لابن الجوزي : ٢٠٨ ولحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ١٩٦ ، ٢٨١ .

(٥٥) ذيل الفصيح للبغدادي ص ٥ = ضمن فصيح ثعلب والشروح التي عليه وانظر قول ابن جبير في اللسان مادة قطن : ١٢/٣٤٥

والهلاك اعم واشمل من ذلك في الاصل ، حيث دلت المقارنات السامية على ان كلمة (هلك) تعني الذهاب مطلقا ، فهي في العبرية لكل نوع من الذهاب ، في حين تحدد معناها في العربية فاصبح مقصورا على نوع واحد من الذهاب ، وهو الموت . وقد ادى هذا التطور الى وقوع الترادف بين الموت والهلاك[٥٦] . ونختم هذه الامثلة بالحديث عن ترادف الريحان والاس ، فالريحان في الاصل اسم عام يشمل كل نبت طيب الريح كالورد والنعنع والشام[٥٧] . ولكن الاستعمال اللاحق خص به الآس دون سائر الرياحين ، وعلى وجه التحديد عند اهل الاندلس في القرن الرابع الهجري وعند اهل صقلية في القرن الخامس الهجري . وبهذا اصبحت الكلمتان بمعنى واحد بسبب هذا التخصيص وقد حكم الزبيدي وابن مكي الصقلي بالخطأ على هذا الاستعمال وصوباه بالرجوع الى الدلالة القديمة[٥٨] . ونرى انه كان ينبغي في الاقل الاعتراف بهذا في حدود بيئتي الاندلس وصقلية اللغويتين اللتين حدث فيهما هذا التطور واستعمل اهلها هذه الالفاظ مترادفة في ذلك الزمن المعلوم كما سجله الزبيدي والصقلي . وفي اللغة كثير من الالفاظ التي صارت تستعمل مترادفة نتيجة التطور الدلالي على سبيل تخصيص العام ، وسوف نأتي على ذكر أمثلة اخرى خلال هذا الفصل .

لقد ذكر الجاحظ ، (١٥٠ – ٢٥٥هـ) ان الناس يستعملون الفاظا بغير ما عرفت به دون مراعاة للفروق في استعمالها . اذ لاحظ عدة الفاظ لا يفرق الناس بينها في استعمالهم لها ، وهو يرى فروقا بينها قياسا الى الاستعمال

---

(٥٦) علم اللغة العربية ، د . محمود فهمي حجازي ص ١٤٨ ، وانظر في اللهجات العربية ص ١٧١ .

(٥٧) اللسان مادة روح : ٤٥٨/٢ .

(٥٨) لحن العوام للزبيدي : ٢٤١ وتثقيف اللسان وتلقيح الجنان : ٢٠٨ وينظر لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : ١١٠ ، ١٦١ .

القرآني . فيقول : (وقد يستخف الناس الفاظا ويستعملونها وغيرها احق بذلك منها . الا ترى ان الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع الا في موضع العقاب او في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر . والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة . وكذلك ذكر المطر ، لانك لا تجد القرآن يلفظ به الا فيموضع الانتقام . والعامة واكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث .. والجاري على افواه العامة غير ذلك ، لا يتفقدون من الالفاظ ماهو احق بالذكر واولى بالاستعمال .)[٥٩] والذي نراه في هذا النص المهم امران الاول يتعلق بموقف الجاحظ نفسه من هذه الظاهرة ، وهو انه لم يخطيء صراحة هذه الاستعمالات الدائرة في عصره كما فعل كثير من القدامى ، بل اكتفى بتسجيلها وتعليلها . فكانت ملاحظته اللغوية هذه وصفية وليست معيارية . والثاني يتعلق بحقيقة الفرق بين هذه الالفاظ . وفي ذلك نظر . ونحن اذا سلمنا بما ذهب اليه الجاحظ ، فمن السهل تفسير هذه الاستعمالات بالتطور الدلالي ، فالفرق بينها طفيف ودلالاتها متقاربة جدا . وعندئذ يكون تعليل الجاحظ لعدم تفرقة الناس بينها بسبب خفة اللفظ ، تعليلاً وجيها اذا ما ثبت الفرق بينها . الا اننا نتردد في ذلك ، اذ لم ترد كلمة « مسغبة » الا مرة واحدة في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى : (او طعام في يوم ذى مسغبة)[٦٠] وقد فسرت بالمجاعة دون فرق . يقول صاحب الكشاف في تفسير المسغبة التي وردت في القرآن الكريم : (والمسغبة والمقربة ، والمتربة ، مفعلات من سغب : اذا جاع ..)[٦١] وجاء في تفسير القرطبي : (قوله تعالى : « او اطعام في يوم ذي مسغبة » اي

---

(٥٩) البيان والتبيين : ١/٢٠

(٦٠) سورة البلد ، آية ١٤ . وانظر : المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ص ٣٥١ .

(٦١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ٤/٧٥٦ .

مجاعة . والسغب : الجوع . والساغب : الجائع .)[٦٢] كما روى عن ابن عباس قوله : (« في يوم ذي مسغبة » يعني ذي مجاعة بلغة هذيل .)[٦٣] واما صاحب اللسان فقد ذكر ان سغب الرجل وسغب سغبا وسغبا ومسغبة : جاع . والسغبة : الجوع ، وقيل : هو الجوع مع التعب . وقال الفراء في قوله تعالى : (في يوم ذي مسغبة) ، اي مجاعة . وفي الحديث : ما أطعمته اذ كان ساغبا ، اي جائعا . وفي حديث آخر : انه قدم خيبر باصحابه وهم مسغبون ، اي جياع . ويقال : يتيم ذو مسغبة اي ذو مجاعة[٦٤] .

ومن هذا يتضح لنا ان تفرقة الجاحظ ضعيفة من حيث الدلالة اللغوية لانه نظر اليها نظرة بلاغية تتعلق بالاستعمال القرآني واسرار تراكيبه البيانية ، ناهيك عن اختلافها عن تفرقة اللسان اذ معنى السغب فيه اشد من معنى الجوع على رأي من فرق بينهما وهذا بخلاف ما ذكره الجاحظ . واكثر أهل اللغة يسوون بين الجوع والسغب . ونرجح ان تكون هذه لغات قبائل مختلفة وايا كان الامر فان الاستعمال غالبا لا يفرق بينها بشهادة الجاحظ نفسه ، واما الغيث والمطر فسوف يأتي البحث فيهما مفصلا .

وبفعل التطور الدلالي نجد في القرن الثالث الهجري العديد من الالفاظ التي اصبحت مترادفة في لغة ذلك العصر ، بعد ان مكن الاستعمال لها واختفت تلك الفروق الدقيقة بين دلالاتها . فلم يعد الناس في استعمالهم اللغوي العام يفرقون بينها ولا يراعون التباين في معانيها ، بل انهم يجهلون ذلك تماما . وهذا ما لاحظه وصرح به ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ في مقدمة كتابه « ادب الكاتب » وجعله من اسباب تاليفه ، فقال : (فما رأيت احدا منهم يعرف فرق ما بين الوكع والكوع ولا الحنف من القدع ولا اللمى من اللطع ،

---

(٦٢) الجامع لاحكام القرآن لابي عبدالله محمد بن احمد الانصاري القرطبي ٢٠/٦٩

(٦٣) اللغات في القرآن ، المنسوب الى عبدالله بن عباس : ص ٥٢

(٦٤) اللسان مادة سغب : ١/٤٦٨

فلما رأيت هذا الشأن كل يوم الى نقصان وخشيت ان يذهب رسمه ويعفو اثره ، جعلت له حظا من عنايتي وجزءا من تاليفي ...)[٦٥] وبهذا كشف لنا المؤلف عن التطور الدلالي الذي حدث لطائفة من الالفاظ في عصره ، تلك الالفاظ التي صارت تستعمل بمعنى واحد وانمحت الفروق بينها نتيجة هذا التطور . وانما لعظيمة تلك الفائدة التي نجدها في تسجيل ابن قتيبة للالفاظ بحسب معانيها التي آلت اليها في عصره وكما يجرى بها الاستعمال فعلا ، وليس بحسب معانيها النقلية والمروية[٦٦] ، الا ان ابن قتيبة لم يسلم بهذا التغير الدلالي فذهب الى استنكاره وتخطئة استعماله ، وعزاه الى انحطاط المستوى العام للثقافة اللغوية انذاك ، وهذا عنده ما ينبغي تجنبه والتنبيه عليه . ومن اجل ذلك راح يصوب هذه الالفاظ التي تطورت دلالتها بالرجوع الى معانيها القديمة كما وردت عن الاقدمين ، وهو في ذلك كله يرفض اي معنى جديد عندما يراه مخالفا لما كانت عليه الكلمة من دلالة سابقة . وقد عقد لهذا الغرض بابا خاصا سماه : (باب معرفة ما يضعه الناس في غير موضعه) وهو الباب الاول من كتاب المعرفة الذي احتواه (أدب الكاتب)[٦٧] ونجد في هذا الباب جملة من الالفاظ التي يستعملها الناس بمعنى واحد كما نص على ذلك ابن قتيبة ، وهو يخطيء هذا ، ويقول بالفروق بينها من أجل تصويبها ومراعاة الصحة اللغوية في استعمالها . ومن هذه الالفاظ التي

---

(٦٥) ادب الكاتب : ٩
الوكع في الرجل ان تميل ابهامها على الاصابع حتى يرى اصلها خارجا ، والكوع في الكف ان تعوج من قبل الكوع ؛ والكوع راس الزند الذي يلي الابهام والكرسوع راس الزند الذي يلي الخنصر . والحنف ان تقبل كل واحدة من ابهامي الرجلين على الاخرى . وقيل الحنف ان يمشي الرجل على ظهر قدمه . والفدع في الكف زيغ بينها وبين عظم الساعد وفي القدم زيغ بينها وبين عظم الساق ... واللمى سمرة في الشفتين تخالطها حمرة وذلك مما يمدح به ؛ واللطع بياض الشفتين وذلك مما يذم به . عن الاقتضاب في شرح ادب الكتاب لابن السيد البطليوسي : ص ٣٠
وانظر : شرح ادب الكاتب الجواليقي ص ٥٤ — ٥٥
(٦٦) للفائدة انظر : العربية — يوهان فك : ص ١٣٢ — ١٢٢
(٦٧) ص ٢١

ترادفت بسبب التطور وخطأها ابن قتيبة معولا على الاستعمال القديم ، كلمة الطرب حيث استعملها الناس في الفرح دون الجزع ، ولكن المؤلف يذهب الى ان الطرب خفة تصيب الرجل لشدة السرور او لشدة الجزع . ويستشهد على ذلك بقول النابغة الجعدي :

وأراني طربا في اثرهم ... طرب الواله او كالمختبل[٦٨]

وهذا صحيح بالنظر الى الاصل او بالنسبة الى ذلك الاستعمال القديم بيد ان الاستعمال اللاحق قد خص الطرب بالفرح وحده ، وجرى بهما مترادفين . وتخصيص المعنى تطور دلالي .

ومن ذلك المأتم يذهب الناس الى انه المصيبة ، ويقولون كنا في مأتم ، ويصوب ابن قتيبة هذا بان المأتم انما هو النساء يجتمعن في الخير والشر[٦٩] . هذا صحيح باعتبار الاصل ايضا ولكن الاستعمال قد خص المأتم بالمصيبة فترادفت الكلمتان . ويكاد الناس لا يفرقون بين الخلف والكذب في استعمالهم اللغوي ، على حين يصر ابن قتيبة على التفرقة بينهما : فيجعل الكذب للماضي والخلف للمستقبل[٧٠] . وقد عقب عليه ابن السيد البطليوسي[٧١] بان الكذب قد جاء مستعملا في المستقبل في قوله تعالى : (ذلك وعد غير مكذوب)[٧٢] ولم يقيد الراغب الاصفهاني الخلف بزمن معين واما بشأن الكذب فقد ذكر ما يخالف رأى ابن قتيبة ، حيث قال : (الصدق والكذب اصلهما في القول ماضيا كان او مستقبلا وعدا كان او غيره)[٧٣] ولم نجد مثل هذه التفرقة في اللسان[٧٤] .

---

(٦٨) ادب الكاتب : ٢٢ — ٢٣ وانظر ديوان النابغة الجعدي : ص ٩٢ وفيه « فأراني » .
(٦٩) ادب الكاتب : ٢٤
(٧٠) المصدر نفسه : ٢٣
(٧١) الاقتضاب في شرح ادب الكتاب للبطليوسي : ١١٢
(٧٢) سورة هود : آية ٦٥
(٧٣) المفردات في غريب القرآن : ١٥٦ ، ٢٧٨
(٧٤) اللسان مادة كذب : ١/٧٠٤ وما بعدها

ويضع الناس الحشمة موضع الاستحياء ، ولا يرى ابن قتيبة ذلك صوابا لانها بمعنى الغضب كما حكي عن بعض فصحاء العرب . واستعمال الحشمة بمعنى الاستحياء او الحياء قديم ، بدلالة انكار الاصمعي له كما ذكر ابن قتيبة الذي تابعه في ذلك[٧٥] . وقد عقب الجواليقي على هذا بقوله : (الحشمة في اللغة لها موضعان ، احدهما الغضب والاخر الحياء . وقيل للمبرد : الحشمة ، الغضب والحشمة الحياء ، ما معنى ذلك ؟ فقال : الغضب والحياء كلاهما نقصان يلحق النفس ، فكان مخرجهما واحدا .)[٧٦] كما ذكر البطليوسي في رده ان الحشمة تكون بمعنى الاستحياء . وقد استعمل المتنبي الاحتشام بمعنى الاستحياء وذلك احد ما رد عليه من شعره ، فقال :

ضيف ألم برأسي غير محتشم والسيف أحسن فعلا منه باللمم[٧٧]

والحمد والشكر من الالفاظ المتقاربة في المعنى ، وبسبب هذا التقارب ، اختلطت دلالتهما حتى صارت واحدة ، ولم يعد الناس يفرقون بينهما زمن ابن قتيبة والعسكري . فقد جرى الاستعمال بهما مترادفين واختفى ذلك الفرق الدقيق بين معنييهما نتيجة التعميم والحمد في الاصل اعم من الشكر . وابن قتيبة يلاحظ هذا الاستعمال في عصره ويحكم عليه بالخطأ حيث يقول : (ومن ذلك الحمد والشكر لا يكاد الناس يفرقون بينهما ، فالحمد الثناء على الرجل بما فيه من حسن ، تقول : حمدت الرجل اذا أثنيت عليه بكرم او حسب او شجاعة واشباه ذلك ، والشكر له : الثناء عليه بمعروف اولاكه ، وقد يوضع الحمد موضع الشكر ، فيقال : حمدته على معروفه عندي كما يقال شكرت له ، ولا يوضع الشكر موضع الحمد ، فيقال شكرت له على شجاعته)[٧٨] . واما ابو هلال العسكري فقد فرق بينهما تفريقا طويلا ،

---

(٧٥) ادب الكاتب : ص ٢٢

(٧٦) شرح ادب الكاتب للجواليقي : ١٢٢

(٧٧) الاقتضاب في شرح ادب الكتاب : ١٠٨ ــ ١٠٩ وانظر ديوان المتنبي بشرح العكبري : ٣٤/٤

(٧٨) ادب الكاتب : ٢٧

يختلف عن التفريق الذي قال به ابن قتيبة ؛ فهو تارة يرجع الى اصل الكلمة في اللغة وتارة يفرق بينهما تفريقا كلاميا ، وثالثة يفرق بينهمـا تبعـا للفقـه والحكمة والشرع ، ورابعة من جهة البلاغة[٧٩] . ولا يكاد الباحث يحس بأية تفرقة لغوية واضحة فيها ؛ بل يكاد لا يفهم منها شيئا الا بجهد ومشقة .

ومن هذا يتضح لنا مدى تعسف وتكلف القائلين بالفروق وعدم اتفاقهم على فرق بعينه واغفالهم مسألة تطور دلالة الالفاظ . فهم يلتمسـون شتى الاعتبارات وان كانت غير لغوية من اجل القول بالتباين بين الالفاظ التـي عادت بمعنى واحد في مجرى الواقع اللغوي نتيجة تطورها الدلالي .

وهكذا يمضي ابن قتيبة في ملاحظة هذه الظاهرة ؛ فيعترف صراحة بأن الاستعمال اللغوي في عصره لم يعد يفرق بين : الظل والفيء ، وبين الال والسراب وبين العترة والذرية ؛ وبين الفقير والمسكين ؛ وبين الخائن والسارق ؛ وبين البخيل واللئيم وبين الاري والمعلف ؛ وبين الملة والخبزة ؛وبين الفاقرة والداهية ؛ وبين المزادة الراوية[٨٠] ؛ الى غير ذلك من الالفاظ التـي صـارت سواء من حيث الدلالة ؛ ولم يعد الناس يتبينون فروقا بينها ولا يراعـون ذلكم التباين في معانيها . وابن قتيبة ـ وغيره ـ اذ يحدث مثل هذا ويلاحظه ؛ وينص عليه شاكيا متبرما ؛ نجده يبين تلك الفروق الدقيقة بين هذه الالفاظ تبعا لمعانيها القديمة التي عفا عليها الزمن والاستعمال ؛ ذلك انه اتخذ من الدلالة القديمة معيارا وحيدا للصحة اللغوية فانكر اي تطور يحدث بخلاف ذلك ؛ وعده لحنا . وقد يلتمس فروقا غير لغوية ؛ او مما ليس موضع اتفاق

---

(٧٩) الفروق اللغوية : ٣٥ ـ ٣٦

(٨٠) ادب الكاتب الصفحات على التوالي : ٢٧ ؛ ٢٨ ؛ ٢٩ ؛ ٣٢ ؛ ٣٥ ؛ ٣٦ ؛ ٣٧ ـ ٣٨ ؛ ٣٨ ؛ ٥٦ ؛ ٦٥ ـ ٦٦ .

لدى اللغويين ، كما في تفرقته بين الفقير والمسكين[٨١] ، فهي ربما تصح في نظر بعض النقباء ولا تصح عند آخرين من أهل اللغة .

ومهما يكن موقف المؤلف ، فانه قد افادنا كثيرا في الوقوف على تغير المعاني لجملة من الالفاظ الى القرن الثالث الهجري ، وبفضل ذكره لدلالة الكلمة الحالية في عصره ودلالتها القديمة او الاصلية على سبيل المقارنة ، تتم معرفتنا لمدى التطور الذي حدث لهذه الالفاظ . وبهذا يكون من السهولة عندنا ان نعزو ترادف هذه الالفاظ المتقاربة في المعنى الى التطور الدلالي بمختلف سبله ، ذلك الذي ادى الى تداخل معانيها وسمح باطلاق اللفظة على الاخرى ، وبذلك اختفت تلك الفروق التي كانت عليها هذه الالفاظ . وسوف يأتي بيان هذا بالتفصيل في طائفة منها عند دراسة الفروق .

وقد لاحظ بعض الباحثين تشدد ابن قتيبة في مذهبه اللغوي ، وأخذوا عليه غلطه ووهمه في طائفة من المسائل التي ذكرها وجعلها من باب اللحن ، معولا في ذلك على ما رواه ابو حاتم عن الاصمعي ، كما اثبت هذا شارح كتابه ابن السيد البطليوسي الذي نبه على مواضع غلطه واشار الى وهمه في العديد منها ، ومتابعته الاصمعي في هذا المنحى المتشدد[٨٢] . كذلك رد عليه الجواليقي الذي شرح كتابه ايضا في بعض المسائل[٨٣] . واشار الى ذلك

(٨١) هذه المسألة قد اختلف فيها اهل اللغة كثيرا وتنازعوا حول تحديد الفرق الدقيق بين اللفظتين حتى نقض احدهم قول الاخر . فمذهب يونس بن حبيب ومن وافقه ان الفقير احسن حالا من المسكين ، ومذهب الاصمعي ومن وافقه ان المسكين احسن حالا من الفقير . وقد ذكر ابن قتيبة ان الفقير الذي له البلغة من العيش والمسكين الذي لاشيء له ، فغلطه الثعالبي وجعل العكس هو الصحيح ، وجوز ان يكون الفقير مثل المسكين دونه في القدرة على البلغة . ومن اللغويين من سوى بينهما . انظر تفصيل ذلك في : ادب الكاتب : ٣٥ وفقه اللغة للثعالبي : ٨٥ واللسان مادة فقر : ٥/٦٠ — ٦١ واصلاح المنطق : ٢٢٦ — ٢٢٧ . والاقتضاب في شرح ادب الكتاب : ١١٤ وشرح ادب الكاتب للجواليقي : ١٤٢ .

(٨٢) الاقتضاب في شرح ادب الكتاب : ١٠٦ .

(٨٣) شرح ادب الكاتب : ١٢٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦

من المحدثين الدكتور عبدالعزيز مطر ؛ حيث احصى اثنين وثلاثين لفظا تغير مجال استعمالها عما ورد عن العرب ؛ وكان ابن قتيبة قد جعلها من باب اللحن في المعاني وذكر معانيها الاصلية[٨٤] . وكذلك المستشرق يوهان فك الذي رأى في ابن قتيبة مثلا عن مبدأ (تنقية اللغة العربية) المتطرف ؛ واشار الى متابعته الاصمعي بما عرف عنه من تشدد وتزمت . كما لاحظ ان المطالب التي فرضها لمراعاة صحة اللغة وسلامتها لم يؤدها معاصروه على وجه الدقة ، بل هو نفسه قد اصطدم هنا وهناك بقواعده ، وحتى الشعر الرفيع في عصره لم يف بمطالب مبدأ تنقية اللغة[٨٥] .

وهكذا نرى ان هذا الحفاظ وذاك التشدد لم يستطيعا ان يوقفا تطور اللغة المستمر .

المجاز :

المجاز بنوعيه طريق واسع من طرق التطور الدلالي ؛ وهو من اهم السبل التي يتم بها انتقال مجال الدلالة . حيث ينتقل معنى الكلمة من محيط الى آخر بطرق ابرزها الاستعارة اي المجاز القائم على علاقة المشابهة ، والمجاز المرسل وهو الذي تكون علاقته غير المشابهة ؛ كالسببية والزمانية والمحلية والالية والمجاورة وباعتبار ما كان وما سيكون وغير ذلك من علاقات المجاز المرسل كما سبق بيانها . ويدخل في باب المجاز الكناية وذلك باعتبارها نوعا منه . وفي ضوء المجاز والكناية يمكن ان نفسر الكثير من ترادف الالفاظ ؛ وقد مرت بنا بعض من الامثلة على ذلك . ونظرا لاهمية هذا السبب في حدوث الترادف فقد رأينا ان نخصه بشيء من التفصيل .

يقول ابن جني في تعريف الحقيقة والمجاز وبيان الفرق بينهما : (الحقيقة : ما اقر في الاستعمال على اصل وضعه في اللغة . والمجاز : ما كان بضد

---

(٨٤) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : ٦٣

(٨٥) العربية : ١٣٢ ؛ ١٣٥

ذلك)[٨٦] . وهنا تكمن الصعوبة البالغة في الفصل والتفريق بين الحقيقة والمجاز ، اذا ما اخذنا بهذا المفهوم . وذلك اننا نجهل الكثير عن استعمال الالفاظ تبعا للوضع الاصلي في اللغة وعن كيفية اطلاق الاسماء على مسمياتها اول مرة ، وهذا ما يتطلب التوغل في التاريخ اللغوي السحيق الذي لا نستطيع الوقوف على حقائقه . حتى عاد البحث في الالفاظ بحسب اصل الوضع ضربا من الحدس والتخمين .

وقد لاحظ العلماء ـ من قدماء ومحدثين ـ ان قضية المجاز والحقيقة انما هي مسألة ليست ثابتة ، بل هي نسبية متغيرة ، ذلك ان الحقيقة والمجاز كثيرا ما يتبادلان هذه الصفة ، فهما في حركة دائبة وانتقال مستمر . فما كان حقيقة قد يصير مجازا ، وما كان مجازا قد يصير حقيقة . ومقياس ذلك هو الاستعمال والعرف اللغوي . وقد بين ابن جني انتقال المجاز الى الحقيقة ، ونص على ان المجاز اذا كثر لحق بالحقيقة[٨٧] على الرغم من تعريفه السابق لهما بحسب اصل الوضع في اللغة . كما نقل السيوطي عنهم قولهم : (ان الحقيقة قد تصير مجازا وبالعكس فالحقيقة متى قل استعمالها صارت مجازا عرفا ، والمجاز متى كثر استعماله صار حقيقة عرفا)[٨٨] .

وتختلف نظرة علم اللغة الحديث الى قضية الحقيقة والمجاز عن النظرة اللغوية التقليدية فتصنيف الدلالات الى دلالة حقيقية ودلالة مجازية يعكس تصورا استاتيكيا (ثابتا) للغة ، وكأن اللغة قد حددت معنى حقيقيا ثابتا لكل لفظ من الالفاظ ان خرج عنه المعنى كان مجازا . فكيف نعلم اصل الوضع وكيف نحدد المعنى الاصلي الاول لكلمة ما ؟ واللغة لم تصل الينا في طور نشأتها ، بل بعد الاف السنين من التداول الشفوي ، وهل لنا ان

---

(٨٦) الخصائص : ٢/٤٤٢ وانظر : الصاحبي حول مفهوم الحقيقة والمجاز : ص ١٩٦ وما بعدها .

(٨٧) الخصائص : ٢/٤٤٧ وما بعدها

(٨٨) المزهر : ١/٢٦٧ ـ ٢٦٨

نتحدث عن اصل الوضع عند دراستنا لكلمة عربية دون ان نبحث الكلمة في اللغات السامية مستخرجين الصيغة السامية التي هي اذهب في القدم[٨٩] .
ويرى فندريس ان المجاز وان كان هو السبب في خلق العديد من المعاني للفظة الواحدة في اللغة ، الا انه سريعا ما ينسى ، ويصبح المعنى الجديد الذي دخل اللفظ عن طريق المجاز لا يقل في حقيقته عن المعنى الاول الذي كان له .
ونحن اذا اردنا ان نحدد معنى الكلمة او معانيها ، فعلينا ان ننظر الى استعمالاتها كما هي اليوم ، لا الى تاريخها . ويقول فندريس : (في التسليم بأن للكلمات معنى اساسيا ومعاني ثانوية صادرة عن الاول اثارة لمسألة وجهة النظر التاريخية . ووجهة النظر التاريخية تلك لا قيمة لها هنا)[٩٠] .

ومن الباحثين المحدثين من يرى ان شرط المجاز ، هو ان يثير عند سامعه دهشة او غرابة . وقد جعلوا هذا مقياسا للفصل بين ما هو حقيقة وبين ما هو مجاز وتبعا لهذا ، فليس من المجاز عند هؤلاء ، تلك الاساليب التي تنوسيت فيها الناحية المجازية واصبحت من الشيوع والدوران بحيث لا تثير في الذهن دهشة او غرابة كما في طلعت الشمس وركب المخاطر[٩١] .
ففصل ما بين الحقيقة والمجاز في دلالة مثل هذه الالفاظ هو شعور الناس بكون اطلاق اللفظ على مدلوله هو تسمية مباشرة او نوع من التشبيه او المجاز لمناسبة بينهما[٩٢] .

وعلى الرغم من وجاهة نظرة المحدثين الى الحقيقة والمجاز ، فقد وافقوا القدامى في مسألة انتقال المجاز الى الحقيقة . يقول الدكتور ابراهيم انيس : (وحين تمر الايام على تلك المجازات ويكثر استعمالها ، لا تلبث ان تنسى

---

(٨٩) علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة : ٨٥
(٩٠) اللغة : ٢٢٨ — ٢٢٩ وانظر : الوجيز في فقه اللغة لمحمد الانطاكي ٢٧٢ — ٢٧٤ دور الكلمة في اللغة — ستيفن اولمان ص ١١٣
(٩١) في اللهجات العربية : ١٨١ — ١٨٢
(٩٢) فقه اللغة وخصائص العربية د.محمد المبارك ٢٢١

الناحية المجازية فيها ؛ وتصبح معانيها حقيقية •)[٩٣] ويقول الدكتور محمد المبارك ان استعمال اللفظ بالمعنى الجديد يكون في باديء الامر عن طريق المجاز ولكنه بعد كثرة الاستعمال وشيوعه بين الناس تذهب عنه هذه الصفة وتصبح دلالته على مدلوله الجديد دلالة حقيقية لا مجازية[٩٤] •

ومن هذا كله يتبين لنا انه ليس ثمة حد فاصل واضح كل الوضوح للتفريق بين الحقيقة والمجاز ؛ ذلك ان هذه المسألة ذات طبيعة متغيرة كما ذكرنا • ولهذا كثر الخلط بينهما • والناظر الى المعاجم يجد انها كثيرا ما تخلط بينهما ولا تنص على ذلك في معظم الاحوال • بل انها لم تعن بهذه الناحية لانها لم تتبع الالفاظ تتبعا تاريخيا بحسب تطورها من الحقيقة الى المجاز ، هذا اذا استثنينا الزمخشري الذي حاول في معجمه (اساس البلاغة) ان يصنف الدلالات على اساس الحقيقة والمجاز وان يعنى بالتفرقة بين المعاني الحقيقية والمعاني المجازية للكلمة وبدأ بالحقيقي منها ؛ فوقع في عدة اوهام بارجاعه المعاني الحسية الى المعنوية والصحيح هو العكس • كما عد المجاز حقيقة في بعض الالفاظ ؛ ومن هذا اعتباره الكتابة بمعنى النسخ حقيقة وبمعنى الخرز مجازا والصواب العكس • وقد اعترض على هذا المنهج في التفرقة بانه نظر الى المعاني الحقيقية والمعاني المجازية على انها ثابتة ؛ مع ان الحقيقة والمجاز كثيرا ما يتبادلان مراكزهما ؛ وهما في حركة دائبة وانتقال مستمر[٩٥] •

زد على هذا ان الباحث اللغوي الحديث ، يلاقي قدرا غير يسير من الصعوبة في الكشف عن الحقيقة والمجاز في الالفاظ وهذا ما بينه استاذنا الدكتور ابراهيم السامرائي في تحقيقه لعدة استعمالات لغوية ؛ حيث كشف عن طبيعة تطورها وانتقالها من المعنى الحقيقي الى المجازي ؛ ومنها استعمال

---

(٩٣) في اللهجات العربية ١٨١ ـ ١٨٢

(٩٤) فقه اللغة وخصائص العربية : ٢٢١ وانظر دور الكلمة في اللغة ص ١٧٧ ـ ١٧٨

(٩٥) البحث اللغوي عند العرب د . احمد مختار عمر : ١٦٠

الجريرة بمعنى الجناية والذنب ومنها الاستعمال الشائع : (انه راغم) او (على الرغم من) • وقد اثبت الدكتور السامرائي ان هذه الالفاظ بهذا الاستعمال ، انما هي على سبيل المجاز بعد ان وضح معانيها الحقيقية • وقد عبر عن الصعوبة في هذا الامر بأننا نجهل في كثير من الاحيان الظروف التي تسببت في اطلاق اقوال كتب لها الشيوع ودعت الى استعمالها استعمالا واسعا • وربما اجتهدنا الاجتهاد الدقيق في استعادة شيء من معرفة تلك الظروف[96] • كذلك تتمثل هذه الصعوبة كما قررها الدكتور السامرائي بقوله : (ولكن النظر في المعجم العربي القديم لا يبصر بهذه العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي الذي انتهت اليه المادة وخلصت له • وعلى هذا فان المعنى الحقيقي صار من قبيل المواد المهجورة لعدم الحاجة الى استعماله •)[97] وهذا ما يؤكد صعوبة الفصل بين الحقيقة والمجاز ومن ثم كثرة الخلط بينهما •

وعلى اية حال ، فان ما يعنينا هو كون المجاز سببا من اسباب الترادف في كثير من الالفاظ وذلك في ضوء ما قدمنا من انتقال المجاز الى الحقيقة وصعوبة التفريق بينهما • لان البحث في الاصول التاريخية لكثير من الالفاظ المترادفة ، يثبت لنا أنها في حقيقتها لم تكن اسماء اصيلة للشيء ، وانما اطلقت عليه وسمي بها عن طريق المجاز ولابد هنا من تفصيل القول في هذا •

ان كثيرا من المسميات في اللغة غالبا ما يعبر عنها باسماء مختلفة على سبيل المجاز وذلك لاسباب اجتماعية كثيرة كالعادات والتقاليد والاداب ولاعتبارات نفسية متنوعة كالتشاؤم والتفاؤل والحياء والخوف والحب وغير ذلك من العوامل والدوافع التي تدفع الناس الى تسمية الشيء تسمية مجازية بدلا من التعبير عنه باسمه الحقيقي الصريح • وقد تكون الخرافة من تلك

---

(٩٦) التطور اللغوي التاريخي : ٣٦ـ ٣٧

(٩٧) المصدر السابق ص ٣٧

الاسباب ؛ خاصة في تلك المجتمعات التي يسودها الاعتقاد بان ذكر الشيء باسمه الصريح يؤدي الى حضوره ؛ فيتحاشى الناس التلفظ بالكلمات الدالة على اشياء مخيفة مستعيضين عنها بالكنايات[٩٨] . وكثيرا ما يقع لدى المتوحشين ان يكون لبعض الالفاظ طابع من السرية والخفاء يمنع بعض الافراد من استعمالها . وليس هذا الامر مقصورا على الاقوام البدائية ؛ فاننا اذا رجعنا الى تاريخ اكثر اللغات مدنية ؛ وجدنا حوادث من هذا التحريم لا تقل صرامة عما عند الامم المتوحشة[٩٩] . وتعرف هذه الظاهرة لدى المحدثين بـ « تحريم المفردات » Taboo وقد بين بعضهم دور الكناية والاستعارة في تجديد المفردات وكثرتها وتنوعها للتعبير عن الشيء بسبب هذا التحريم . فالكناية ليست الا صورة مهذبة متحضرة مما يسمى تحريم المفردات وان اوضح علامة للدلالة على التحريم الذي اصاب بعض الافكار او بعض الاشياء هو وجود الاستعارات ، كما يقول فندريس[١٠٠] . وقد ذكر ستيفن اولمان ان استبدال الكلمات اللطيفة الخالية من اي مغزى سيء او مخيف بكلمات (اللامساس) يعد ضربا من ضروب حسن التعبير اي الكناية (euphemism) وان حسن التعبير وسيلة مقنعة بارعة لتلطيف الكلام وتخفيف رقعه . وتعمد اللغة الى استعمال هذه الوسيلة مع كل شيء مقدس او ذي خطر او مثير للرعب والخوف ؛ كما تطبقه على الاشياء الشائنة او غير المقبولة لدى النفس . ويقول ستيفن اولمان ايضا ان (حسن التعبير كالمبالغة وغيرها من ضروب المجازات ذات الدافع والباعث النفسيين ؛ قد تذهب اهميته ويؤول الى الانحطاط . فاذا ما كثر استعماله تعرض لفقدان خاصية الرقة واللطف فيه ؛ بدلا من ان يدل على الفكرة المحظورة بطريق غير مباشر يصبح مرتبطا بها

---

(٩٨) الوجيز في فقه اللغة : ٣٩٤ وانظر : دور الكلمة في اللغة : ص ١٧٧–١٧٨

(٩٩) اللغة ، فندريس : ٢٨١ ؛ وانظر دور الكلمة في اللغة لستيفن اولمان ص ١٧٤ وما بعدها .

(١٠٠) اللغة – ٢٨٠ – ٢٨٢ وانظر : علم اللغة العربية . حجازي ص ١٥–١٦

ارتباطاً مباشراً ، ومن ثم يصير غير ممكن الاستعمال كأسلوب من أساليب تلطيف الكلام)[101] .

ومهما يكن السبب الذي يكمن خلف التسمية المجازية والظرف اللغوي الخاص الذي استعملت فيه اول مرة ، ومهما تكن الاسباب والاعتبارات المتباينة التي اوحت الى الناس ان يسموا الشيء باسماء مختلفة ويطلقوا عليه العديد من الالفاظ على سبيل المجاز ، فانه بمرور الوقت يخلق الكثير من الاسماء المختلفة للشيء الواحد ، اذ ان هذه الاسماء المجازية : لطول العهد بها بها ولكثرة استعمالها وشيوعها : تنسى فيها الناحية المجازية ، ثم تصبح دالة على المسمى دلالة حقيقية لا مجازية ، وذلك على ما بيناه من انتقال المجاز الى الحقيقة بفعل الاستعمال ، بل ان دلالتها عليها اقرب الى الذهن من دلالتها الاصلية لشيوع المعنى الجديد وانتشاره بعد طول العهد بهذا الاستعمال[102] ، وهكذا يصبح امامنا في اخر الامر العديد من الاسماء المترادفة للمسمى الواحد ، ولهذا كان المجاز سببا مهما من اسباب ترادف الالفاظ ، وهذا ما عبر عنه بعض المحدثين بـ (المجازات المنسية)[103] ويبدو ان هذا التعبير غير دقيق لان المجاز نفسه ليس سببا للترادف ما لم يتحول الى حقيقة بفعل الاستعمال ، ولان انتقال المجاز الى الحقيقة هو السبب المباشر في حدوث الترادف ، وان كان باستطاعة الباحث احيانا ان يكشف التسمية المجازية ويميزها من التسمية الحقيقية الوضعية ، اذ لا قيمة هنا للصفة المجازية في الالفاظ سواء اكانت معروفة ام مجهولة ، فتلك مسألة تاريخية ، والمستعمل للغة لا يعنيه أكانت الالفاظ قد استخدمت استخداما مجازيا ام حقيقيا بقدر ما تعنيه دلالتها الحالية ، ولا شك ان الاستعمال غالبا

---

(101) دور الكلمة في اللغة ص ١٧٧–١٧٨ ولا يخفى ما في هذا النص المترجم من تعبيرات غير سليمة من الناحية اللغوية كقوله غير ممكن الاستعمال كاسلوب من اساليب ... » والصحيح أن يقال : « غير ممكن الاستعمال بصفته اسلوبا من » وفي النصوص المترجمة الاخرى شيء من هذا .

(102) فقه اللغة وخصائص العربية ص ٢٢١ .

(103) في اللهجات العربية : ١٧١ – ١٧٢

ما يجهل التفرقة بين الحقيقة والمجاز في كثير من الفاظ اللغة . وذلك ما ذهب اليه فندريس في تاكيده ان المعنى الجديد للكلمة الذي اكتسبته عن طريق الاستعارة قد ابعدها عن معناها الاصلي القديم ، وهذه الاستعارة مسألة تاريخية في حياة الالفاظ ؛ لا يقصدها المتكلم في استعماله للالفاظ بمعناها الجديد . وقد مثل فندريس لهذا الامر بقوله : (قد يعترض معترض فيقول بانه قد مرت لحظة كان يحس خلالها بان كلمة (ريشة) استعارة . ولكن هذه اللحظة لم تطل ، فأية كلمة في اللغة الجارية ليس لها الا معنى واحد في الوقت الواحد . اذ لما كانت ريشة الاوزة تستعمل في الكتابة ، كان الذي قال « اخذت ريشتي لاكتب كلمة » قد استعمل كلمة ريشة بمعنى اداة للكتابة ولم يقصد استعمال استعارة ، وسامعه لم يقدر غير هذا التقدير)[١٠٤] وهذا ما يؤكد ان التسمية المجازية لا تقل في اهميتها عن التسمية الحقيقية من حيث الدلالة على الشيء .. على انه لا يجوز اعتبار كل مجاز سببا للترادف على وجه الاطلاق . فرب معترض يقول ان من شروط الترادف الا يكون مجازا . وللجواب عن هذا نقول ان ذلك مقيد بما قدمنا من صيرورة المجاز حقيقة واختفاء الناحية المجازية في التسمية تماما ، او اننا نجهل ان هذا الاسم مجاز في الشيء وذاك حقيقة فيه . فالاسم الذي كان يدل على مسماه مجازا ثم شاع استعماله حتى صار دالا عليه دلالة اسمه الحقيقي الصريح هو الذي نعنيه هنا سببا للترادف . فما دامت مثل هذه الالفاظ قد أصبحت تدل على شيء واحد دلالة مباشرة ، دون ان نلمح فيها اي اثر مجازي ، بل نكاد نجهل انها مجاز البتة ؛ فلا مناص حينئذ ، في مثل هذه الحالة ، من التسليم بترادفها .

وعلى اساس المجاز الذي صار حقيقة ، نفسر الكثير من الالفاظ المترادفة فان التأمل في طائفة كبيرة من المترادفات والتحقيق فيها من الناحية التاريخية ، يبين لنا بوضوح انها في حقيقتها ، ليست اسما اصيلا للشيء ، وانما اطلقت عليه مجازا اول الامر . ولما كان كثير من هذه الاسماء المجازية قد استقر

(١٠٤) اللغة فندريس : ص ٢٢٩

مجازه مكان حقيقته في اذهان الناس بعد ان مكن الاستعمال له فقد اصبحت تدل على الشيء دلالة مباشرة حقيقية كدلالة اسمه الاصيل ، وبذلك صارت مترادفة . ومن امثلة ذلك ترادف الوغى والحرب . « والوغى في الاصل اختلاط الاصوات في الحرب ، ثم كثر ذلك فصارت الحرب وغى » بنص ابن دريد[١٠٥] . وتسمية الحرب وغى هي عندنا على المجاز المرسل لعلاقة المسبب ، وذلك لان الحرب مسببة لاختلاط الاصوات . وعلى المجاز المرسل ايضا نفسر ترادف الراوية والمزادة . اذ ان « الراوية هو البعير او الحمار الذي يستقى عليه الماء » ، والمزادة هي الوعاء الذي يكون فيه الماء[١٠٦] . وبسبب المجاورة في المكان انتقل معنى الراوية من الدابة التي يستقى عليها الى المزادة . فصارت الكلمتان بمعنى واحد . وغني عن البيان ان المجاورة هي احدى علاقات المجاز المرسل ، والعرب تسمي الشيء باسم غيره اذا كان مجاورا له او كان منه بسبب على حد تعبير ابن قتيبة[١٠٧] . وعلى هذا النحو نفسر قول ابن دريد : (والراوية : البعير الذي يستقى عليه ثم صارت المزادة راوية)[١٠٨] . ويبدو ان تسمية المزادة راوية قديم ، وذلك بدلالة ملاحظة ابن السكيت ـ ت ٢٤٤ هـ ـ لهذا الاستعمال والحكم عليه بالخطأ لانه بخلاف الاصل ، جاعلا اياه من باب ما يضعه الناس في غير موضعه ، حيث يقول : (وتقول : هي المزادة ، للتي يستقى فيها الماء ، ولا تقل راوية ، انما الراوية البعير او البغل او الحمار الذي يحمل عليه الماء)[١٠٩] كما لاحظ ابن قتيبة ـ ت ٢٧٦هـ ـ ان الناس يستعملون الراوية بمعنى المزادة ، الا انه لم يقل بتخطئته . وقد فسره بقوله : (وقولهم للمزادة راوية ، والراوية البعير الذي يستقى عليه

---

(١٠٥) الجمهرة لابن دريد : ٤٢٢/٢
(١٠٦) اللسان مادة روى : ٢٤٦/١٤ ـ ٢٤٧
(١٠٧) ادب الكاتب : ٢١
(١٠٨) الجمهرة : ٤٢٢/٢
(١٠٩) اصلاح المنطق : ٣٢١

الماء ؛ فسمي الوعاء راوية باسم البعير الذي يحمله)[110] وقد صوبه ابو بكر الزبيدي ـ ت ٣٧٩ هـ ـ على وجه تسمية الشيء بما قرب منه وما كان من سببه[111] . وهذا توجيه سديد . كذلك جوزه الجوهري (ت ٣٩٣ هـ) على سبيل الاستعارة بقوله (والعامة تسمى المزادة : راوية . وذلك جائز على على سبيل الاستعارة بقوله (والعامة تسمي المزادة : راوية . وذلك مذهب ابن السكيت في القول بالتخطئة ؛ على الرغم من اعترافه بان الناس يسمون المزادة راوية[113] .

ان هذا التباين في المواقف المتمثل بالجواز والانكار ازاء استعمال الراوية مرادفة للمزادة بسبب التطور الدلالي ؛ انما هو ناتج عن اختلاف اللغويين في مقياس الصواب اللغوي من حيث التوسع والاخذ بالمعنى الجديد او رفضه والمحافظة على القديم ومهما يكن موقف المنكرين المتشدد ؛ فلا شك ان في اطلاق الراوية على المزادة مجازا مرسلا وهو اشهر من ان يستدل عليه كما رأينا . وهذا ما تؤكده دراسة لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة[114] . ومعلوم ان المجاز المرسل صورة من صور التطور الدلالي الواضحة .

نموذج في مرادفات الداهية « دراسة » :

لعل من الامثلة الواضحة على حدوث الترادف بسبب المجاز والكناية ما نجده في ترادف الالفاظ الكثيرة على الداهية[115] ؛ وقد تناولنا بالدراسة

(١١٠) ادب الكاتب : ٦٥ ـ ٦٦
(١١١) لحن العوام : ٢٣٥ ـ ٢٣٧
(١١٢) الصحاح مادة روى : ٢٣٦٤/٦
(١١٣) تقويم اللسان : ١٣٢
(١١٤) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : ٢٨٦ ـ ٢٨٧
(١١٥) حول مرادفات الداهية الكثيرة والشواهد على استعمالها ينظر : الغريب المصنف ، باب الدواهي واسمائها ، ورقة ٢٢٨ آ ـ ب ، وكنز الحفاظ في كتاب تهذيب الالفاظ ، باب الدواهي : ص ٤٢٨ ـ ٤٣٧ ، وفقه اللغة وسر العربية ، فصل في الدواهي : ص ٣٠٩ ، والالفاظ الكتابية : ص ١٥٢ ـ ١٥٤ ، والمرصع : ص ٣٦١ ـ ٣٦٢ . والالفاظ المترادفة : ٢١ ، ٢٥ ـ ٢٦ ، والمخصص : ١٢٦/١٢ ـ ١٤٧ .

جملة من هذه الالفاظ لتكون نموذجا نبين فيه ما للمجاز من اثر كبير في ترادف الالفاظ . فلو تأملنا هذه الالفاظ التي عدت مرادفات للداهية تبين لنا ان اغلبها ليس بالاسماء الاصلية لها ، وانما استعيرت للدلالة عليها لمناسبة ما . فقد اطلق على الداهية كثير من الاسماء المختلفة على سبيل المجاز ، وكني عنها بالعديد من الالفاظ لاعتبارات مختلفة ووجوه متفاوتة ، بدلا من التعبير عنها باسمها الحقيقي الصريح . ولما كثر استعمال تلك الاسماء المجازية في معنى الداهية وطال العهد بها ، اندرست معانيها الاصلية او كادت تجهل ، فانتقلت الى الدلالة على الداهية ، حتى صارت حقيقة فيها ، لا يلحظ فيها اي اثر للمجاز .

فمن اسماء الداهية التي ترادفت على هذا النحو مثلا : « النَّيْرَب » التي اصلها النميمة . يقول ابن دريد : « رجل ذو نيرب ، اي ذو نميمة واصله فيما يزعم بعض اهل اللغة من النرب ، والياء زائدة ، وربما سميت الداهية نَيْرَباً »[116] .

وفي ضوء العلاقة بين المدلولين يمكن ان نفسر تسمية الداهية نيرباً بالمجاز المرسل الذي علاقته السببية ، وذلك باعتبار النميمة سببا للداهية .

ومن مرادفات الداهية : أم حَبَوْكَرٍ او حَبَوْكَرَى أو حَبَوْكَران . وتُلْتَقَى منها « أم » فيقال : وقع في حَبَوْكَرٍ . ويقال : جاء فلان بأم حبوكرى اي بالداهية . (واصله الرَّمْلَةَ التي يُضَلُّ فيها ، ثم صرفت الى الدواهي .) على حد قول ابن السكيت[117] . وهذا الترادف يمكن

---

(116) الجمهرة : ٢٧٧/١ ، والمزهر : ٤٣٢/١ . وفي اللسان مادة نرب : ٧٥٥/١ ان النيرب هو الشر والنميمة ، ونيرب الرجل : سعى ونم ، ورجل نيرب وذو نيرب اي ذو شر ونميمة ، وامراة نيربة ، والنيربة النميمة .

(117) كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الالفاظ : ص ٤٣٢ ، والمخصص : ١٤٤/١٢ ، وينظر : اللسان مادة حبكر : ١٦٢/٤ ، والدرة الفاخرة في الامثال السائرة ، لحمزة الاصفهاني : ٤٨٥/٢ ، وجمهرة الامثال لابي هلال

تفسيره ايضا بالمجاز المرسل للعلاقة السببية بينهما ، وذلك باعتبار هذه الرملة التي يضل فيها السالك سببا للداهية ، أو باعتبار العلاقة المكانية .

كذلك من اسمائها : (الدهَيْثم) يقال : جاء بالدهيم اي بالداهية . والدهَيْثم كانت في الاصل اسم ناقة ثم استعيرت فيما بعد للدلالة على كل داهية ، وسبب ذلك كما ذكروا ان قوما من العرب خرجوا للغزو فقتل منهم سبعة اخوة ؛ فحملت رؤوسهم على ناقة عمرو بن الزبان واسمها الدهيم ؛ حتى رجعت بهم ، ثم صارت الدهيم ؛ مثلا في كل داهية وصارت علما لها نتيجة اقترانها بهذه الحادثة[118] ، وكتب اللغة والامثال تكاد تجمع على سبب تسمية الداهية بالدهيم على هذا الوجه ؛ ومثل هذا تسمية الداهية باللتيا والتي وهي الداهية الكبيرة والصغيرة وكني عن الكبيرة بلفظ تصغير تشبيها بالحية ؛ فانها اذا كثر سمها صغرت ، لان السم يأكل جسدها ، وقيل الاصل فيه ان رجلا تزوج امرأة قصيرة ؛ فقاسى منها الشدائد وكان يعبر عنها بالتصغير ؛ فتزوج امرأة طويلة فقاسى منها ضعف ما قاسى من الصغيرة ؛ فطلقها وقال : بعد اللتيا والتي لا أتزوج أبدا ، فجرى ذلك على الداهية ، وفي الامثال : جاء بعد اللتيا والتي ؛ يكنى بهما عن الشدة ، وهما علمان للداهية ؛ ولهذا استغنيا عن الصلة[119] .

ومن اسمائها : « الفاقِرة » يقال : عمل به الفاقرة أي الداهية . وقد جاءت في قوله تعالى : (تَظُنُّ أن يفعل بها فاقرة)[120] . قال ابو

العسكري : ٤٧/١ ؛ ومجمع الامثال للميداني : ٢٦١/٢ . والمرصع : ص ١٤٠ .

(١١٨) اللسان مادة دهم : ٢١١/١٢ — ٢١٢ ؛ وكنز الحفاظ : ص ٤٢٨ ؛ والمزهر ٢٥٦/٢ ؛ وجمهرة الامثال : ٤٧/١ ؛ ١٢٦ ؛ ١٢٥ ؛ ٢٩٣ ؛ ومجمع الامثال : ١٥٦/١ ؛ ٢٠٥ ؛ والدرة الفاخرة في الامثال السائرة : ١٠٤/١ ؛ ٢٤٠ — ٢٤١ ؛ والمرصع : ص ١٦٩ .

(١١٩) مجمع الامثال : ٩٢/١ ؛ و١٦٤ ؛ وينظر : جمهرة الامثال ٢٢٢/١—٢٢٤

(١٢٠) سورة القيامة : آية ٢٥ .

اسحق في معناها : « توقن ان يفعل بها داهية من العذاب ونحو ذلك » واصل « الفاقرة من الفَقْر وهو الوسم الذي يَفْقِر الأنف » ؛ وهي اذلال البعير وترويضه من قولهم : « قد فَقَرْتُ أنفَ البعيرِ أفْقِره ، اذا حَزَزْتَه بحديد او مَرْوة ثم وضعتَ على موضع الحزّ الجَرير وعليه وتَر ملوي لتذله به وتروضه . ومنه قيل : عمل به الفاقرة » ، بمعنى الداهية[١٢١] .

وهنا انتقلت دلالة الكلمة من المجال المادي الى المجال المعنوي . وواضح ان في تسمية الداهية فاقرة مجازا علاقته المشابهة ، اي انهم شبهوا الداهية بالفاقرة التي تعمل للبعير .

ومن أسمائها : « سَلاَ جَمل » وقد بين ابن السكيت الوجه في اطلاق هذه التسمية على الداهية بقوله : (وقع فلان في سَلاَ جمل اذا وقع في امر وداهية لم يُرَ مثلها ولا وجه له ، لان الجمل لا يكون له سلا ؛ انما هو للناقة فشبه ما وقع فيه بما لا يكون ولا يرى)[١٢٢] ، وجاء في اللسان : (وقع القوم في سَلَى جمل ، ووقع في سلى جمل اي في امر لا مَخرَجَ له لان الجمل لا سلى له ؛ وانما يكون للناقة)[١٢٣] ، وكذا جاء في كتب الامثال[١٢٤] .

ومن اسمائها : « عَرَقَ القِرْبَة » يقال : لَقِيَ منه عَرَقَ القِرْبَة ،

---

(١٢١) اصلاح المنطق : ص ٢٥١ ، وكنز الحفاظ : ص ٤٣٦ ، واللسان مادة فقر : ٦٢/٥ ، ٦٤ .

(١٢٢) كنز الحفاظ : ص ٤٢٨ ، وفيه : « قال ابو بكر : والصواب ان يكتب بالياء لانه يقال شاة سلياء » وفي شرح التبريزي (سلى) بدلا من سلا ؛ ص ٤٢٨ . وفي فقه اللغة وسر العربية : « وقعوا في سلى جمل » ايضا . ص٣٠٩ ، وكذا في اللسان وبعض كتب الامثال .

(١٢٣) اللسان : مادة سلا : ٣٩٦/١٤ . وينظر : المخصص : ١٣٨/١٢ .

(١٢٤) الدرة الفاخرة : ٢٩٦/١ ، وجمهرة الامثال : ٦٤/٢ ، ٣٣٦ ، ومجمع الامثال : ٢٦٠/٢ .

اي امرا شديدا[١٢٥] . ولاهل اللغة اراء مختلفة بشأن هذه التسمية والاصل فيها .

قال الكسائي عرق القربة اي يقول تَعِبْتُ لك وتكلفت وتعبت حتى عَرِقْتُ كعرق القربة ، وعرقها سيلان مائها . وقال ابو عبيدة : تكلفت اليك ما لا يبلغه احد حتى تجشمت ما لا يكون لأن القربة لا تعرق . وقال الاصمعي عرق القربة معناه الشدة ولا ادري ما أصله . وقيل اراد اني قصدتك وسافرت اليك واحتجت الى عرق القربة وهو ماؤها . وقيل : لقيت منه عرق القربة اي شدة ومشقة ، معناه ان القِرْبة اذا عرقت وهي مدهونة خبث ريحها . وقال ابن الاعرابي : كلفت اليك عرق القربة وعلق القربة ، فاما عرقها فعرقك بها عن جهد حملها ، وذلك لان اشد الاعمال عندهم السقي . وقال الجوهري فيها : العرق انما هو للرجل لا للقربة ، وأصله ان القرب انما تحملها الأماء الزوافر ومن لا معين له ، وربما افتقر الرجل الكريم واحتاج الى حملها بنفسه فيعرق لما يلحقه من المشقة والحياء من الناس ، فيقال : تجشمت لك عرق القربة . وقيل غير ذلك[١٢٦] . وايا كان الوجه فهذه التسمية ليست حقيقية وذلك بدلالة ما جاء في اللسان من ان العرق هو ما جرى من اصول الشعر من ماء الجلد ، هو في الحيوان اصل وفيما سواه مستعار[١٢٧] .

ومن اسمائها : « أم ادْرَاص » يقال : وقع في ام ادراص وهي الدواهي واصله جِحَرة الفأر . ووقع في ام ادْرَاصٍ مُشْكِلة اي في موضع استحكام الهلكة . يضرب ذلك في موضع الشدة والبلاء . لان ام ادراص جحرة محثية ، اي مَلأى ترابا ، فهي ملتبسة ، والدِّرْص هو ولد الفأر واليربوع والقنفذ

(١٢٥) كنز الحفاظ : ٤٣١ .

(١٢٦) اللسان : مادة عرق : ٢٤٠/١٠ — ٢٤١ ، وينظر مجمع الامثال ١٤٧/١ وجمهرة الامثال : ١٩٨/٢ .

(١٢٧) اللسان مادة عرق ٢٤٠/١٠ .

والارنب ونحوها ، وأم ادراص : اليربوع[١٢٨] . ونحو هذا ما جاء في كتب الامثال[١٢٩] .

ومن اسمائها : « الصِل » ، واصله الحية التي تقتل من ساعتها ، وقيل الحية التي لا تنفع فيها الرقية .[١٣٠] وعلى هذا تكون تسمية الداهية بالصل مجازا علاقته المشابهة .

ومن اسمائها : « الرَّقِم » يقال : وقع فلان في الرَّقِم الرَّقشاء ، اي في الداهية الدهياء . واللغويون اذ ينصون على ان الرقم هي الداهية ، لا يبينون الوجه في اطلاق هذه اللفظة على الداهية . ومن السهولة معرفة المناسبة في هذه التسمية ، اذا ما علمنا ان الرقم هي الحية الرقشاء وهي من اخبث الحيات واطلبها للناس[١٣١] . وبهذا يكون استعمال الرقم بمعنى الداهية قد جرى على وجه الاستعارة لعلاقة المشابهة ايضا .

ويصدق هذا التفسير على تسمية الداهية بـ « أمّ الرُبَيق » يقال : جاء بأم الربيق على أُرَيْق . يضرب مثلا للرجل يجيء بالداهية وهي أم الرُبَيْق ، وأُرَيْق تصغير أوْرَق . وقد ذكر الاصمعي ان الاورق شر الابل ، وقال : تزعم العرب انه من قول رجل رأى الغُول على جمل أوْرَق ، فقال : جاء أم الربيق على اريق ، والرِّبْقَة في الاصل عُروة في حبلٍ تجعل في عنق لبهيمة او يدها تمسكها ، وقيل ان الرِّبْق والرُبقة ، الحبل والحلقة تشد بها الغنم الصغار لئلا ترضع[١٣٢] .

---

(١٢٨) كنز الحفاظ : ص ٩٢ ، ٤٣٢ . واللسان مادة در ص : ٣٥/٧ .
(١٢٩) الدرة الفاخرة : ٤٨٥/٢ ، وجمهرة الامثال : ٤٣/١ ، ٤٧ ، ٨/٢ ، ومجمع الامثال : ٢٣١/١ ، المرصع : ٥٩ ، ١٦٧ .
(١٣٠) كنز الحفاظ : ص ٤٣٢ ، واللسان مادة صلل : ٣٨٥/١١ ، وينظر : جمهرة الامثال : ٣٥٧/٢ ، ومجمع الامثال : ٢٧/١ .
(١٣١) كنز الحفاظ : ص ٤٢٨ ، ٤٣٤ ، واللسان مادة رقم : ٢٤٩/١٢ـ٢٥٠ ، وينظر : جمهرة الامثال : ٤٧/١ ، والمرصع : ص ١٨٦ ، ١٨٨ والمخصص ١٢٩/١٢ . ومجمع الامثال ١٢/١ ، ١٦٩ ، والدرة الفاخرة : ٤٨٥/٢ .
(١٣٢) كنز الحفاظ : ٤٣٠ ــ ٤٣١ ، والمخصص : ١٤٤/١٢ ، واللسان : مادة ربق : ١١٢/١٠ ــ ١١٤ . ومادة ارق : ٥/١٠ .

وقال ابو عبيد : ام الربيق الداهية ، واصله من الحيات وقال الميداني : هـذا التركيب يدل على شيء يحيـط بالشيء ويدور به كالرِّبقـة ، ورَبقت فلانا في هذا الامر ، اي اوقعته فيه حتى ارتَبَقَ واربتك ، فكأن أم الربيق داهية تحيط وتدور بالناس حتى يرتبقوا ويرتبكوا فيها(١٣٣) • وارجح هذه الوجوه ما ذكره الميداني بدلالة ما جاء في اللسـان من معنى الربق في الاصل •

ومن اسـمائها : « أم طَبق واحـدى بنات طَبق » يقال : لقيـت منـه بنات طبق وهي الداهية ، وجاء باحدى بنات طبق اي الداهية • ويروى ان اصلها الحية ، اي انها استدارت حتى صارت مثل الطَّبَق • وقيل بنـت طبق سُلَحْفاة ، تزعم العرب انها تبيض تسعا وتسعين بيضة كلها سَلاحِف ، وتبيض بيضة تَنْقَتِف عن اسودَ ، اي عن حية • وقيل : قيل للحيات بنـات طبق لاطباقها على من تلسعه ، وقيل انما قيل لها بنات طبق لان الحواء يمسكها تحت اطباق الأسفاط المجلّدة(١٣٤) •

ومن اسـمائها « صَمَامِ » يقال للرجـل يجيء بالداهيـة : صَمّي صَمَامِ ، اي اخرسي يا صمام • واصلها الحية فيما يقال ، فكأنه قيل لا تجيبي الراقي ايتها الحية ودومي على حالك وبذلك تتم الداهية(١٣٥) •

ومثل هذا قولهم للداهية « ابنة الجبل » يقال : صمي ابنة الجبل ، اي

---

(١٣٣) مجمع الامثال : ١/١٦٩ ، وينظر : الدرة الفاخرة : ٢/٤٨٤ ، وجمهرة الامثال : ١/٤٧ ، والمرصع : ص ١٨٥ .

(١٣٤) كنز الحفاظ : ص ٤٣٥ ، والمخصص : ١٢/١٤٥ ، واللسان مادة طبق : ١٠/٢١٣ - ٢١٤ ، وينظر : الدرة الفاخرة : ٢/٥٠٣ وجمهرة الامثال : ١/٤٢ ، ١٨٠ ، والمرصع : ص ٢٣٠ - ٢٣١ ، ٢٣٤ - ٢٣٥ .

(١٣٥) كنز الحفاظ : ص ٤٣٥ ، واللسان مادة صمم : ١٢/٢٤٤ - ٢٤٥ ، وينظر الدرة الفاخرة : ٢/٤٩٩ ، وجمهرة الامثال : ١/٥٧٨ ، ومجمع الامثال : ١/٣٩٦ ، والمرصع : ص ٢٢٣ .

الخرسي ايتها الداهية ، واصلها الحية ايضا ، لان الجبل مأواها . وقيل ان الاصل في « ابنة الجبل الحية التي لا تجيب الراقي » وقيل : قيل للداهية : ابنة الجبل لانها تثقل كأنها جبل . وقيل ان ابنة الجبل هي الصدى ، وهو الصوت الذي يرجع اليك من الجبل .

وقيل غير ذلك[١٣٦] ونرى ان الوجه في تسمية الداهية بهذا الاسم هو اما تشبيه لها بالحية او بالجبل لثقله .

ويقال للداهية : « المُؤْيِد » يقال : رماه الله باحدى المؤائد والمآود اي الدواهي . وقد بين ابن كيسان الاصل فيها فقال ان مُؤْيِد مُفْعِل من الأَيْد وهو الشدة والقوة . واما مُوئِد فمن الوَأْد وهو القتل بالدفن . فهذان وجهان كل واحد منهما من اشتاق ليس من صاحبه . والذي ذهب اليه ابو يوسف انهما شيء واحد قدمت الهمزة فيه وأخرت . ويكون كل واحد منهما على حياله في معنى الداهية[١٣٧] .

ويقال لها : « العَنَاق » واصلها دابة اصغر من الفهد تصيد كل شيء حتى الطير ، وتأكل اللحم وتعد من السباع . وقد استعيرت للدلالة على الداهية والخيبة وذلك ان العناق هذا طائر لا خير فيه ، وفي المثل : « لقي عَنَاقَ الارض ، وأُذُنَي عناق » اي داهية قيل : يريد انها من الحيوان الذي يصطاد به اذا علم . وقيل ان العناق بمعنى الخيبة ، ومنه يقال : لقيت اذني عناق اي داهية[١٣٨] . يوضع العناق موضع الخيبة .

---

(١٣٦) كنز الحفاظ : ٤٣٥ — ٤٣٦ ، واللسان مادة جبل : ٩٧/١١ ، وينظر : الدرة الفاخرة : ٤٩٩/٢ ، جمهرة الامثال : ٤١/١ ، ٢١٤ ، ٥٧٨ ، مجمع الامثال : ٣٩٤/١ ، المرصع : ص ١٢٩ — ١٣٠ .

(١٣٧) كنز الحفاظ : ص ٤٣٤ . وقول ابن كيسان هذا من جملة ملاحظاته اللغوية على الفاظ ابن السكيت والمطبوعة بحواشي الكتاب والمقصود بابي يوسف ابن السكيت . وينظر : اللسان مادة ايد : ٧٦/٢ — ٧٧ ، ومادة وأد : ٤٤٢/٢ ، ومادة أود : ٧٤/٢ — ٧٥ .

(١٣٨) كنز الحفاظ : ص ٤٣٦ ، واللسان مادة عنق : ٢٧٥/١٠—٢٧٦ وينظر : مجمع الامثال : ١٦٢/١ .

ويقال لها : « العَنْقاء » واصلها طائر ضخم ليس بالعقاب ؛ وقيل العنقاء اسم لا مسمى له ؛ وقيل : إنها طائر كانت تنقض على الطير فتأكلها فجاءت وانقضت على صبي فذهبت به فضربتها العرب مثلا للداهية فقالت : طارت بهم العنقاء وألوت به العنقاء . وقيل فيها غير ذلك[139] .

ويقال لها : « أمّ صَبّور وأم صَبّار » وهي في الاصل : الهَضْبة التي ليس لها منفذ ؛ شبه بها الامر الملتبس كالداهية والحرب الشديدة . يقال وقع القوم في أمّ صَبّور اي في امر ملتبس شديد ليس له منفذ كهذه الهضبة التي لا منفذ لها . وتروى احيانا « أمّ صَيّور » بالياء ؛ قيل كأنها مشتقة من الصّيارة وهي الحجارة الغليظة المجتمعة الشديدة[140] .

ويقال لها : « تَغَلّسُ » وتروى « تُغُلّس » يقال : سقط فلان في تَغَلّسُ وهي الداهية . والغَلَس هو ظلمة اخر الليل اذا اختلطت بضوء الصباح . وقد كانت الغارات تقع بغَلَسٍ اي بكرة . وعلى هذا تكون تسمية الداهية بهذا الاسم على سبيل المجاز المرسل الذي علاقته الزمانية ؛ واما اذا كان « تغلس » اسم واد كما قيل ؛ فتكون علاقة المجاز عندئذ المكانية[141] .

ويقال لها : « أُغْوِيّة » ومنه قولهم : وقع فلان في أُغْوِيّةٍ ، اي في داهية والاغوية كالمُغَوّاة وهي حفرة كالزبية تحتفر للذئب ويجعل فيها جَدْي ؛ اذا نظر الذئب اليه سقط عليه ؛ يريده فيصاد ؛ وفي الامثال من حفر مغواة وقع فيها ؛ ومن هذا قيل لكل مَهْلَكة مُغَوّاة على التشبيه[142] .

---

(139) كنز الحفاظ : ص 436 ؛ واللسان مادة عنق : 276/10 ؛ وينظر : جمهرة الامثال : 16/2 .
(140) كنز الحفاظ : ص 96 ؛ واللسان مادة صبر : 441/4 — 442 ؛ وينظر : المخصص : 139/12 ؛ والمرصع : ص 220 — 221 .
(141) كنز الحفاظ : ص 92 ؛ واللسان مادة غلس : 156/6 ؛ ومادة تغلس : 32/6 ؛ وينظر : مجمع الامثال : 369/2 .
(142) كنز الحفاظ : ص 432 ؛ واللسان مادة غوي : 141/15 — 142 ؛ وينظر : جمهرة الامثال : 289/2 .

ويقال لها « الزَّبِير » يقال : جاء بالزبير اي بالداهية . واصل الزَّبْرَة : الشعر الذي بين كتفي الاسد . وقيل : هو شعر مجتمع على موضع الكاهل من الاسد وفي مِرْفَقَيْه ؛ وكل شعر يكون كذلك مجتمعا فهو زُبْرَة[143] . وتسمية الداهية زبيراً استعارة ؛ بيد انه يصعب ان نستدل على العلاقة بينهما ولعلها الشدة والقوة لانه يقال للرجل الشديد القوي الزبير والزبر .

ويقال لها : زَبَّاءُ ذاتُ وَبَر ؛ تشبيها لها بالناقة النفور لصعوبتها ؛ اذ ان الأَزَبَّ هو الكثير الوبر والشعر من النوق ؛ لا يكاد يكون الا نفوراً ؛ لانه ينبت على حاجبيه شعيرات ؛ فاذا ضربته الريح نفر .

وفي المثل : كل أَزَبَّ نَفُور وانفر من أَزَبَّ . لان البعير الازب يرى طول الشعر على عينيه فيحسبه شخصا ؛ فهو نافر ابدا . وقال ابن الاعرابي : الأزب من الابل : شر الابل وانفرها نفارا[144] .

ومن اسماء الداهية التي ترويها كتب اللغة « القِنْطِر والقِنْطِير » يقال : جاء فلان بالقنطر او بالقنطير اي بالداهية . ولم نستدل على اصلها ؛ ولعلها من قطر بمعنى رماه على قطريه اي جانبيه حيث يقال : طعنه فقطره ؛ أي ألقاه على قطره اي جانبه ؛ فتقطر اي سقط ؛ ثم استعيرت للداهية باعتبار انها تقطر بصاحبها[145] .

---

(١٤٣) كنز الحفاظ : ص ٤٣٢ ؛ اللسان مادة زبر : ٢١٦/٤ — ٢١٧ .

(١٤٤) كنز الحفاظ : ص ٤٢٨ ؛ واللسان مادة زبب : ٤٤٤/١ ؛ وينظر : الدرة الفاخرة : ٢٦٨/٢ ؛ وجمهرة الامثال : ١٥٤/٢ ؛ ٢١٧ ؛ ومجمع الامثال ٢٥٥/٢ .

(١٤٥) الغريب المصنف : ورقة ٢٢٨ وكنز الحفاظ : ص ٤٢٨ ؛ واللسان مادة قطر : ١٠٦/٥ — ١٠٧ ؛ ومادة قنطر : ١١٨/٥ — ١١٩ .

ومن اسمائها « الأُرَبْيَ » وفي اطلاق الاربى على الداهية وجهان كلاهما على الاستعارة ، فهي اما من قولهم : ارب في ذلك الامر ، اي بلغ فيه جهده وطاقته وفطن له ، لأن اصل الأرْب هو الدهاء والمكر . وأما ان تكون كالأُرْبَة وهي العقدة[١٤٦] ، فاستعيرت للداهية على التشبيه ويبدو ان هذا الوجه هو الاقرب .

ومن اسمائها : « الطَّلاَطِلَة » يقال : رماه الله بالطلاطلة اي بالداهية : واصلها الداء العضال الذي لا دواء له ، وقيل انها سقوط اللهاة[١٤٧] . وعلى هذا فاطلاق هذه التسمية على الداهية تشبيه لها بهذا المرض العضال او لأن هذا الداء سبب للداهية . وايا كان الوجه فالعلاقة بين المدلولين قريبة .

ومنها « ذات العَرَاقي » يقال : لقيت منه ذات العراقي اي الداهية . قيل سميت بذلك لأن ذات العراقي هي الدلو ، والدلو من اسماء الداهية . وقيل : ان العرقوة والعراقي من الجبال : الغليظ الصعب المرتقى ، وبه سميت الداهية ذات العراقي ، كما قال الازهري[١٤٨] .

ومنها « الذَّرَبَيَّا » وفيها عدة صور ، يقال : لقيت منه الذربيا والذَّرَبين والذَّرَبى ، اي الداهية . وهذه التسمية على الاستعارة ايضا أخذا من قولهم : ذرب الجرح اذا فسد واتسع ولم يقبل البرء والدواء ، ومنه الذربيا بمعنى الداهية كما ورد في اللسان[١٤٩] .

ومنها « ثالثة الأَثَافي » يقال : رماه الله بثالثة الاثافي ، اي بالداهية وقد سميت بها على الاستعارة ايضا ، ذلك ان حقيقة « ثالثة الاثافي » هي الجبل

---

(١٤٦) كنز الحفاظ : ص ٤٢٩ ، واللسان مادة ارب : ١/٢٠٩ ، ٢١١ ، وينظر : جمهرة الامثال : ١/٢١٣ .

(١٤٧) الغريب المصنف : ورقة ٢٢٨ آ ، وكنز الحفاظ : ص ٤٢٨ ، واللسان مادة طلل : ١١/٤٠٨ ، وينظر : مجمع الامثال : ١/٣٠٤ .

(١٤٨) كنز الحفاظ ص ٤٣٢ ، واللسان مادة عرق : ١٠/٢٤٨ — ٢٤٩ ، وينظر : المرصع : ص ٢٥٨ .

(١٤٩) الغريب المصنف : ورقة ٢٢٨ ب وكنز الحفاظ : ص ٤٣٢ ، واللسان مادة ذرب : ١/٢٨٧ .

أو القطعة منه ؛ شبهت الداهية به . قال ابن كيسان : سالت ابا العباس عن ثالثة الاثافي فقال : الجبل تجعل صخرتان الى جانبه وتنصب عليه وعليهما القدر ؛ فهو ثالث للثفيتين اللتين جعلتا الى جنبه وهو اعظم الاثافي[150] . وقال الميداني بشأن قولهم : رماه الله بثالثة الاثافي ، انه يضرب لمن رمي بداهية عظيمة ؛ لان الاثافي ثلاثة احجار ؛ فاذا رماه بالثالثة وهي القطعة من الجبل فقد بلغ النهاية[151] .

ومنها : « وامِئَة » يقال : وقع في وامئة اي في داهية[152] . ويقول ابن سيدة في هذا الاسم : « أراه اسما لاني لم اسمع له فعلا » ولم نستدل على اصله ؛ ولعله من قولهم : ومى بالشيء اذا ذهب به[153] ، ثم سميت الداهية به على الاستعارة .

ومنها : « الفَلِيقَة » وفيها عدة صور لفظية . يقال : جاء بالفليقة اي بالداهية . وتقول العرب ايضا : يا للفليقة بمعنى الداهية[154] . واصلها الكتيبة العظيمة . وقيل : هي الكثيرة السلاح . وقيل : هي الجيش العظيم[155] . وكل هذه متقاربة . وواضح ان في اطلاق هذه اللفظة على الداهية استعارة علاقتها المشابهة .

وهناك الكثير من الالفاظ الاخرى التي سميت بها الداهية على هذا

---

(١٥٠) كنز الحفاظ : ص ٤٢٥ ؛ فقه اللغة وسر العربية : ص ٣٠٩ ؛ اللسان مادة ثفا : ١١٣/١٤ — ١١٤ .

(١٥١) مجمع الامثال : ٢٨٧/١ ؛ وينظر : جمهرة الامثال ٧٨/١ — ٧٩ .

(١٥٢) الغريب المصنف : ورقة ٢٢٨ آ ؛ وكنز الحفاظ : ص ٤٣٢ واللسان مادة وما : ٢٠١/١ .

(١٥٣) اللسان : مادة وما : ٢٠١/١ — ٢٠٢ ؛ وينظر : مادة ومىء ٢٠١/١—٢٠٢

(١٥٤) الغريب المصنف : ورقة ٢٢٨ آ ؛ وكنز الحفاظ : ص ٤٢٩ — ٤٣٠ ؛ وفقه اللغة وسر العربية : ص ٣٠٩ ؛ واللسان مادة فلق : ٢١١/١٠ .

(١٥٥) اللسان : مادة فلق : ٢١١/١٠ — ٢١٢ .

النحو ، ثم صارت اعلاما لها نتيجة التطور اللغوي . وقد نص بعض اللغويين كحمزة الاصفهاني على طائفة منها بأنها كنى للداهية[156] .

يتضح لنا من هذه الدراسة ان معظم مرادفات الداهية ليست اصيلة من حيث الدلالة عليها ، وانما سميت بها على سبيل المجاز والكناية ، وما الى ذلك من وجوه التجوز في تسمية الشيء ، ولكثرة الاستعمال وغلبته ، تنوسي الاصل في هذه الاسماء حتى صارت حقيقة في الداهية . واذا كان باستطاعة البحث اللغوي التاريخي ان يكشف لنا الصفة المجازية في طائفة من اسماء الداهية : مبينا سبل انتقالها وتطورها من معانيها الحقيقية الى معنى الداهية ، فثمة اسماء اخرى للداهية يتعذر بيان ذلك فيها ، اذ يصعب التعرف على الوجوه والسبل التي سوغت انتقالها من معانيها الاصلية الى الدلالة على الداهية ، ذلك ان اللغويين غالبا ما يسوقون الالفاظ الكثيرة على انها اسماء للداهية ويستشهدون بالنصوص اللغوية على ذلك دون بيان الاصل فيها ، وان اشاروا اليه احيانا ، فيبدو بعيدا عن معنى الداهية ، اذ انهم لا يبينون العلاقة بين ذلك المعنى والداهية ولا سبل انتقاله اليها . ولهذا لا نستطيع في كثير من الاحيان ان نوجه المناسبة في استعارة هذه الالفاظ للداهية . وكما ان كتب اللغة ومعاجمها القديمة لا تشير الى التوصل الى هذا المعنى المجازي ، ولا الى الظروف او الحال الذي يسر هذا الانتقال من الحقيقة الى المجاز . والنظر في المعجم العربي القديم لا يبصر بهذه العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي الذي انتهت اليه المادة وخلصت له[157] . ويضاف الى هذا ان البحث في اصول تلك الالفاظ التي سميت بها الداهية وتنوسيت فيها الصفة المجازية امر ليس باليسير ذلك انه يتطلب التوغل في العصور التاريخية والاطلاع على تلك الظروف اللغوية السحيقة ، والبحث في الحياة الاجتماعية والحضارية ،

---

(١٥٦) الدرة الفاخرة في الامثال السائرة : ٢/٨٥، .

(١٥٧) التطور اللغوي التاريخي : ٢٧

من أجل معرفة طريقة انتقال معنى اللفظ من الاصل الحقيقي الى المجاز والظرف الذي تسبب في هذا الانتقال ؛ لنتوصل الى ان هذه الاسماء للداهية وغيرها التي تبدو لنا حقيقة فيها ، قد كانت في بدء استعمالها في الداهية مجازا . وهذا ما نجهل فيه الكثير ولقد سبق ان بينا الصعوبة في مثل هذا الامر . ولهذا كله صرنا نجد طائفة من الاسماء التي اطلقت للدلالة على كل داهية من غير ان نستدل على اصلها ، واذا عرفنا اصل بعضها فان ذلك يبدو بعيدا عن معنى الداهية بالنسبة لنا . ونحن ـ وان كنا لا نرتاب في عدم اصالة الكثير من اسماء الداهية ـ نجهل اصلها الحقيقي وطريقة انتقالها الى الدلالة على الداهية والظرف اللغوي الذي تسبب فيهذا الانتقال وذلك للاسباب التي ذكرناها آنفا . ومثل الاصمعي لا يعرف اصل عرق الترية واصل الاقورين وهما من اسماء الداهية[١٥٨] . ومن اجل ذلك تعددت تفسيرات اللغويين واختلفت فياطلاق طائفة من الاسماء على الداهية كما رأينا .

نخلص من هذا كله الى ان دور المجاز كبير ومهم في حدوث المرادفات الكثيرة للداهية . ولا أدل على ذلك من ان الداهية انما هي من اسماء المعنى وليست شيئا ماديا يمكن تشخيصه بالحواس كما هو الحال في اسماء الذات وان هذه الالفاظ الكثيرة التي سميت بها الداهية ؛ كانت في اصل حقيقتها ذات مدلولات حسية مادية كما بينا . ومما لاشك فيه ان انتقال دلالة اللفظ من المجال المادي الى المجال المعنوي المجرد انما هو مجاز . لان الدلالة المادية للفظ هي الاصل والحقيقة فيه ؛ وما سواها من المعاني تطور دلالي له . وتعد هذه الحقيقة من بديهيات علم اللغة الحديث . يقول ستيفن اولمان في كيفية تغيير المعنى : (ومن النماذج الشائعة للاستعارة استخدام الكلمات ذات المعاني المادية للدلالة على المعاني المجردة)[١٥٩] . ان المجاز لا يفسر لنا حدوث الترادف حسب وانما يعلل ايضا كثرته الى حد كبير ، واوضح ما يتجلى هذا

---

(١٥٨) كنز الحفاظ : ص ٤٣١ ؛ وينظر اللسان مادة : عرق : ٢٤١/١٠ ؛ ومادة قور : ١٢٤/٥ .

(١٥٩) دور الكلمة في اللغة : ص ١٦٦ .

في نشأة المرادفات الكثيرة للداهية . ولهذا السبب كثرت اسماء الداهية في العربية الى الحد الذي بلغت فيه مئات من الالفاظ . فقد جمع حمزة الاصفهاني من اسمائها ما يزيد على اربعمائة اسم ؛ وعلق على هذه الكثرة متعجبا بان تكاثر اسماء الدواهي من الدواهي .[160] على انه يمكن تفسير هذه الكثرة بطبيعة المسمى (الداهية) ووقعه في نفوسهم ، وبطبيعة الحياة العربية القاسية انذاك التي يتعرضون فيها لمختلف الحوادث والظواهر الاجتماعية والطبيعية المؤذية والقاتلة . فالعلاقة قائمة وجد وثيقة بين الداهية ومظاهر بيئتهم المادية والاجتماعية . فالحرب داهية وكذلك الغزو والثأر والموت والعاهات والامراض والكوارث الطبيعية والقحط والجوع والسنة المجدبة وقلة المطر والكلا وكل ما يثير الخوف ويسبب الاذى . ومن الدواهي عندهم ايضا بعض صنوف الحيوان وبعض اشكال الارض كأن تكون مضللة او صعبة المرتقى او لا منفذ لها او لاتنبت شيئا ؛ وكذلك ضروب من الحيات والافاعي السامة والقاتلة الى غيرها من اعيان وشخوص بيئتهم المادية التي اطلقوها على الداهية لصلة ما بينهما . ولهذا كثيرا ما نجد الخلط والتداخل بين هذه المسميات والداهية ولا سيما بينها وبين اسماء الحية والحرب والعاهات والحيوان القاتل والصحراء بسبب الصلة الوثيقة بين مدلولات هذه المسميات والداهية مما سوغت لهم ان يستعيروها للدلالة على الداهية غير ان الدلالة المادية لهذه الاسماء بالنظر الى اصلها تجعلنا نقطع بعدم اصالة معظمها ؛ مما استعمل بمعنى الداهية الا تجوزا كما ذكرنا .

وهذه الكثرة في الواقع تعبر عن نظرة العرب الحسية الى مسمى كالداهية ؛ وتكشف لنا نمطا من تفكيرهم وعاداتهم ومجرى حياتهم وما فيها

(١٦٠) وذلك في كتابه : الموازنة بين العربية والفارسية وتارة يعرف باسم الخصائص وهو من الكتب غير المطبوعة . وتوجد منه قطعة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم (٩٠ لغة) وتقع في خمسين ورقة ؛ وبها خروم واوراقها بالية ، انظر انباه الرواة للقفطي : ١/٢٢٥ ، و ٤/٢٢ وفقه اللغة وسر العربية للثعالبي : ٢٠٩ وانظر المزهر : ١/٢٢٥ . والدرة الفاخرة في الامثال السائرة : ١/٢٧ .

من ظواهر وحوادث وهي كذلك تبين لنا مدى علاقة اللغة بالبيئة المادية . وقد انعكس هذا كله على سلوكهم اللغوي فاستعاروا من بيئتهم المادية الصحراوية ومعالمها الاجتماعية كثيرا من اسماء شخوصها واعيانها ، وكنوا بها عن الداهية اول الامر ، ثم صارت اعلاما لها فيما بعد ، وهذا ما يفصح لنا عن طريقة العرب الاقدمين في اطلاق العلم والشهرة وعن طبيعة تصورهم للداهية ، وهو ما اشار اليه استاذنا الدكتور ابراهيم السامرائي في تعليقه على مترادفات الداهية التي ذكرها ابن الاثير في كتابه (المرصع) ، بقوله (اننا على سبيل المثال تبين من الكتاب كيف تصور العرب « الداهية » هذا الكيان المعمى المجهول الذي تخيلوه على هيئات مختلفة . فهو تارة انسي واخرى حيواني وطورا شيءاخر من شخوص الطبيعة الحية .)[١٦١]

ومما ينبغي ذكره ان هذه الاسماء ليست جميعها مترادفة حقا كما سنرى فيما بعد . وقد حدث مثل هذا الامر لطائفة من المسميات في لغات اخرى . فنشأة المترادفات الدالة على الداهية في العربية وكثرتها بسبب المجاز والكناية يماثلها حدوث المترادفات التي تدل على الموت في اللغة الانكليزية للسبب نفسه مع الفارق في الكثرة بالنسبة الى العربية[١٦٢] . فقد ذكر استيفن اولمان (Stephen Ullmann) ان ثمة موضوعات معينة تكون مراكز لتجمع المترادفات حولها بسبب اهميتها في المجتمع والحياة ، ومثل لهذا بعدة مسميات في الانكليزية والفرنسية مما له مجاميع من المترادفات كفكرة (الموت) التي وصفها بانها مركز دائم لجذب الترادف بسبب اهميتها . ثم اشار المؤلف بعد ذلك الى دور المجاز والكناية في مجموعة المترادفات الدالة على هذا المعنى معززا قوله بالامثلة[١٦٣] وقد علل كثرة مرادفات الموت تعليلا وجيها حين

---

(١٦١) المرصع ، لابن الاثير : ١٥

(١٦٢) حول اسماء الموت ينظر : المخصص : ٦/١١٩–١٢٢ .

(١٦٣) Semantics an introduction of the science of meaning, p. 149 — 150.

قال : (والواقع ان الثروة الطائلة من المترادفات التي ولدتها جميع اللغات لتخفيف صدمة الموت ووقعه على النفس انما ترجع الى هذا القانون : قانون « الاستهلاك بكثرة الاستعمال » والحاجة الدائمة الى التجديد . وليس دور هذاالقانون في هذا المضمار باقل من دور الموت نفسه ، ذلك المجال الذي يضطرنا الى التنويع والتجديد في اصطلاحاته بسبب ماله من تأثير عاطفي)[١٦٤].

ولا يقتصر المجاز على تفسير حدوث مترادفات الداهية والموت وحدهما بل يفسر ايضا طائفة اخرى من المترادفات لمسميات نحو الذئب والاسد والحية والضبع والحرب والزوجة والصحراء والجمل وغير ذلك . واكثر ما يتجلى هذا السبب في الاسماء المترادفة الدالة على الجنس وما يتصل به . اذ اننا نستطيع ان نفسر ترادف الكثير من هذه الالفاظ تبعا للتسمية المجازية وصيرورتها الى حقيقة بفعل الاستعمال . وبيان ذلك ان معظم هذه الالفاظ المترادفة انماهي في الاصل كناية او مجاز يشيع وينتشر على ألسنة الناس حتى يصبح حقيقة ، ثم يسمى بمجاز اخر حتى يعود حقيقة في المسمى ايضا ، وهكذا تتعدد الالفاظ للمسمى الجنسي فتنشأ من بعد مجموعة من المترادفات التي تدل عليه . ومرد ذلك الى ان المعاني الجنسية ومسمياتها مما يتحرج الناس في التعبير عنها باسمائها الصريحة الموضوعة لها ، مراعاة للآداب الاجتماعية والاعتبارات الاخلاقية . ولهذا يلجؤون الى المجاز في التسمية ويستبدلون الكناية باللفظ الصريح . ثم تنسى الصفة المجازية بمرور الزمن في هذه الاسماء وتصير حقيقة في الشيء المسمى لكثرة استعمالهم اياها ، يعزز هذا التفسير ما حكاه ابو حيان التوحيدي عن ابن فارس ، حيث قال : (حدثني ابن فارس : جرى بين يديه اسماء الفرج وكثرتها ، فقال بعض الحاضرين : ماذا ارادت العرب بتكثيرها مع قبحها ؟ فقال : لما رأوا الشيء قبيحا جعلوا يكنون عنه ، وكانت الكناية عند فشوها تصير الى حد الاسم الاول ، فينتقلون الى كناية أخرى فاذا اتسعت ايضا رأوا فيها من القبح مثل ماكنوا عنه من اجله ،

(١٦٤) دور الكلمة في اللغة : ص ١٧٨

وعلى هذا فكثرت الكنايات ، وليس غرضهم تكثيرها)[١٦٥] .

وقد وقعت الكناية عن الامور الجنسية وما يستقبح ذكره صراحة ، في القرآن الكريم ، حيث عدل عن التصريح بها باسمائها المعروفة المباشرة الى الكناية عنها في عدة مواضع . من ذلك كناية القرآن عما يخرج من الانسان بالغائط وذلك في قوله تعالى (او جاء احد منكم من الغائط)[١٦٦] واصله المكان المطمئن من الارض . وكنى عن الاستاه بالادبار في قوله تعالى : « يضربون وجوههم وأدبارهم »[١٦٧] فقد اخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد في هذه الآية قال : يعني استاههم ولكن الله يكني[١٦٨] . وحقيقة الدبر في اللغة هو نقيض القبل ، ودبر كل شيء خلاف قبله[١٦٩] ، ومثل هذا ما نجده في كناية القرآن عن الجماع بالعديد من الالفاظ المختلفة الواردة في الآيات الكريمات كما روي عن ابن عباس وغيره من علماء التفسير[١٧٠] . وفي اللغة الشيء الكثير من هذا ، حيث نجد العديد من الالفاظ للشيء الواحد لهذا السبب ولا سيما الجنس وما يستقبح ذكره حياءً او خوفا .

وهذا الامر يبدو واضحا في اللغات الاوربية الحديثة ولا سيما اللغات الشمالية منها ، فالانكليزية مثلا تتحرج من ان تعبر في لغة التخاطب عن (البطن) باسمه الصريح ، فتطلق عليه غالبا (Tne stomach) اي المعدة[١٧١] . وقد اشار فندريس الى ان هذا الامر واقع في لغات اخرى معللا تعدد التسمية

---

(١٦٥) مثالب الوزيرين ، اخلاق الصاحب بن عباد وابن العميد . لابي حيان التوحيدي ص ٢٥٤ ــ ٢٥٥

(١٦٦) سورة النساء آية ٤٣

(١٦٧) سورة الانفال آية ٥٠

(١٦٨) الاتقان في علوم القرآن : ٤٧/٢ وينظر الصاحبي .

(١٦٩) اللسان مادة دبر : ٢٦٨/٤

(١٧٠) الاتقان في علوم القرآن : ٤٧/٢

(١٧١) علم اللغة د . علي عبدالواحد وافي : ٢٢٩ ، وفيه ان اللغة اللاتينية لا تجد غضاضة في التعبير عن العورات والامور المستهجنة والاعمال الواجب سترها بعبارات مكشوفة ؛ او في تسميتها باسمائها الصريحة .

في مثل هذه الامور بالمجاز والاستعارة ، وذاكرا ان أسماء أجزاء الجسم تعد الميدان التقليدي لانتقالات المعنى ، وان عددا كبيرا منها يترجح في اللغات المختلفة وينتقل بسهولة من عضو الى عضو او من جزء الى اخر . ثم ضرب الامثلة لذلك ، وقال : (قد يوجد في بعض هذه الامثلة استعارة او بتعبير افضل انتقال شعوري . فالذهن قد يضيف مختارا اسم احد الاعضاء الى العضو الذي يجاوره لقصد المزاح او لسبب آخر . ويمكننا ان نقطع بوقوع الاستعارة اذا كانت الالفاظ تثير فكرة جنسية وفي هذه الحالة يمكن تفسيرها إما بوازع من الحياء واما على العكس بسوء القصد)[172] وقد ذكر ايضا أن « أسماء اعضاء الجسم المخزية وبصفة عامة الكلمات التي تطلق على افعال مشهورة ، بقذارتها اشد من غيرها تعرضا للنقل . ويمكننا ان نقول ان الكلمات القذرة عامة كثيرة التبادل . اللهم اذا كانت الكلمة المخجلة نفسها قد اطلقت على مدلولها بطريق استعارة معلومة للمتكلم . اذ لا يوجد في هذه الحالة سبيل لاطلاقها على عضو آخر . وهي الفاظ يجمع بينها كونها كلمات قذرة ، وهذا تعريفها . فيمكن ان تستعمل دون قيد للدلالة على اي جزء من الجسم مادام قذرا . قد يكفي وجود شبه بعيد او جواز تافه لا يحس ليسوغ انتقال الكلمة من معنى الى آخر » . وفي كل اللغات امثلة من هذه الظاهرة[173] .

ومن هذا كله يتضح لنا السبب الحقيقي في كثرة الاسماء المترادفة الدالة على الجنس التي حفلت بها المعجمات وكتب اللغة والتي بلغت العشرات للمعنى الواحد وربما المئات . وبمثل هذا ايضا يمكن ان نفسر ترادف الاسماء التي يتخوف منها او يستقبح ذكرها صراحة او كل ما يستحب فيه الكناية والتلميح لاسباب اجتماعية ونفسية مختلفة كالحب والحياء والخوف والتشاؤم والتفاؤل وغيرها من الاسباب التي تحمل الناس على التسمية المجازية . ولهذا كثرت الاسماء التي تدل على الصحراء والاعمى والموت والمصائب وبعض انواع الحيوان وكل ما يفر منه الانسان فيعدل عن التصريح به الى الكناية

(١٧٢) اللغة . فندريس : ٢٦٠ — ٢٦١

(١٧٣) اللغة . فندريس : ٢٦٠ — ٢٦١

عنه ثم ترادفت تلكم الاسماء بحكم التطور الدلالي ، وهذا ما يؤكد لنا عدم اصالة المترادفات التي نشأت على هذا النحو ، ولقد ذهب نفر من المحدثين العرب الى حدوث الترادف بسبب المجاز والاستعارة بيد انهم لم يربطوا ذلك بمسألة التطور الدلالي ولم يبينوا علاقة العوامل الاجتماعية والنفسية واثرها في هذا السبب ، وأن من اشار منهم اليه لم يجعله صراحة من أسباب نشأة الترادف في اللغة[١٧٤] ، على حين ان بعضهم قد اغفله تماما [١٧٥] .

ومن المحدثين الاجانب من تطرق الى ذلك فقد اشار اليه فندريس في عدة مواضع مؤكدا دور الاستعارة والكناية في تعدد التسمية بسبب العوامل الاجتماعية والنفسية[١٧٦] ، وذهب استيفن اولمان الى هذا السبب صراحة في الفصل الذي عقده لدراسة الترادف في طائفة من اللغات ، اذ ذكر ان الاستعارة(Metaphor) والكناية او حسن التعبير (Euphemism) من اسباب حدوث الترادف في اللغة ، وقد اكد المؤلف في دراسته هذه دور الاستعارة الصورية – او المجاز الصوري القائم على المشابهة – في حدوث سلسلة واسعة من المرادفات للشيء ، وقد ضرب لذلك أمثلة مختلفة من اللغتين الانكليزية والفرنسية ، مبينا أن الكثير من هذه المرادفات مجازية في حقيقتها ، ومن هذه مثلا مجموعة المترادفات التي تدل على البطل او الامير والمترادفات التي تدل على السفينة والبحر في الانكليزية القديمة والمترادفات التي تدل على الغني والفقير والبخيل في اللهجات الفرنسية ، اضافة الى المترادفات الدالة على الموت في الانكليزية كما ذكرنا[١٧٧]

(١٧٤) انظر : الاضداد في اللغة ، محمد حسين آل ياسين : ٣٠ ، ٣٧ وعلم اللغة د . علي عبدالواحد وافي : ٢٣٩ وفقه اللغة وخصائص العربية ، محمد مبارك : ٢١٥ – ٢١٧ وفي اللهجات العربية د . ابراهيم انيس ١٩٦ وما بعدها .

(١٧٥) فصول في فقه العربية . رمضان عبدالتواب : ص ٢٧٩ وما بعدها .

(١٧٦) اللغة : ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٨١ ، ٢٨٢

(١٧٧) Semantics (op. cit. p. 149 — 151).

وقد أورد المؤلف نفسه في مكان آخر ان الاستعارة ـ اي المجاز القائم على المشابهة ـ تعد مصدرا من مصادر الترادف والمشترك اللفظي[178] .

وحين عرض لتغير المعنى قال « ان هناك حالات اخرى لا حصر لها يكون تغيير المعنى فيها غير مرتبط بأية حاجة عملية ، حيث لا يعمل هذا التغيير على سد النقص الموجود في الثروة اللفظية ، وانما يضيف امثلة جديدة الى المترادفات الموجودات بالفعل»[179] .

وفيما يتعلق بحقيقة ترادف الالفاظ في ضوء التطور الدلالي ينبغي القول آننا إذا نظرنا اليها نظرة (تاريخية) ـ آخذين بنظر الاعتبار الاصول التاريخية لدلالتها ـ فأننا لا نجد ترادفا فيها ، اما إذا نظرنا اليها نظرة (وصفية) ـ آخذين بنظر الاعتبار ما آلت اليه من دلالات ـ فاننا نلمس حقيقة ترادفها .

وهذا يعني ان حقيقة ظاهرة الترادف لا تظهر بوضوح الا من خلال المنهج الوصفي ، وهو يعني ايضا ان الباحث اللغوي لا يستطيع ان يدرس ظاهرة الترادف ـ في اية لغة ـ دراسة صحيحة الا في ضوء المنهج الوصفي ، ذلك أنه لا عبرة للاصل التاريخي للكلمات في حالة الاستعمال اللغوي الآني لها ، فقد يخبرنا الاشتقاقيون والباحثون في الاصول التاريخية للكلمات ان هناك فروقا في الدلالة بين الالفاظ المترادفة بحسب الاصل ، غير ان هذه النظرة قد تكون صحيحة تاريخيا ولكن لا أهمية لها في موضوعنا هذا لان مستعمل اللغة لا يدركه ولا يشعر به كما ان (من المقرر أن وصف أية حالة معينة من حالات اللغة يجب ان يكون دائما بمعزل عن مسألة الرجوع الى الاصول التاريخية او احياء هذه الاصول ، كما انه لا أمل لنا البتة في الحصول على صورة حقيقية لنظام اللغة الا اذا شعرنا بشعور المتكلم ووضعنا أنفسنا مكانه)[180] .

---

(١٧٨) Ibid., p. 212.

(١٧٩) دور الكلمة في اللغة ـ ص ١٥٢

(١٨٠) دور الكلمة في اللغة ص ١١٢

الصفات الغالبة

يلاحظ في موضوع التسمية وتعددها أنه كلما حظي الشيء المسمى بمكانة كبيرة ،او كانت له أهمية خاصة عند الناس ؛ كثرت اسماؤه تبعا لوجوه استخدامه وتنوع احواله وصفاته ، و (اذا تعددت وجود الاستعمال لحيوان ما تعددت اسماؤه)[١٨١] . وقد تمثل هذا الامر الطبيعي في اللغة وظهر اثره في مفرداتها بوصفها اداة للتعبير عن الواقع الاجتماعي وما فيه ، وذلك ما نجده في مسميات من نحو السيف والجمل والناقة والعسل والخمر والصحراء والاسد والذئب والحية وغير ذلك من الظواهر الحيوية او الطبيعية التي تصور اهم جوانب الحياة العربية انذاك . فلا شك ان مثل هذه المسميات قد كانت من معالم الحياة العربية البارزة ، ومن اماراتها الواضحة : فبها عرفت واشتهرت وكان لها شأن ايما شأن في حياة العرب القديمة ؛ حتى صارت اعلاما يستدل بها عليها ؛ وسمات تميزها من غيرها . ومن هنا تبدو لنا ضرورة الربط بين كثرة اسماء الشيء وتعدد نعوته وبين ما له من مكانة او أهمية في حياة القوم ، فبين الاثنين علاقة وثيقة نلمحها متمثلة في كثرة الالفاظ التي تعبر عنه متى كان وثيق الصلة بحياتهم ؛ اثير المنزلة عندهم .

وفي ضوء هذه العلاقة نستطيع ان نفهم ظاهرة حدوث الترادف في طائفة من الالفاظ ؛ تلك الظاهرة التي لا تعدو ان تكون تعبيرا عن طبيعة البيئة العربية وانعكاسا لأهم مظاهرها ؛ وهذا أمر قد اغفله الدارسون في تفسيرهم للترادف ، مقتصرين على الجانب اللغوي ؛ في حين لا يمكن فصل هذه الظاهرة عن طابع الحياة العربية بأية حال ؛ ولا يصح تفسيرها بمعزل عما عرفت به ؛ فكان لابد من النظر الى تعدد الالفاظ والصفات التي تدل على هذه المسميات في ضوء اهميتها وعلاقتها بالبيئة العربية . فاذا ما اضفنا الى هذا الامر الذي اوجد كثيرا من الصفات والالفاظ للمسمى الواحد ؛

---

(١٨١) الوجيز في فقه اللغة : ص ٢٩٥

التطور اللغوي ، امكننا معرفة علاقة الصفة بنشأة الترادف وادراك حقيقة الخلاف في ذلك .

ان استقراء الالفاظ المترادفة والتأمل فيها من الناحية اللغوية التاريخية، يظهر لنا بجلاء ان طائفة كبيرة منها قد كانت صفات للمسمى ثم جرت مجرى الاسماء له على وجه الغلبة ، فعدت من باب المترادف بفعل الاستعمال وقد اثارت هذه المسألة جدلا واسعا لدى علماء اللغة ، أسماء هي أم صفات ؟ فذهب من انكروا الترادف الى انها صفات ، ملاحظين فيها معنى الوصفية . اما القائلون بالترادف فمنهم من اخرجها من المترادفات للسبب نفسه ، ومنهم من عدها مترادفة شأنها شأن الاسماء لا فرق . ومن المتأخرين من رأى انها غير ذلك ، وانما هي قسم اخر سماه «المتكافئة» ومن هذا الضرب اسماء الله تعالى واسماء رسوله (ص)[١٨٢] . وقد سبقت الاشارة اليه في الفصل الاول .

ومبعث خلافهم فيها أن الاسم يدل على ذات المسمى على سبيل التجريد لا لمعنى فيه ، في حين تدل الصفة على الشيء وتشير الى معنى خاص فيه . فقد (يوجد من الاسماء ما يطلق على المسمى بالوضع أسما للذات لا لمعنى فيه ، كالسيف بازاء هذه الالة المعروفة كيف كانت . ومنها ما يطلق عليه لصفة فيه كالصارم ، فانه موضوع له لصفة الحدة)[١٨٣] كما يقول ابن الاثير . وعلى هذا يجري القول في سائر الالفاظ التي عرف بها السيف .

وقد عبر بعضهم عن هذا الفرق بوحدة الاعتبار ، فالسيف والصارم مثلا ، وان « دلا على شيء واحد ، ولكن باعتبارين أحدهما على الذات ، والاخر على الصفة» وعلى هذا كانا متباينين وليسا مترادفين ، لاشتراط تحقق وحدة الاعتبار في المترادفين[١٨٤] .

---

(١٨٢) انظر تفصيل ذلك في : الصاحبي ص ٩٦ والمرصع ص ٢٥٢ والمزهر : ١/٤٠٢ — ٤٠٥

(١٨٣) المرصع ص ٢٥٢

(١٨٤) المزهر ١/٤٠٢

ويبدو لنا عند التحقيق ان اطلاق مثل هذه الالفاظ على السيف مثلا قد كان بسبب اعتبارات ووجوه مختلفة لوحظت فيه عند استعمالهم إياه ، لتعدد سبل استعماله وآثاره ولأختلاف انواعه واحواله ولتفاوت صناعته وما الى ذلك . « فاذا كان السيف عريضا فهو صفيحة ، واذا كان صقيلا فهو خشيب ، وقيل : هو الذي بدىء طبعه ولم يحكم عمله ، واذا كان رقيقا فهو مهو . واذا كان فيه حزوز مطمئنة فهو مفقر ومنه سمي ذو الفقار . واذا كان قطاعا فهو عضب وحسام وقاضب وهذام وبتار . واذا كان يمر في العظام فهو مصمم واذا كان يصيب المفاصل فهو مطبق واذا كان ماضيا في الضربة فهو رسوب وكذلك ذو الكريهة ، واذا كان صارما لا ينثني فهو صمصامة وصمصام . واذا كان نافذا ماضيا فهو اصليت ، وقيل : يقال سيف صلت واصليت اذا جرد من غمده واذا كان كليلا لا يمضي فهو : كهام وددان . واذا امتهن في قطع الشجر ونحو ذلك فهو معضد . واذا كان قد سوي وطبع بالهند فهو : مهند وهندي وهندواني وهندوكي . واما اذا كان معمولا بالمشارف ، وهي قرى من ارض العرب تدنو من الريف ، فهو مشرفي » . واما القاسي فيقول الاصمعي فيه : ولا ادري الى أي شيء نسب ، ويكتفي بأن النصل اسم من أسمائه دون ان يذكر فرقا[185] .

وهكذا تعددت الالفاظ المختلفة للسيف بحسب هذه الوجوه والاعتبارات الكثيرة . وواضح ان الفرق بين هذه الالفاظ في انها تدل على السيف لخاصية معينة فيه ، على حين تدل كلمة «سيف» على المسمى مجردة من هذه الاعتبارات والاوصاف فهي تقع على الكل أيا كان . ولابد انهم كانوا يراعون مثل هذه الفروق ويلحظون تلك الاعتبارات في استعمالهم لهذه الالفاظ واطلاقها على السيف في الاصل ، ولاسيما في نظر البدوي

---

(١٨٥) فقه اللغة وسر العربية للثعالبي : ص ٢٥٠ — ٢٥١ وانظر : الغريب المصنف : ورقة ٧٤ ب — ٧٥ آ . وكنز الحفاظ : ص ٥١٤ — ٥١٥ والمخصص : ١٦/٦ — ١٧ ، ١٩ — ٢٨ واللسان مادة خشب : ٣٥٢/١ ومادة قضب : ٦٧٩/١ ومادة عضب : ٦٠٩/١

مستعمل السيف وصاحبه ، الذي يدرك هذا التباين ويحس به اكثر من غيره نتيجة معاينته وخبرته وتماسه المستمر بالسيف وشؤونه . غير أنه بمرور الزمن ولكثرة تداول هذه الالفاظ ـ او الصفات ـ وشيوعها في الاستعمال ، كتب لها الغلبة والشهرة فغلبت غلبة الاسماء ، وربما طغى بعضها في الاستعمال على الاسم الحقيقي المجرد «السيف» وخاصة تلك الالفاظ التي تشير الى صفات مستحسنة محمودة فيه ، تلك الالفاظ التي تدل على احسن السيوف وافضلها عندهم نحو الحسام والصارم والعضب والمشرفي والمهند واليماني والبتار وغيرها . فان هذه الالفاظ الغالبة المشهورة في السيف قد كانت صفات له لا ريب في ذلك . بيد أنه قد اغفل فيها معنى الوصف شيئا فشيئا بسبب كثرة الاستعمال ، وتوسعهم فيها ، فأمست منافسة لكلمة (السيف) من حيث الدلالة عليه ، حتى صارت طائفة منها مترادفة لا يلحظ فيها معنى الوصف بقدر دلالتها العامة على السيف .

وفي هذه الحال يمكننا القول أنهم قد أستعملوا هذه الالفاظ أسماء للسيف فقط دون اشعار بمعنى الوصفية فيها . او قل انهم قد سموا السيف بصفاته المشهورة او بما عرف به من السمات المفضلة الذائعة الصيت ، وهم لا يعنون بها معانيها الوصفية ذاتها وانما يعنون بها السيف حسب . غير ان مثل هذه التسمية ليست اصلية حقيقية او وضعية ؛ بل هي تسمية لاحقة بفعل كثرة الاستعمال وطول العهد به ؛ فالاسم الاصلي القديم هو السيف وما عداه شهرة اشتهر بها ثم غلبت عليه . والتطور اللغوي هو الذي مكن هذه الالفاظ من الانتقال الى الاسمية وأغفال الجانب الوصفي فيها . واذا كان البدوي في العصور المتقدمة يدرك بحسه اللغوي الفروق بين دلالات هذه الالفاظ ؛ فان الامر لم يعد كذلك في نظر العربي الذي يعيش في العصر العباسي مثلا في القرن الرابع او الخامس الهجري . إذ أصبح لا يعنيه في الغالب من هذه الالفاظ الا دلالتها العامة على السيف مجردة من تلك الاعتبارات وذلكم التباين الذي قد يوحي به الاشتقاق. ومن يستقر دواوين الشعر العربي المتأخرة

يجد مصداق هذا في اطلاق طائفة من هذه الالفاظ على السيف وهم يريدون بها مجرد الدلالة عليه • ودونك على سبيل المثال ديواني ابي الطيب المتنبي وأبي فراس الحمداني • فقد تبين لي من إستقراء ديوان المتنبي إستعمالات كل لفظة من الفاظ السيف ؛ وخلصت من هذا الاحصاء الى ان المتنبي قد استعمل كلمة (السيف) إسما أصليا أربعا ومائة مرة • على حين استعمل ستا وعشرين صفة من صفاته في تسع وثلاثين ومائة مرة • ومن هذه الالفاظ مايدل على السيف ويشير الى زيادة معنى الوصف فيه ؛ ومنها مايراد به السيف فقط نحو الحسام التي استعملها ثماني عشرة مرة ، والصارم التي استعملها سبع عشرة مرة ؛ والهندية او الهندواني او المهند التي استعملها ثلاث عشرة مرة ؛ والمشرفي التي استعملها ثماني مرات ؛ والعضب التي استعملها خمس مرات ؛ والمناصل التي استعملها تسع مرات ؛ والصمصامة أو الصمصام التي استعملها مرتين ؛ واليماني التي استعملها مرة واحدة ، الى غير ذلك من الاستعمالات الاخرى للالفاظ المتعلقة بالسيف • ويبدو واضحا من هذا الاحصاء ان استعمال الالفاظ التي تدل على السيف او عليه وعلى صفة فيه هي أكثر من إستعمال الاسم الحقيقي الصريح للسيف في ديوان المتنبي ، ويدل هذا على شيوعها وغلبتها ومدى طغيانها على الاسم الاصلي • وان المتنبي قد استعمل طائفة من هذه الالفاظ استعمال الاسم ولم يكن يقصد بها الا السيف ؛ ومن الشواهد على ذلك ؛ على سبيل المثال قوله :

وأورد نفسي والمهند في يدي　　موارد لا يصدرن من لا يجالد[186]

وقوله :

وتحيي له المال الصوارم والقنا　　ويقتل ما يحيي التبسم والجدا[187]

وقوله :

---

(186) ديوان ابي الطيب المتنبي بشرح ابي البقاء العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان : ١/٢٧١ .

(187) المصدر السابق ١/٢٨٢

فأن الحسام الخضيب الذي   قتلتم به في يد القاتل[188]

وقوله :

قلدتني يمينه بحسام   أعقبت منه واحدا أجداده[189]

وقوله :

فخرا لعضب أروح مشتمله   وسمهري أروح معتقله[190]

وقوله :

يكون لهم إذا غضبوا حساما   وللهيجاء حين تقوم ساقا[191]

فلو اننا استبدلنا كلمة السيف بهذه الالفاظ لما تغير المعنى في الابيات ، وقد يختل الوزن في بعضها . ولا ننسى ان مفهوم الترادف الحقيقي هو استبدال لفظة بأخرى على سبيل الاستعاضة دون أي تغيير في معنى النص .

ومما نستدل به على ان مثل هذه الالفاظ نحو المهند والصارم والحسام والعضب الواردة في ابيات المتنبي السالفة الذكر ، يقصد بها السيف ، دون نظر الى ما فيها من الوجوه والاعتبارات الاخرى ، هو ان العكبري شارح ديوان المتنبي قد فسر هذه الالفاظ بالسيف ولم يشر الى اي معنى آخر فيها غير الدلالة على الذات . فهو يقول في تفسير قول المتنبي : واورد نفسي والمهند في يدي ... البيت : (المعنى : يقول اورد نفسي (وفي يدي السيف) مهالك لا يصدرن واردها حيا اذا لم يجالد ويقاتل .)[192] وفي شرح قول المتنبي : قلدتني يمينه بحسام ... البيت يقول الواحدي . (يقول : قلدتني سيفا لا مثل له في السيوف ، فهو عديم المثل ، كمن لم تعقب اجداده مثله ..)[193]

(188) المصدر السابق ٣/٢٩

(189) المصدر السابق ٢/٥٠

(190) المصدر السابق ٢/٢٦٧

(191) المصدر السابق ٢/٢٩٩

(192) ديوان ابي الطيب المتنبي شرح ابي البقاء العكبري ١/٢٧١ وشرح الواحدي ص ٧٤٣ برلين ١٨٦١ .

(193) المصدر السابق ٢/٥٠

وفي شرح قول المتنبي : فخرا لعضب ... البيت ، يقول العكبري : (الغريب : العضب : السيف .)وفي معنى هذا البيت يقول الشارح : (يقول : سيفي ورمحي يفخران بي ، لا افخر بهما)[١٩٤] وفي شرح قول المتنبي : يكون لهم اذا غضبوا حساما ... البيت ، يقول العكبرى ايضا : (المعنى : يقول : يكون هذا الممدوح سيفا لهم ، يبطشون به عند غضبهم وساقا للحرب يعتمدون عليها ...)[١٩٥] ويفهم من شرح العكبرى كذلك لقول المتنبي : وتحيى له المال الصوارم والقنا .. البيت ، وقوله ، فأن الحسام الخضيب .. البيت . ان الصوارم هي السيوف وان الحسام هو السيف ، حيث لم يشر الشارح الى اي فرق في ذلك[١٩٦] . يتضح لنا من هذا ان العكبرى ومن نقل عنهم قد فهوا من هذه الالفاظ دلالة السيف حسب وذلك اما من خلال شرح الايات السابقة او بالنص صراحة على ذلك كما رأينا . وهذا مما يؤكد لدينا ان مثل هذه الالفاظ صارت تعني السيف فقط ولاتلحظ فيها تلك الوجوه والاعتبارات التي كانت عليها بحسب دلالتها الاصلية او القديمة .

أما في ديوان أبي فراس الحمداني فقد تبين لي من إستقرائه أن الشاعر قد استعمل السيف إسما أصليا اثنتين وستين مرة ، على حين استعمل الالفاظ الاخرى التي تدل على السيف لصفات وإعتبارات فيه كما هي في الاصل ، اربعا وسبعين مرة . وواضح من هذا ان استعماله لهذه الالفاظ اكثر من استعماله الاسم الحقيقي للسيف . ولم يكن يعني الشاعر بطائفة من هذه الالفاظ غير دلالتها العامة على السيف ، اذ استعملها أسماء للسيف ، ومن الامثلة على ذلك قوله :

ولكن نبا منه بكفي صارم وأظلم في عيني منه شهاب[١٩٧]

---

(١٩٤) نفسه ٢/٢٦٧

(١٩٥) نفسه ٢/٢٩٩

(١٩٦) ديوان المتنبي بشرح العكبري ١/٢٨٢ و٣/٢٩

(١٩٧) ديوان ابي فراس الحمداني ، تحقيق د . سامي الدهان ص ٢٤

وقولـه :

وويلك من أردى أخـاك بمرعش وجلل ضربا وجه والدك العضبا[198]

وقولـه :

محـرب ، همـه حسـام صـقيل وجواد مطهـم ، عنجـوج[199]

وقولـه :

وان حاربوا كنت المجـن امامهـم وان ضاربوا كنت المهند واليدا[200]

وقولـه :

تخالط فيها الجحفـلان كلاهمـا فغبن القنا عنها ونبن البواتر[201]

وقولـه :

وفي أرضـاك أغضـاب العوالـي وإكـراه المناصـل والنصـال[202]

وقولـه :

يصـان مهـرى لامـر ، لا ابـوح بـه
والدرع ، والرمح ، والصمصامة الخذم[203]

ويصدق على هذه الالفاظ في هذه الابيات ما قلناه بشأن استعمالها عند المتنبي وذلك من حيث اسميتها ودلالتها على السـيف من غير ان يراد منها وجوه واعتبارات اخرى كالتي يراها قدامى اللغويين •

وقصارى القول في مثل هذه الالفاظ انها كانت تدل على السـيف بحسب صفاته ولاعتبارات اخرى فيه ، ثم اباح الناس لانفسهم من بعد استعمالها استعمال السـيف وتوسعوا فيها اذ كتب لهذه الالفاظ ان تشيع وان يكثر

---

(198) المصـدر السـابق ص ٣٦ •
(199) ديوان ابي فراس الحمداني ص ٥٨
(200) المصدر السـابق ص ٨٥
(201) المصدر السـابق ص ١١٢
(202) المصـدر السـابق ص ٢٨٣
(203) المصدر السـابق ص ٢٤٨

استعمالها لموافقتها للغرض من السيف فغلبت عليه وصارت تطلق ويراد بها السيف ومن هنا عدت من المترادف . وبهذا التفسير يمكن ان نوجه التباين في هذه الالفاظ تبعا للاصل وان نفهم ترادفها نتيجة تطورها وفقدانها المعاني الوصفية بفعل الاستعمال وغلبته . بيد اننا لا نعتقد بأن معنى الوصف قد تنوسي تماما في هذه الالفاظ كلها التي تربي على المائة ، فصارت تدل على السيف دلالة واحدة ذلك أن القسم الأغلب منها ما زال يشعر بشيء من التباين في معانيها وان كان ذلك طفيفا .

والواقع ان القلة منها ـ وعلى وجه الخصوص الصفات الغالبة ـ والمشهورة هي التي غلبت غلبة الاسماء وتنوسي فيهامعنى الوصف فأنتقلت الى الاسمية وصارت اعلاما عليه يستدل بها عند اطلاقها على السيف . فهي بمنزلة العباس والحارث والحسن في تسمية اشخاص بأعيانهم . وانما اصل هذه اوصاف ثم نقلت الى العلمية عليهم . والى مثل هذا اشار الاستاذ عبد الحميد الراضي[٢٠٤] .

بمثل هذا نفسر حدوث الترادف في طائفة من الفاظ السيف . ويعزز صحة هذا التفسير ان انتقال الصفة الى الاسمية جائز من الوجهة اللغوية وليس بالأمر الغريب في منظور التطور اللغوي الذي نجد فيه نظائر كثيرة لهذه الحالة . ويبدو ان الشبه والتقارب الشديد بين الاسم والصفة من حيث الدلالة هو الذي يسر لهذا الانتقال والتطور وساعد عليه . ومما نستدل به على هذا التطور ما اشار اليه الاقدمون من التوسع في دلالة بعض الالفاظ وما اصابها من التطور في القديم . فمن ذلك ما نص عليه الاصمعي في بعض اسماء السيف ذاتها بقوله : (والخشيب وهو الذي بدا طبعه ثم صار الخشيب لما كثر عند العرب الصقيل)[٢٠٥] . وقوله هنا في الصمصامة (الصمصامة : سيف

(٢٠٤) محاضرات الاستاذ عبدالحميد الراضي على طلبة الصفوف الرابعة في فقه اللغة ص ١٨١

(٢٠٥) الغريب المصنف : ورقة ٢٧٥ وانظر : اللسان مادة خشب : ١/٣٥٢

عمرو بن معد يكرب غلب عليه ؛ يعني ان كل سيف قاطع صمصامة)[٢٠٦] وقوله في القاسي وهو من اسماء السيف ايضا : (ولا أدري الى أي شيء نسب)[٢٠٧] وقوله في النصل : (والنصل اسم من اسمائه) [٢٠٨] اقول : فاذا كان مثل الاصمعي وهو من قدامى اللغويين ـ ت ٢١٤ هـ ـ قد لاحظ توسع الدلالة في بعض اسماء السيف بفعل الاستعمال ، حتى صار الخشيب عند العرب الصقيل ، وغلب الصمصامة على كل سيف قاطع ، ولا يدري النسبة في القاسي لأي شيء ويقول ان النصل من اسماء السيف ولا يذكر أي فرق ، فما بالك اذن بأستعمالات هذه الالفاظ وما شاكلها في العصور التالية المتأخرة وما حدث لها من التطور والاتساع في الدلالة وعدم مراعاة التباين في الاستعمال ؟ يؤكد هذا ما سجله ابو بكر الزبيدي في القرن الرابع الهجري ان أهل الاندلس يقولون للسيف صمصامة وصمصام دون ان يشير الى اي فرق في ذلك[٢٠٩] . ويفهم من هذا أنهم يريدون به السيف مطلقا . وتكمن قيمة شهادة الزبيدي هذه في انها تسجيل للاستعمال اللغوي في ذلك العصر .

وكثيرا ما نجد في كتب اللغة ما يدعوه اللغويون بـ « الصفات الغالبة » وهي اشارة الى شيوع هذه الالفاظ وكثرة تداولها وغلبتها حتى يصار بها الى اسماء في الاستعمال . ومن هذا ما جاء في اللسان حول الحسنة والسيئة : قوله (وقد كثر ذكر السيئة في الحديث ، وهي والحسنة من الصفات الغالبة . يقال : كلمة حسنة ، وكلمة سيئة ، وفعلة حسنة وفعلة سيئة)[٢١٠] وكذلك قوله : (والحاجب : البواب ، صفة غالبة ... وحجبه : اي منعه عن

---

(٢٠٦) المخصص : ـ ٦/٢٨

(٢٠٧) الغريب المصنف ورقة ٧٥ آ

(٢٠٨) المصدر السابق : الورقة نفسها

(٢٠٩) لحن العوام ص ١٣٦ .

(٢١٠) اللسان مادة سوأ : ١/٩٧

الدخول .)[٢١١] ونحو هذا قوله في تسمية العظمين اللذين فوق العينين بلحمها وشعرها ، بالحاجبين ، وأنها صفة غالبة[٢١٢] . ومن هذا ايضا ما روى عن السيرافي أن (الحرب : نقيض السلم ، انثى وأصلها الصفة كأنها مقاتلة حرب)[٢١٣] . ومثلها كلمة جهنم التي استخدمت نعتا يشير الى معنى العمق ثم اصبحت من اسماء النار بعد ذلك . فقد ذكر ابن منظور ان الجِهِنّام تعني القعر البعيد وان لفظة جهنم استخدمت صفة تشير الى معنى العمق حيث يقال : بئر جهنم : أي بعيدة القعر وجهنام كذلك . وبعد بيان اصلها يقول : (وبه سميت جهنم لبعد قعرها)[٢١٤] ويتضح من هذا كيف تكون الصفة سبيلا من سبل تسمية الاشياء وأحدى طرائق اطلاق الالفاظ على المسميات . وما اكثر اسماء الاعلام التي جاءت على هذا السبيل ، اي ما كان اصله صفة ثم صار علما للمسمى علاوة على اسمه الحقيقي الصريح ،وعندئذ يكون للشيء الواحد اكثر من اسم واحد يدل على هذا ما ورد في اللسان عن ابن شميل قوله :

(ذات الجنب هي الدبَيْلة وهي علة تثقب البطن ، وربما كنوا عنها فقالوا : ذات الجنب ... وصارت ذات الجنب علما لها ، وان كانت في الاصل صفة مضافة)[٢١٥] . وفي اللسان ايضا بشأن اطلاق الأدهم على القيد : (والأدهم القيد لسواده ، وهي الأداهم ، كسروه تكسير الاسماء وان كان في الاصل صفة لانه غلب غلبة الاسم .)[٢١٦] وقد قال الحجاج لابن القبعثرى : (لأحملنك على الادهم ، يعني القيد ، فتجاهل عليه ، وقال : مثل

---

(٢١١) اللسان مادة حجب : ٢٩٨/١

(٢١٢) اللسان مادة حجب : ٢٩٨/١ ــ ٢٩٩

(٢١٣) اللسان مادة حرب : ٣٠٢/١

(٢١٤) اللسان مادة جهنم : ١١٢/١٢ وانظر ماكتبه محمد تنطر حول كلمة جهنم اصلها وتطورها في مجلة الفكر التونسية ص ١٦ وما بعدها .

(٢١٥) اللسان مادة جنب : ٢٨١/١

(٢١٦) المصدر السابق مادة دهم : ٢١٠/١٢

الامير يحمل على الادهم والاشهب)[٢١٧] . وفي اللسان عن ابن سيده حول تسمية ضرب من الحيات بالارقم : (الارقم من الحيات الذي فيه سواد وبياض والجمع أراقم ، غلب غلبة الاسماء فكسر تكسيرها ولا يوصف به المؤنث)[٢١٨] . وعن ابن حبيب : (والارقم اذا جعلته نعتا قلت ارقش وإنما الارقم اسمه)[٢١٩] .

ومن الامثلة الاخرى التي تتبين منها تطور الصفة وانتقالها الى الاسمية قولهم للمنية شعوب ، واللغويون على خلاف حول هذه التسمية أهي صفة للمنية أم اسم لها ؟ فقيل إن « الشَّعبة هي الفرْقة ، تقول شعبتهم المنية اي فرقتهم ومنه سميت المنية شعوب ، وهي معرفة لا تنصرف ، ولا تدخلها الالف واللام . وقيل شعوب والشعوب كلتاهما المنية لانها تفرق ، اما قولهم فيها شعوب بغير لام ، والشعوب باللام ، فقد يمكن ان يكون في الاصل صفة ، لانه من امثلة الصفات بمنزلة قتول وضروب ، واذا كان كذلك فاللام فيه بمنزلتها في العباس والحسن والحارث ، ويؤكد هذا انهم قالوا في اشتقاقها انها سميت شعوب لانها تشعب اي تفرق . وهذا المعنى يؤكد الوصفية فيها . وهذا اقوى من ان تجعل اللام فيه زائدة . ومن قال شعوب بلا لام ، خَلَصَتْ عنده اسما صريحا واعراها في اللفظ من مذهب الصفة فلذلك لم يلتزمْها اللام كما فعل ذلك من قال عباس وحارث الا ان روائح الصفة فيه على كل حال ، وان لم تكن فيه لام . الا ترى ان ابا زيد حكى انهم يسمون الخبز جابر بن حبة وإنما سموه بذلك لأنه يجبر الجائع ، فقد ترى معنى الصفة فيه، وان لم تدخله اللام. ومن ذلك قولهم : واسط ، قال سيبويه : سموه واسطا لانه وسط بين العراق والبصرة فمعنى الصفة فيه ، وان لم يكن

---

(٢١٧) فقه اللغة وسر العربية ص ٣٦٢
(٢١٨) اللسان مادة رقم ١٢/٢٤٩ — ٢٥٠
(٢١٩) المصدر السابق مادة رقم ١٢/٢٥٠

في لفظة لام »[٢٢٠] . وقد ذكر الاصمعي أن « شعوب » اسم للمنية وهي معرفة عنده لا تدخلها الالف واللام ، ومع قوله بأنها سميت شعوب لانها تفرق ؛ الا انه لم يقل بمعنى الوصفية فيها . وقد استشهد على ذلك بقول ابي الاسود :

فقام اليها بها ذابح ومن تدع يوما شعوب يجبها[٢٢١]

ومن هذا يبدو لنا مدى تعسف من يقول بمعنى الوصفية في مثل هذه الالفاظ وذلك بالنظر الى اشتقاق مادة الكلمة وما يوحي به من معنى الوصف وبأعتبار العلة الاصلية في التسمية . والتشبث بمعاني الالفاظ تبعا لاشتقاقها هو انكار صريح لمبدأ تطور الدلالة ، كما ان القول بالعلل في تسمية الاشياء والبحث عن اسبابها امر مرغوب عنه في الغالب عند مستعملي اللغة . فكم من الالفاظ بعدت عن معانيها الاشتقاقية الاصلية ، وكم من الاسماء يجهل السبب في اطلاقها على مسمياتها ؟ فالذي يقول شعوب لا يعني ذلك المعنى الوصفي المتأتي من الاشتقاق بقدر ما يعني المنية حسب . وكذا القول في تسمية الخبز جابر بن حبة وتسمية مدينة بعينها واسطا ، وذلك كما قيل لان الخبز يجبر الجائع ولأن هذه المدينة وسط . حيث لا ينصرف ذهن المتكلم الى معاني هذه الالفاظ بحسب اشتقاقها وسبب تسميتها ، وإنما الذي يعنيه من أمرها ان هذه الألفاظ أسماء اعلام على مسمياتها ؛ وهي بمثابة الرموز التي يستدل بها عليها . وان صحت هذه الاعتبارات التي يقول بها هؤلاء فانما هي على الاصل وبمقتضى الاشتقاق ، ثم نقلت هذه الالفاظ الى الاسمية واصبحت تستعمل اعلاما من غير اعتبار بالاصل .

ومما يؤكد تطور الصفة وأنتقالها الى فصيلة الاسماء ما اقره البحث اللغوي الحديث من ان التأمل في طائفة من الالفاظ والبحث فيها من خلال

---

(٢٢٠) اللسان مادة شعب : ١/٥٠١

(٢٢١) اصلاح المنطق : ص ٣٣٥ ـ ٣٣٦ وقد جاء في اللسان من غير نسبة مادة شعب : ١/٥٠١ وينظر الديوان ص ١٤٧

تطورها اللغوي التاريخي يظهر ان ثمة اسماء كثيرة كانت في الاصل صفات . فقد لاحظ بعض المحدثين العلاقة الوثيقة بين الصفة والاسم والشبه الحاصل بينهما ، وأنهما يتبادلان الدور في كل اللغات وقالوا بتحول احدهما الى الاخر بفعل الاستعمال .

وهذا ما بينه فندريس فذكر ان « الصفة من جهتها لا يمكن تمييزها من الاسم تمييزا واضحا ؛ اذ يبدو انهما في اللغات الهندية الاوربية صادران عن اصل مشترك وأنهما في كثير من الحالات يحتفظان بصيغة واحدة وأن الاسم والصفة يتبادلان الدور في كل اللغات ولذلك لم يكن بينهما حد فاصل من الوجهة النحوية فيمكن الجمع بينهما في فصيلة واحدة هي فصيلة الاسم»[٢٣٢] . كما بين فندريس ان الاسم يصير صفة وبالعكس فهو يقول بأن « كون الاسم يستطيع ان يصير صفة بتلك السهولة يرينا انه لا يوجد فرق جوهري بين هاتين الكلمتين »[٢٣٢أ] وانه « كثيرا ما يقال في التعبير عن هذا الفرق ان الصفة اشمل مضمونا من الاسم . وهذا حق ولكن على شرط ان تضاف اليه العبارة التالية : في نظر المتكلم »[٢٣٢ب] . « وتستطيع الصفة بدورها ان تصير اسما وهذا يحدث كلما اضيف الوصف العام الذي يعبر عنه بالصفة الى فرد خاص ، أي كلما صارت الصفة وهي شائعة بطبيعتها ــ معرفة ــ ومن ثم جاء استعمال هذه الصفات المعرفة في اسماء الاعلام . وذلك هو السبب في ان اسماء الاعلام التي اصلها صفات تستعمل بالتعريف » . وهي ايضا تمدنا بعدد كبير من اسماء الاشياء »[٢٣٢جـ] .

وإلى مثل هذا ايضا ذهب ستيفن أولمان في دراسته تغير المعنى وأسبابه وأشكاله ، حيث ذكر ان الصفة تتحول الى اسم ، جاعلا هذا الامر من صور التطور الدلالي في الالفاظ . كما تقدم بيان هذا في التمهيد حول تطور الدلالة . والملاحظ ان انتقال الصفة الى الاسمية غالبا ما يكون له سبيلان ، اولهما هو الصفة الشائعة والغالبة التي تستعمل بالتعريف وهو من باب

(٢٣٢ ، ٢٣٢ أ ، ٢٣٢ ب ، ٢٣٢ جـ) اللغة : ص ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٨ .

اقامة وصف الشيء مقام اسمه وثانيهما هو عن طريق الاضافة حيث يحذف المضاف ويقوم المضاف اليه مقامه وهو من باب اضافة الموصوف الى صفته . وفي هدى هذا تفسر ترادف كلمات مثل الدنيا والحياة والاصل الحياة الدنيا ، ومثل المسجد والجامع والاصل مسجد الجامع وفي فقه اللغة للثعالبي فصلان الاول بعنوان : (فصل في اضافة الشيء الى صفته) والثاني بعنوان (فصل في اقامة وصف الشيء مقام اسمه) وقد اورد الثعالبي جملة من الامثلة على ذلك من القرآن الكريم وكلام العرب[٢٢٣] .

وتبعا لمبدأ انتقال الصفة الى الاسمية نتيجة التطور اللغوي كما بينا ، يمكن ان نقرر ان الصفة بهذا المعنى هي من اسباب وقوع الترادف في اللغة . ويثبت هذا ان البحث في الالفاظ المترادفة من الناحية اللغوية التاريخية يكشف لنا بوضوح ان كثيرا من الالفاظ انما هي في أصولها صفات ثم صارت اسماء بفعل الاستعمال . والحق ان الصفة تعلل لنا الكثير من ترادف الالفاظ ، ولها أثر كبير في ذلك كما في مترادفات السيف والخمرة والعسل والاسد والذئب وغيرها . وعلى هذا يصح عندنا ما ذهب اليه دارسون محدثون في عدهم الصفة سببا في نشأة الترادف ، يقول محمد المبارك : (ولو نظرنا الى وضع الالفاظ وتسمية المسميات من وجه آخر لوجدنا ان للشيء المسمى وجوها وصفات كثيرة ويمكن ان يسمى باكثر من صفة من صفاته وان يشتق له من الالفاظ كلمات متعددة تبعا لتلك الوجوه والصفات ومن هنا ينشأ الترادف ... وهذا هو ابرز اسباب نشوئه وظهوره في جميع اللغات)[٢٢٤] وهذا القول صحيح في جملته ولكن فيه

---

(٢٢٣) ص ٢٢٤ ، ٢٦٢

(٢٢٤) فقه اللغة وخصائص العربية د . محمد المبارك ص ١٩٩ ـــ ٢٠٠ وينظر : كلام العرب د . حسن ظاظا : ص١٠٥
و : في اللهجات العربية د . ابراهيم انيس : ص ١٧٠ ـــ ١٧١
و : فصول في فقه العربية د . رمضان عبدالتواب : ص ٢٨١
و : دراسات في فقه اللغة د . صبحي الصالح ص ٤٣٢
و : محاضرات الاستاذ عبدالحميد الراضي في فقه اللغة على طلبة الصفوف الرابعة لكلية الاداب ص ١٨١ ـــ ١٨٢

شيء من الاطلاق ، ينبغي تحديده وحصره بالصفة الغالبة غلبة الاسم التي تطورت فبلغت مرحلة الاسمية وتنوسي فيها معنى الوصفية ، حتى عدت من باب الاعلام المنقولة عن صفات . فليست كل صفة مسببة للترادف ما لم تستعمل استعمال الاسماء دون اي اعتبار آخر . واذا ما علمنا ان القدامى يشترطون الوضع والاصالة في الترادف ، فعندئذ لا ترادف في مثل هذه الالفاظ التي جرت على هذا السبيل ان اخذنا بهذا الشرط . واما اذا اعتبرنا بتطور هذه الالفاظ وما آلت اليه فحينئذ تبدو مترادفة . وعلى اية حال . فأن ترادفها كهذا انما هو نسبي وليس مطلقا وينبغي تمييزه من الترادف الوضعي الاصيل ، كما اشرنا الى هذا آنفا . على أن ما تعارف عليه اللغويون في تسميتهم هذه الألفاظ بـ «الصفات الغالبة» كان على جانب كبير من الوجاهة والصواب ، وكأن هذه الالفاظ قسم ثالث يقع بين الاسمية والوصفية . فهي ليست بالصفات المحضة وليست بالاسماء تماما . ولعل هذا ما يوفق بين الرأيين المختلفين ازاء هذا الضرب من الالفاظ . بيد ان الاصل والتطور يعينان على التفريق بين الاسمية والوصفية في هذا المجال . ومن هنا اختلف حكم اللغويين عليها من حيث كونها أسماء او صفات ، وهو ما يفسر لنا ترجح هذه الالفاظ بين الوصفية والاسمية عندهم بحسب نظرتهم الى اصلها او الى انتقالها وتطورها ، ولهذا نجدهم احيانا يقولون هي اسماء للسيف واحيانا يقولون هي صفات له . وقد تمثل هذا الخلاف في كتب اللغة التي تسوق هذه الالفاظ تارة تحت باب اسماء السيف وتارة تحت باب صفات السيف او نعوته[٢٢٥] .

ولعل من ابرز مظاهر الخلاف حول هذه الالفاظ من حيث كونها اسماء للسيف او صفات له ، تلك المناظرة اللغوية التي جرت بين ابي علي الفارسي وبين ابن خالويه في مجلس سيف الدولة الحمداني ، فقد حكى الشيخ

(٢٢٥) انظر : الغريب المصنف : ورقة ٧٤ ب وفقه اللغة وسر العربية : ص٢٥٠ والمخصص : ٦/١٦-١٧ ، ١٩-٢٨ والمزهر ص٣٥٢

القاضي ابو بكر بن العربي بسنده عن ابي علي الفارسي قال : (كنت بمجلس سيف الدولة بحلب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة وفيهم ابن خالويه ، فقال ابن خالويه : احفظ للسيف خمسين اسما ، فتبسم ابو علي وقال : ما احفظ له الا اسما واحدا ، وهو السيف .

قال ابن خالويه : فأين المهند والصارم وكذا وكذا ؟ فقال ابو علي : هذه صفات ؛ وكأن الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة[٢٢٦]) . ونستطيع أن نوجه جدلهما بأنه إختلاف في وجهات النظر . فأبو علي الفارسي قد نظر الى هذه الالفاظ نظرة لغوية تاريخية فعدها صفات بأعتبار الاصل وبحسب الاستعمال القديم وذلك كما سجلتها كتب اللغة ودونها الرواة زمن جمع المفردات وعصور الاحتجاج . في حين لم ينظر اليها ابن خالويه بمثل هذه النظرة ، وانما نظر اليها نظرة وصفية ومن خلال الاستعمال في عصره ، فعدها اسماء وذلك بأعتبار الدلالة الحالية لها وبالنظر الى ما آلت اليه من اغفال الوصفية فيها بفعل الاستعمال وأقترانها بلام التعريف التي تشعر باسميتها ناهيك عن اتحاد هذه الالفاظ في دلالتها على السيف اصلا . ويوجه طبيعة هذا الخلاف ما ذكرناه سابقا بشأن هذه الالفاظ واطلاقها على السيف اول الأمر ثم ماحدث لها من التوسع والغلبة بحيث صارت دلالتها على السيف دلالة تجريد لا وصف . فحكم الفارسي عليها بالوصفية هو بمقتضى اصلها او استعمالها القديم ، وحكم ابن خالويه عليها بأنها اسماء في القرن الرابع الهجري يدل على تطورها وانتقالها من الوصفية الى الاسمية وعدم مراعاة الفروق بينها .

والا فهل الفرق بين الاسم والصفة واضح بما يحدد هذا وذاك ؟ هو سيف بأعتبار طرفه الحاد ، فالمادة (س ى ف / س و ف) تدل على الطرف والبعد ، وهو مهند من الهند ، وهو حسام يحسم الامور ، وهذا كله تفسير

---

(٢٢٦) المزهر : ١/٤٠٥ وانظر اسماء السيف عن ابن خالويه في المصدر نفسه ١/٤٠٩ — ٤١٠ . وقد ذهب ابن فارس مذهب ابي علي الفارسي في حواره مع القائلين بترادف هذه الالفاظ واسميتها ، وهو مذهب شيخه ثعلب كما صرح بذلك . ينظر الصاحبي ص ٢٢ — ٢٣ ، ٤١ ، ٩٦—٩٧ .

لا يحسه مستخدم كل كلمة من الكلمات[٢٢٧] . ويعزز هذا ما لاحظه بعض القدامى كالاصمعي في نصه السابق من التوسع في دلالة بعض هذه الالفاظ في ذلك الزمن المبكر ، وما أوردناه بشأن استعمالها عند المتنبي وأبي فراس الحمداني وعند أهل الاندلس يشهد على ما نذهب اليه .

بمثل هذا التوجيه تنظر الى الخلاف في هذه المسألة ولسنا نرى خطأ بمعنى الكلمة في رأي كل من الفارسي وأبن خالويه ، بقدر ما هو اختلاف في وجهات النظر اللغوية . وربما كان لعامل المنافسة اثره في تخطئة احدهما للآخر ، لاسيما ان هذه المحاورة قد جرت في مجلس سيف الدولة وبحضور جماعة من اهل اللغة . ومع ميلنا الى رأى ابن خالويه وترجيحه وذلك لما بينا ، لا نزعم ان هذه الالفاظ الخمسين كلها اسماء للسيف ، ولا نحسبه بذكره لهذا العدد من الالفاظ الا مبالغا ، ومفاخرا مباهيا بحفظه ومعرفته اللغوية . ولهذا نعتدل فنقول ان طائفة منها هي التي غلبت غلبة الاسماء فصارت اعلاما للسيف وخاصة في الاستعمال المتأخر ولاسيما حين يراعى مفهومها بين الناس في عصر معين .

على هذا النحو نفسر حدوث الترادف في هذا النمط من الالفاظ وننظر الى علاقة الصفة بنشأة الترادف وأدراك حقيقة الخلاف بشأنها . فنخلص مما تقدم كله الى القول بأن هذا السبب نسبي وليس ثابتا مطلقا كما اشرنا . اذ يبدو ان القول بالترادف او بالتباين في مثل هذه الالفاظ يتوقف على حس المتكلم ونظرته اللغوية الى حد كبير . فمن شاء عدها مترادفة وذلك بالنظر الى اتحاد دلالتها على الذات دون ألتفات الى ما فيها من الوجوه والاعتبارات ، وهو الغالب في الاستعمال . ومن شاء عدها متباينة وذلك بالنظر الى ما في دلالتها من تلك الوجوه والاعتبارات ، وهو القليل في الاستعمال ان لم يكن نادرا . ولهذا ليست النظرة المتطرفة بصائبة في الحكم على مثل هذه الالفاظ من حيث ترادفها وليس من الصواب القطع بشيء من هذا نظرا لترجح هذه الالفاظ بين الوصفية

(٢٢٧) علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة ص ٨٦–٨٧

والاسمية وعدم قوة الفرق ووضوحه فيها مما جعل النظرة ازاءها مختلفة . ولا نرى أصوب من قول القائل فيها : (والحاصل ان من جعلها مترادفة ينظر الى اتحاد دلالتها على الذات ، ومن يمنع ينظر الى اختصاص بعضها بمزيد معنى فهي تشبه المترادفة في الذات والمتباينة في الصفات .)[٢٢٨] وهو ما نذهب اليه مع ملاحظة ان مراعاة التباين فيها في الواقع هو القليل في الاستعمال كما أسلفنا .

بقي ان نعرض لطائفة من الامثلة الاخرى التي وقع فيها الترادف على هذا النحو . فما قلناه في ترادف الفاظ السيف يصدق على كثير من اسماء الخمرة والعسل والصحراء وأسماء بعض الحيوانات . فعند التحقيق تبين ان الكثير من هذه الاسماء في الاصل قد اطلقت على المسمى على سبيل الوصف ، ثم ما لبثت أن جرت مجرى اسماء الاعلام له بفعل الاستعمال . ويتمثل هذا بوضوح في الفاظ الخمرة التي يقول فيها الثعالبي ان اكثرها صفات ..[٢٢٩] فيما اوردها الفيروز آبادي على أنها اسماء[٢٣٠] .

فمن الفاظ الخمر التي ترادفت واصلها صفات : الصهباء . جاء في اللسان : (والصهباء : الخمر ، سميت بذلك للونها . قيل : هي التي عصرت من عنب ابيض ، وقيل : هي تكون منه ومن غيره ، وذلك اذا ضربت الى البياض قال أبو حنيفة : الصهباء اسم لها كالعلم ، وقد جاء بغير ألف ولام لانها في الاصل صفة ، قال الاعشى :

وصهباء طاف يهوديها وابرزها وعليها ختم)[٢٣١]

ومنها : الكميت . وهي في الاصل من الالفاظ التي سميت بها الخمرة

---

(٢٢٨) المزهر : ١/٤٠٥

(٢٢٩) فقه اللغة وسر العربية : ص ٢٧٠

(٢٣٠) وذلك في كتابه : الجليس الانيس في تحريم الخندريس وينظر المخصص ١١/٧٢ — ٨٢

(٢٣١) اللسان مادة صهب : ١/٥٣٢ — ٥٣٣ . وانظر : كنز الحفاظ ص ٢١٤ والجليس الانيس : ورقة ٨٠ آ — ب وفقه اللغة وسر العربية ص ٢٧١

على سبيل الوصف ايضا • يقول ابن السكيت : سميت كميتا لانها حمراء الى الكلفة وقال ابن سيده : الكميت الخمر التي فيها سواد وحمرة • وقال أبو حنيفة الدينوري : هو اسم لها علم وان كان في اصله صفة ، والكمتة في الاصل لون بين السواد والحمرة[٢٣٢] •

ومنها : الشمول • واللغويون ليسوا متفقين على سبب بعينه في هذه التسمية • فقيل اما لاشتمالها عقل متعاطيها واحاطتها به ، واما لانها جامعة لشمل الشراب • وقال أبو عمرو وابو عبيدة : الشمول الخمر لانها تشمل بريحها الناس •وقال ابن السكيت: سميت شمولا لأن لها عصفة كعصفة الريح الشمال• وقال أبو حنيفة : سميت شمولا لانها تشمل على العقل فيذهب به • وقال ابو حاتم : شملت الخمر وضعتها في الشمال اي لتبرد ، ولذلك سميت شمولا ومشمولة[٢٣٣] • وايا كان السبب فان الشمول قد جرت في الاستعمال اللغوي بمعنى الخمر واصبحت اسما لها • وقد اورد الفيروز آبادي الكثير من الشواهد على ذلك • ومنها : العقار • وقد اختلفوا ايضا في سبب هذه التسمية • ففي اللسان عن ابن الاعرابي : (وكلا ارضي كذا عقار وعقار : يعقر الماشية ويقتلها ، ومنه سمي الخمر عقارا لأنه يعقر العقل)[٢٣٤]• وفي مكان آخر من اللسان أن : العقار : الخمر ، سميت بذلك لانها عاقرت العقل وعاقرت الدن اي لزمته • يقال عاقره اذا لازمه وداوم عليه ، واصله من عقر الحوض • وقيل : هو مأخوذ من عقر الحوض لان الواردة تلازمه • وقيل : سميت عقارا لان اصحابها يعاقرونها أي يلازمونها • وقيل : هي التي تعقر شاربها • وقيل : هي التي لا تلبث أن

---

(٢٣٢) كنز الحفاظ ص ٢١٤ والجليس الانيس : ورقة ١٠٠ ب • ونقه اللغة وسر العربية ص ٢٧١

(٢٣٣) الجليس الانيس ورقة ٧٥ ـ ب وورقة ٧٦ آ • وينظر : الغريب المصنف ورقة ٥٩ب وكنز الحفاظ ص ٢١١ ـ ٢١٢ واللسان مادة شمل ٣٦٧/١١ ونقه اللغة وسر العربية ص ٢٧٠

(٢٣٤) اللسان مادة عقر : ٥٩٤/٤

تسكر . وقال ابو سعيد : معاقرة الشراب مغالبته . وقيل غير ذلك[٢٣٥] .

ومن اسماء الخمرة ايضا : القرقف قيل : سميت قرقفا لان شاربها يقرقف اذا شربها اي يرعد . وقال ابو عمرو : القرقف اسم لها وانكر قول من يقول لأنها تقرقف يعني ترعد الناس[٢٣٦] . ومنها : القهوة . قيل سميت قهوة لأن ـ شاربها يقهي عن الطعام أي لا يشتهيه وقيل غير ذلك[٢٣٧] . وسميت مداما ومدامة قيل لأنها اديمت في ظرفها وقيل سميت بذلك لمداومة الشرب على شربها ولدوام مكثها في الدن[٢٣٨] . وسميت راحا . قيل لأن صاحبها يرتاح اذا شربها ، اي يهش للسخاء والكرم . وقال الاصمعي : كل خمر راح[٢٣٩]. ومنها : المقدى والمقدية بتشديد الدال .وفي اطلاق هذه التسمية على الخمر يقول الفيروز آبادي : (والمقد في الاصل قرية بالاردن ينسب اليها الخمر ثم كثر الاستعمال حتى قيل للخمر نفسها مقدا . قال عمرو بن معدى كرب :

وهم تركوا ابن كبشة مسلحبا   وهم منعوه من شرب المقد)[٢٤٠]

وهكذا تعددت الاسماء المختلفة الدالة على الخمر ، وعلاوة على هذه ، فهناك الكثير من الالفاظ الاخرى التي سميت بها الخمر على هذا السبيل نحو :

---

(٢٣٥) اللسان مادة عقر : ٥٩٨/٤ وانظر : الغريب المصنف : ورقة ٥٩ ب وكنز الحفاظ : ص ٢١٢ والجليس الانيس : ورقة ٨٩ آ ـ ب وفقه اللغة وسر العربية ص ٢٧٠

(٢٣٦) الغريب المصنف : ورقة ٥٩ ب وكنز الحفاظ ص ٢١٢ وفقه اللغة وسر العربية ص ٢٠٧ ـ ٢٧١

(٢٣٧) تهذيب الالفاظ : ص ٢١٢ وفقه اللغة وسر العربية : ص ٢٢١ والجليس الانيس ورقة ٩٩ آ ـ ب

(٢٣٨) كنز الحفاظ ص ٢١٣ وفقه اللغة وسر العربية ص ٢٧١ والجليس الانيس ورقة ١٠٤ آ ـ ب

(٢٣٩) كنز الحفاظ ص ٢١٣ وفقه اللغة وسر العربية ٢٧١ والجليس ورقة ٦٠ ب ورقة ٦١ آ ـ ب

(٢٤٠) الجليس الانيس ورقة ١١٢ ب

السلافة والسبيئة والكلفاء والمزة والمشعشعة والطلاء والحميا والخرطوم والغرب والخمطة وغيرها[٢٤١] . فكل هذه الالفاظ في الاصل قد اطلقت على الخمر لصفات فيها او لوجوه واعتبارات اخرى ، ثم تنوسي فيها سبب التسمية فصارت تدل على الخمر ذاتها ومهما قيل في اسباب تسمية الخمر بهذه الالفاظ ، فان هذه الالفاظ قد صارت اسماء للخمر وجرى بها الاستعمال . وما هذه الوجوه والاعتبارات في التسمية التي اختلفوا فيها الا بحسب الأصل وبمقتضى الاشتقاق .

وكثيرا ما تذكر كتب اللغة العديد من الاسماء المترادفة للاسد كالليث والسبع والهزبر والغضنفر والعباس واسامة وقسورة وحيدرة والضيغم والضرغام والعنبس والخبعثنة والدلهمس والريبال والهواس وغيرها[٢٤٢] . ومعظم هذه الالفاظ انما اطلقت على الاسد لاوصاف فيه ، ثم جرت مجرى الاسماء له . فالبحث اللغوي التاريخي في اصولها يكشف لنا عن اسباب اطلاقها على الاسد لاوصاف ووجوه فيه . كما ان البحث اللغوي المقارن يؤكد لنا ان الاسم القديم هو الليث وان باقي الاسماء له انما عرفت بعد ذلك[٢٤٣] .

ويصدق هذا السبب ايضا على ترادف طائفة من اسماء الذئب التي جمع منها السيوطي الشيء الكثير في كتابه : «التهذيب في اسماء الذيب» مكتفيا بسردها من

---

(٢٤١) انظر : الغريب المصنف : ورقة ٥٩ ب ـ ٦٠ آ وكنز الحفاظ ص ٢٢١ وما بعدها وفقه اللغة وسر العربية ص ٢٠٧ ـ ٢٧١ . والمخصص : ١١/٧٢ ـ ٨٢ والمرصع : ص ٢٦٠

(٢٤٢) انظر : الغريب المصنف : ورقة ٢١٨ ب والمخصص ٨/٥٩ ـ ٦٤ والمرصع ص ٣٥٤ اللسان مادة حسب ١/٢١٧ والزهرة البارقة في فنون اللغة الرائقة لمحمد بن عبدالوهاب الهمداني : ورقة ٣٠

(٢٤٣) علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة د . محمود فهمي حجازي ص٨٧ ودراسات في فقه اللغة العربية د . يعقوب بكر ص ١١٧ ـ ١٢٠

غير بيان لاسباب تسمية الذئب بهذه الالفاظ الكثيرة[٢٤٤] . ولو رجعنا الى معجمات اللغة وكتبها لوجدنا ضالتنا من حيث الكشف عن اعتبارات ووجوه اطلاق هذه الالفاظ على الذئب .

ولتحول الصفات الى اسماء في اللغة العربية ما يماثله في لغات اوربا الشمالية فقد اختفى الاسم الاصلي للدب في هذه اللغات وحلت محله صفاته التي تحولت بعد ذلك الى اسماء تطلق عليه . على حين احتفظت السنسكريتية واليونانية بالاسم القديم للدب[٢٤٥] .

اختلاف اللغات[٢٤٦] :

ان الحديث عن هذا السبب ربما يقودنا الى البحث في الحالة اللغوية للعرب قبل الاسلام ، وبيان ما كان لهم من لغات مختلفة ترجع الى مختلف القبائل ، وكيف اتظمت شبه الجزيرة العربية قبيل الاسلام اللغة العربية الفصحى ، وما علاقة هذه اللغة باللغات الاخرى للعرب ، من حيث التأثير والتبادل لاسباب معروفة . غير انني وجدت الباحثين قد فصلوا القول في ذلك واوفوه ما يستحق من الدراسة والبحث ، اذ بينوا ما كان للعرب من لغات مختلفة وبحثوا في كيفية نشوء اللغة المشتركة بسبب العوامل السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها . ولعل اهم ما لاحظه الباحثون هو وجود عدة بيئات لغوية بجانب اللغة المشتركة ، وهذا ما تشهد به النصوص والاثار اللغوية الكثيرة . والذي يعنينا من هذا ان اللغة العربية المشتركة تمثل بيئة

---

(٢٤٤) التهذيب في اسماء الذيب للسيوطي : الورقة الاولى والثانية . وهو جزء من كتابه : « ديوان الحيوان » وينظر : باب الذئاب في الغريب المصنف ورقة ٢١٩ آ واسماء الذئاب وصفاتها في المخصص : ٨/٦٥–٦٨ والمرصع ص ٣٦٣ .

(٢٤٥) علم اللغة العربية ص ١٥ — ١٦ .

(٢٤٦) نعني باللغات هنا ما يقابلها في المصطلح اللغوي الحديث « اللهجات » لان القدامى كانوا يستعملون اللغة ويريدون بها اللهجة .

لغوية واحدة ، وهي اللغة التي جاء بها الشعر الجاهلي ، ودونت بها الاثار الادبية الاخرى ونزل بها القرآن الكريم •

وقد تعصب معظم القدامى للغة قريش لاسباب غير لغوية حتى كادوا يقصرون الفصحى عليها ، ومع انهم انحازوا كثيرا الى لغة قريش فانهم لم ينكروا الاختلاط والتبادل بينها وبين لغات العرب الاخرى • قال الفراء : (كانت العرب تحضر الموسم في كل عام ، وتحج البيت في الجاهلية ، وقريش يسمعون لغات العرب ، فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به ، فصاروا افصح العرب ؛ وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبح الالفاظ ••)[٢٤٧] والى مثله ذهب احمد بن فارس بعد ان تحدث عن مكانة قريش وفضلها حيث قال : (وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها، ورقة السنتها، اذا اتتهم الوفودمن العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم ، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات الى نحائزهم وسلائقهم التي طبعوا عليها ؛ فصاروا بذلك افصح العرب)[٢٤٨] • وفي اللسان عن قتادة : (كانت قريش تجتبي ، أي تختار ، افضل لغات العرب ، حتى صار افضل لغاتها لغتها ، فنزل القرآن بها)[٢٤٩] • وهذا ما صرح به ايضا ابو نصر الفارابي في اول كتابه المسمى بـ « الالفاظ والحروف » حيث ذكر أنّ قريشا كانت اجود العرب انتقادا للافصح من الالفاظ وانها نقلت عن قبائل العرب الاخرى كقيس وتميم واسد كثيرا من الالفاظ[٢٥٠] •

وهكذا نجد القدامى يقرون بتداخل لغات العرب المختلفة واخذ بعضها عن بعض ولاسيما ما كان بين لغة قريش ولغات القبائل الاخرى • واذا كان اغلب القدامى قد عدوا اللغة العربية المشتركة هي لغة قريش ، او ان معظم

---

(٢٤٧) المزهر : ٢٢١/١ . والاقتراح للسيوطي : ص ٨٣
(٢٤٨) الصاحبي : ص ٥٢ وعنه في المزهر : ٢١٠/١
(٢٤٩) اللسان مادة عرب : ٥٨٨/١
(٢٥٠) المزهر : ٢١١/١

هذه اللغة قد اخذ عن لغة قريش ، فان المحققين من المحدثين يرون غير هذا . فالذي عليه هؤلاء ان العربية المشتركة ليست لغة قريش حسب، وانما هي مؤلفة من مجموع لغات العرب، وقد حفلت بمواد شتى من هذه اللغات. يقول الدكتور إبراهيم السامرائي : (لقد تبينا ان هذه العربية التي ورثناها حفلت بمواد شتى مما ندعوه اليوم بـ « اللهجات » وليس من العلم ان نقول ان لغة القرآن او الفصحى هي لغة قريش أو لغة الحجاز ، والصحيح ان نقول انه اجتمعت في هذه العربية مواد كثيرة ترجع لجماعات عدة في بيئات عدة ، ولم ينص في الكثير الغالب على القائلين .)[251] وعلى هذا الرأى طائفة من المحدثين عربا ومستشرقين حيث ذكروا ان اللغة المشتركة هي ليست لغة قريش وحدها ، وانما هي مزيج من لغات العرب فهي لا تنتسب الى قبيلة بعينها ، بل تنتسب الى العرب جميعا ، مستدلين على هذا بادلة كثيرة أهمها ملاحظتهم الفروق بين لغة قريش واللغة الفصحى التي تتمثل في تحقيق الهمز في الفصحى بخلاف لغة قريش وبدليل وجود الكثير من الفاظ وصفات اللغات الاخرى في القرآن الكريم[252] .

ولما كانت اللغة المشتركة الموحدة ، قد تكونت من هذه اللغات المختلفة للعرب ، فلابد ان تبدو فيها بعض مظاهر هذا الاختلاط ويظهر فيها اثر تداخل لغات القبائل المختلفة . فمن المعلوم ان هذه اللغات التي تكونت منها الفصحى

---

(٢٥١) التطور اللغوي التاريخي : ص ١١٧

(٢٥٢) ينظر : اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، عبده الراجحي ، الصفحات ، ٤٠ ــ ٤١ ، ٤٨ ــ ٤٩ .
و : فصول في فقه العربية د . رمضان عبدالتواب : ٦٧ ، ٦٩ ، ٩٨ــ٩٩
و : في اللهجات العربية د. ابراهيم انيس: ٦٨ ، ١٢٥ــ١٢٦، ١٤١، ١١٧
و : الوجيز في فقه اللغة ، محمد الانطاكي : ص ١٠٠
و : اللغات في القرآن ــ عبدالله بن عباس ، مقدمة المحقق ص ٨ــ٩
و : اللغات السامية ــ نولدكه ، الصفحات : ٧٤ ــ ٧٧ ، ٧٨ــ٧٩ وما بعدها
و : مستقبل اللغة العربية المشتركة د . ابراهيم انيس ص ٦
و : الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام : ٨/٥٤٢ ، ٦٢٦

قد كانت تختلف في بعض الصفات والخصائص اللغوية ، وابين ما يكون هذا في المسائل الصوتية وطرائق نطق الكلمة ، فهذه اللغات وان كانت راجعة الى ارومة واحدة ، الا انها كانت تختلف في بعض المسائل . وما يهمنا من هـذا الاختلاف هو ما يتعلق بالمستوى الدلالي للالفاظ ولاسيما في مسألة التسمية . اذ يلاحظ ان لغـة من اللغـات قد تسمي شيئا باسـم معين ، عـلى حين تسـميه لغـة اخرى باسـم اخر ، وقد تسميه لغـة ثالثـة باسـم ثالث . وعـلى هـذا النحو تتعدد الاسماء للمسمى الواحد وذلك بحسب اختلاف لغات القبائل . وعندما نشأت اللغة المشتركة من هذه اللغات المختلفة ظهر اثر ذلك فيهـا . اذ ترتب على تداخل هذه اللغات والخلط بينها ، ان وجد للمسمى الواحد عـدة اسمـاء في اللغة المشتركة وهذه نتيجة طبيعية لتداخل هذه اللغات وامتزاجها في لغة واحدة . ومن هنا كان اختلاف اللغات سببا من اسباب وقوع الترادف في اللغة العربيـة الموحـدة .

ومن الشواهد على ذلك ما نجده في نصوص كثيرة تعددت التسمية فيهـا للشيء الواحد ، حتى وقع التفاخر بينهم بسبب ذلك . وهذا ما ذكره ابن فارس بقوله (فاما من زعم ان ولد اسماعيل عليه السلام يعيرون ولد قحطان انهم ليسـوا عربا ، ويحتجون عليهم بان لسانهم الحميرية ... وانهم يسـمون الذئـب القلوب ، مع قوله : « واخاف ان يأكله الذئب »[٢٥٣] ويسمون الاصـابع الشناتر وقد قال الله : « يجعلون اصابعهم في اذانهم »[٢٥٤] وانهم يسمون الصديق الخلم . والله جل ثناؤه يقـول : « او صديقكم » [٢٥٥] وما اشـبه هـذا)[٢٥٦] . وقد علق ابن فارس على هذا الاختلاف بقوله : (فليس اختلاف اللغات قادحا في الانساب ونحن وان كنا نعلم ان القرآن نزل بافصح اللغات ،

---

(٢٥٣) سورة يوسف آية ١٣
(٢٥٤) سورة البقرة آية ١٩
(٢٥٥) سورة النور آية ٦١
(٢٥٦) الصاحبي ص ٥٥

فلسنا ننكر ان تكون لكل قوم لغة)[٢٥٧] ومن هذا ما لاحظه الجاحظ في لغات أهل الامصار اذ ذكر انهم ، انما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب ولذلك تجد الاختلاف في الفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر ، وقد ذكر الجاحظ شيئا من هذا الاختلاف كالذي حكاه عن محمد بن المناذر الشاعر - المتوفى سنة ١٩٨ هـ - ، من ان اهل مكة يسمون القدر برمة واهل البصرة يسمونها قدرا ، وانهم يسمون البيت اذا كان فوق البيت علية ، على حين يسميها أهل البصرة غرفة كذلك يسمي أهل مكة الطلع الكافور والاغريض ويسميه أهل البصرة الطلع ، وقد جاءت استعمالات البصريين موافقة لما جاء في القرآن الكريم في نحو قوله تعالى : (وجفان كالجوابي وقدور راسيات)[٢٥٨] وقوله تعالى : (غرف من فوقها غرف مبنية)[٢٥٩] وقوله تعالى : (وهم في الغرفات آمنون)[٢٦٠] وقوله تعالى : (ونخل طلعها هضيم)[٢٦١] ومن اجل هذا افتخر محمد بن المناذر على أهل مكة لموافقة هذه الالفاظ البصرية ومطابقتها للاستعمال القرآني في دفاعه عن لغة اهل البصرة [٢٦٢] .

كما نستفيد شيئا من هذا الاختلاف من خلال حديث الجاحظ عن لثغة واصل بن عطاء في الراء بانه كان اذا اراد ان يذكر البر ، قال : القمح او الحنطة . والحنطة لغة كوفية والقمح لغة شامية[٢٦٣] .

وفي كتب اللغة والمعجمات الشيء الكثير من المسميات التي نجد لها اكثر من اسم واحد مما جاء على سبيل اختلاف اللغات ، ولكن اللغويين لا

---

(٢٥٧) المصدر السابق والصفحة نفسها .
(٢٥٨) سورة سبا ، آية ١٣
(٢٥٩) سورة الزمر آية ٢٠
(٢٦٠) سورة سبا آية ٣٧
(٢٦١) سورة الشعراء آية ١٤٨ .
(٢٦٢) البيان والتبيين : ١/١٨ - ٢٠ ط ٣ وانظر : العربية : يوهان فك ص١١٦
(٢٦٣) المصدر السابق : ١/١٧ .

ينسبون هذه الالفاظ الى اصحابها او القبائل التي جاءت عنها في الغالب ، مكتفين بالاشارة الى انها لغة دون نسبة . وما اكثر الخلط والاختلاف الذي وقع في نسبة هذه الاسماء الى لغات القبائل . ولعل هذا الامر كان بسبب التداخل الحاصل بين هذه اللغات التي ترجع في الحقيقة الى اصل واحد وتمثل لغة مشتركة موحدة . واذا كان الكثير من القدامى قد حاولوا التفريق بين اللغة الفصحى المشتركة واللغات الاخرى التي نعتوها بانها لغات رديئة او مذمومة ، فمنهم من توسع في هذا حتى جعل اللغات كلها على اختلافها حجة كابن جني[٢٦٤] . وقريب منه ما ذكره ابن فارس وهو يتحدث عن اختلاف لغات العرب ويضرب الامثلة لذلك ، مشيرا الى الخلط والتداخل فيها بسبب انتشارها فهو يقول : (وكل هذه اللغات مسماة منسوبة الى اصحابها ، ولكن هذا موضع اختصار ، وهي وان كانت لقوم دون قوم فانها لما انتشرت تعاورها كل)[٢٦٥] .

ومن هذا كله يتضح لنا ان لغات القبائل كانت تختلف احيانا في تسمية الشيء ، وفي النهاية تستفيد اللغة المشتركة من هذا الاختلاف في تعدد التسمية . ولما كنا نبحث عن الترادف في اللغة المشتركة ، فلا يسعنا ان نغفل اثر اختلاف اللغات في وقوع الترادف في تلك اللغة المشتركة . فهو من الاسباب الواضحة في حدوث هذه الظاهرة وذلك ان : (خاصية اللغة المشتركة الاساسية تنحصر في انها لغة وسطى تقوم بين لغات اولئك الذين يتكلمونها جميعا)[٢٦٦] . واذا كانت اللغة العربية الفصحى مزيجا من لغات العرب المختلفة التي كانت بمثابة الروافد لها ، وان شيئا كثيرا من هذه اللغات قد اجتمع فيها كما اسلفنا ، امكننا ان نلحظ سبب ترادف طائفة من الالفاظ وان نعزوه الى هذه الحقيقة . ومن ذلك ما جاء في اسماء السيف نحو : الخط بلغة أهل البحرين

---

(٢٦٤) الخصائص : ٢/١٠

(٢٦٥) الصاحبي : ص ٥٠ ــ ٥١

(٢٦٦) اللغة ، فندريس : ص ٣٤١

وغسان[٢٦٧] والشلحاء عند أهل الشحر[٢٦٨] ، واللج بلغة طيء ، وقيل بلغة هذيل ايضا[٢٦٩] . وفي مجالس ثعلب : (الذي يسقط من البسر قبل ان يدرك السراء ، الواحدة سراءة وهو الجدال ، الواحدة جدالة ، وهو السداء ممدود بلغة اليمن ، وهو السدى بلغة أهل المدينة ، وهو السياب ، الواحدة سيابة بلغة أهل وادي القرى وهي الرمخ بلغة طيء الواحدة رمخة ، وهو الخلال بلغة أهل البصرة وأهل البحرين) . ومن ذلك ايضا نجد : الخردل وهو الثفاء بلغة أهل الغور ويسميه أهل العراق : حب الرشاد[٢٧٠] . ومنه ان المرآة هي الوذيلة بلغة هذيل[٢٧١] وان الضفدع يسمى في بعض اللغات الخندع ويقال له القرة في لغة اخرى ، ويقال للضفدعة النقاقة في بعض اللغات[٢٧٢] .

ولعل من الامثلة الواضحة على ترادف الالفاظ بسبب اختلاف لغات القبائل ما دونه الاصمعي في كتابه : « ما اختلفت الفاظه واتفقت معانيه » حيث اورد الكثير منها ، وهي لغات قبائل مختلفة على الارجح ، وان اغفل الاشارة الى ذلك في الغالب . ومن هذه مثلا : (ويقال للذي يرضع من كل صبي او بهيمة بلغة أهل الحجاز : رضع يرضع ، ويقول من دونهم : رضع يرضع ، وملج يملج ، ورغث يرغث رغثا ورغثانا ، ورغاث ، لا ينون مثل حذام ، وهذا كله في معنى رضع)[٢٧٣] ومنها : (ويقال : انه لكريم الطبيعة ، والضريبة ، وانه لكريم الخيم وكريم النحاس ، وكريم السليقة وكريم السوس والتوس .)[٢٧٤] ومن الجدير بالذكر ان هذه الالفاظ الاخيرة قد جاءت في

---

(٢٦٧) الجمهرة : ١/٦٧ والمزهر : ١/٤٢٨
(٢٦٨) اللسان مادة شلح : ٢/٥٠٠
(٢٦٩) اللسان مادة لجج : ٢/٣٥٤
(٢٧٠) اللسان مادة ثفا : ١/٤١
(٢٧١) اصلاح المنطق ص ٣٤٩
(٢٧٢) المزهر ١/٢١٦ ــ ٢١٧
(٢٧٣) ما اختلفت الفاظه واتفقت معانيه : ورقة ٢ .
(٢٧٤) المصدر السابق : ورقة

كتاب الغريب المصنف لابي عبيد القاسم بن سلام في باب الاسماء المختلفة للشيء الواحد[٢٧٥] وتمثل بها ابن جني[٢٧٦] شواهد على الترادف مع التزيد فيها دون نسبة الى القبائل •

وهكذا وقع الترادف في هذه الالفاظ بسبب اختلاف اللغات ، وبه فسر ما جاء في القرآن الكريم من الفاظ مترادفة وذلك نحو حلف واقسم في قوله تعالى : (يحلفون بالله ما قالوا)[٢٧٧] وقوله تعالى : (واقسموا بالله جهد ايمانهم)[٢٧٨] ونحو بعث وارسل في قوله تعالى : (بعث فيهم رسولا)[٢٧٩] وقوله (فارسلنا فيهم رسولا)[٢٨٠] وقد حاول ابو هلال العسكري بتكلف واضح التفرقة بين هذه الالفاظ[٢٨١]. ومما جاء في القرآن الكريم أيضا على هذا النحو آثر وفضل في قوله تعالى : (تالله لقد آثرك الله علينا)[٢٨٢] وقوله (واني فضلتكم على العالمين)[٢٨٣] وحضر وجاء كما في قوله تعالى : (اذا حضر احدكم الموت)[٢٨٤] وقوله : (حتى اذا جاء احدكم الموت)[٢٨٥] وغير هذا مما جاء في القرآن الكريم[٢٨٦] •

ونريد ان نخلص من هذه الامثلة الى ان اختلاف اللغات المتمثل بوجود عدة اسماء للشيء الواحد ، لا يمكن ان يفسر الا على سبيل الترادف ، ولكن

(٢٧٥) الغريب المصنف : ورقة ٢٨٩ ب

(٢٧٦) الخصائص : ٢/١١٤ وما بعدها .

(٢٧٧) سورة التوبة آية ٧٤ .

(٢٧٨) سورة النور آية ٥٣

(٢٧٩) سورة آل عمران آية ١٦٤

(٢٨٠) سورة (المؤمنون) آية ٣٢

(٢٨١) الفروق اللغوية : ص ٢٢٢

(٢٨٢) سورة يوسف آية : ٩١

(٢٨٣) سورة البقرة آية ٤٧

(٢٨٤) سورة المائدة آية ١٠٦

(٢٨٥) سورة الانعام آية ٦١

(٢٨٦) انظر في اللهجات العربية : ص ١٦٨ وفصول في فقه العربية : ص ٢٨٠

ينبغي القول انه ليس من الترادف في شيء تلك الاختلافات القبلية في الكلمة الواحدة نحو : صاعقة وصاقعة ، وجذب وجبذ ، وتمتى وتمطى ، والخزف والخزب ، والجدث والجدف ، والزقر والصقر والسقر ، خلافا لما توهمه معظم القدامى وكثير من المحدثين . فلا اصالة في مثل هذه الالفاظ تدل على انها لغات مختلفة تماما وانما الكلمة واحدة في الاصل ثم حصل فيها تغيير صوتي بسبب القلب والابدال في حروفها ، ولا ادل على ذلك من العلاقة الصوتية بين هذه الحروف التي يسرت لحدوث القلب والابدال فيها .

ولا يفوتنا هنا ان نعرض لموقف قدامى اللغويين وغيرهم من هذا السبب حيث نجد الغالبية منهم قد عولوا كثيرا على اختلاف لغات القبائل في تفسير الترادف وجعلوه السبب الرئيسي لحدوثه ، بل كادوا يقصرون وقوع الترادف في اللغة على هذا السبب الذي عبروا عنه احيانا بتعدد الوضع . فابن جني مثلا قد فسر الترادف بتداخل اللغات المختلفة للعرب واجتماعها في لغة انسان واحد ، فهو يقول : (واذا كثر على المعنى الواحد الفاظ مختلفة فسمعت في لغة انسان واحد ، فأن احرى ذلك ان يكون قد افاد اكثرها او طرفا منها ، من حيث كانت القبيلة الواحدة لا تتواطأ في المعنى الواحد على ذلك كله . هذا غالب الامر ، وان كان الاخر في وجه من القياس جائزا . وذلك كما جاء عنهم في اسماء الاسد والسيف والخمر وغير ذلك .)[٢٨٧] ومثل هذا ما ذكره في مكان آخر بقوله : (وكلما كثرت الالفاظ على المعنى الواحد ، كان ذلك اولى بأن تكون لغات لجماعات ، اجتمعت لانسان واحد ، من هنا ومن هنا)[٢٨٨] . كما ذهب الى هذا التفسير ايضا أهل الاصول ففسروا وقوع الترادف بتعدد الوضع نتيجة اختلاف لغات القبائل وجعلوه السبب الاكثر . كما ذكرنا في الفصل الاول .

وازاء مذهب القدامى هذا في تفسير الترادف نقول انه لا نزاع في

---

(٢٨٧) الخصائص : ١/٣٧٢

(٢٨٨) المصدر السابق : ١/٣٧٤

وقوع الترادف في اللغة بسبب اختلاف لغات العرب على ما بيناه ، وقد سبق ان قررنا ان ذلك امر طبيعي نتيجة تداخل هذه اللغات واختلاطها ، واثر لما تركته هذه اللغات في الفصحى . بيد ان قول هؤلاء بالوضع على ما يبدو يشعر بالخلق والاختراع لهذه الاسماء المختلفة ؛ وكأن هذه القبائل تفعل ذلك عن قصد ، فتضع كل واحدة منها اسما معينا للمسمى الواحد على جهة الانفراد ، وحصيلة هذا ان يكون هناك عدة اسماء للمسمى الواحد . وهذا المنحى في التفسير يثير شيئا من الغرابة حقا . وهو امر نستبعده كثيرا اذ اننا لا نفهم من تعدد الوضع هنا الا استعمال الالفاظ بحسب العرف اللغوي وليس بمعنى الخلق والاختراع عن عمد ذلك أمر لا تلجأ اللغات اليه الا نادرا . وكيف نقول بالوضع ومن هذه الاسماء ما جاء على سبيل النقل والاستعارة والتطور اللغوي ؛ ومنها ما اقتبسته القبائل من لغات اعجمية ثم صار بمرور الزمن جزءا من الفاظها الخاصة كما في امثلة العلية للغرفة والسكين للمدية والخردل للثفاء والطيثار للبعوض وغير ذلك . وكل هذا مما يدحض مسألة الوضع تبعا لتلك النظرة ، ويجعلنا نتحفظ كثيرا في قبولها اضافة الى أننا نجهل الكثير عن الوضع الاول . لقد صور الاقدمون هذا السبب وكأن لغات العرب مستقل بعضها عن بعض تماما وليست براجعة الى لغة أم واحدة . على حين ان هذا التعدد الحاصل في التسمية هو في الواقع مما املته العزلة اللغوية للقبائل بعضها عن بعض وما كان من امر انقسام وتشعب اللغة الواحدة الى بيئات لغوية مختلفة اختلافا جزئيا .

ومن ناحية اخرى نرى ان القدامى كانوا قد عولوا كثيرا على هذا السبب في تفسير وقوع الترادف وبالغوا في اثره ، غير انه لا يمكن تفسير هذه الظاهرة بسبب معين ، فهي تعود الى جملة اسباب . ولعل تعويلهم على تعدد الوضع مرده الى اشتراطهم الوضع في حدهم للترادف .

وهذا امر لا يمكن التسليم به البتة ، اذ لا نجد اية اصالة على جهة الوضع في معظم الاسماء التي عدوها مترادفة . ومرد الكثير من ترادف

الالفاظ الى الاستعمال لا الى الوضع الاول . ومما يلفت النظر ان قدامى اللغويين - ومنهم ابن جني - ممن فسروا الترادف بانه لغات مختلفة : لا يشيرون اشارة واحدة تعزو الالفاظ المترادفة الى تلك اللغات : فلا نجد شيئا من ذلك في امثلة ابن جني(٢٨٩) ؛ ولا في كتاب الالفاظ المترادفة للرماني ولا في اسماء السيف لابن خالويه ولا في مرادفات العسل للفيروز آبادي ولا في الامثلة الاخرى للترادف التي جمع منها السيوطي الشيء الكثير(٢٩٠) . وقل مثل هذا في معظم المترادفات الاخرى التي وصلت الينا .

وقد نلتمس العذر لهؤلاء في تعويلهم على هذا السبب بكونه من اوضح اسباب الترادف واظهرها ؛ حتى ان بعض منكري الترادف كابي هلال العسكري قد اعترف بعدم التفرقة بين الالفاظ للشيء الواحد اذا كانت من لغات مختلفة اذ استثناها من قواعده في التفرقة بين الالفاظ ، يدل على ذلك قوله : (فاذا اعتبرت هذه المعاني وما شاكلها في الكلمتين ولم يتبين لك الفرق بين معنييهما فاعلم انهما من لغتين مثل القدر بالبصرية والبرمة بالمكية ...)(٢٩١) ولقوة هذا السبب ووضوحه تجد حمزة الاصفهاني يقول : (وينبغي ان يحمل كلام من منع على منعه في لغة واحدة ؛ فاما في لغتين فلا ينكره عاقل .)(٢٩٢)

وليس حدوث الترادف بفعل هذا السبب مقصورا على العربية وحدها ، فقد حدث لاكثر اللغات الحية كما اكد بعض الباحثين العرب والاجانب .

وبعد كل ما تقدم فلا يصح عندنا بحال ما ذهب اليه الاستاذ خليل السكاكيني زاعما ان القبائل هي اعقل من ان تضع لكل مسمى اسما ، منكرا اثر هذا السبب في قوع الترادف(٢٩٣) . وقد فاته ان هذه القبائل قد كانت

---

(٢٨٩) الخصائص ٢/١١٣ - ١٢٣
(٢٩٠) المزهر : ١/٤٠٧ - ٤١٢
(٢٩١) الفروق اللغوية : ص ١٦
(٢٩٢) المزهر : ١/٤٠٥
(٢٩٣) مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة

تمثل بيئات لغوية مختلفة ضمن لغة واحدة . ولا شك انها كانت تتباين في تسمية الشيء الواحد احيانا اضافة الى ان هذه النظرة العقلية تنافي الواقع اللغوي المتمثل في كثرة النصوص المروية على اختلاف القبائل في التسمية . واين هو من تباين اللهجات العربية الحديثة اليوم واختلافها في تسمية الشيء الواحد ؟

واذا كان السكاكيني قد رفض هذا السبب بغير وجه حق ، فأن الدكتور رمضان عبدالتواب[٢٩٤] والدكتور علي عبدالواحد وافي[٢٩٥] قد جعلاه من اسباب كثرة الترادف في العربية فبالغا في اثره كثيرا . وهو امر لا يصح ايضا . ذلك ان القلة من الالفاظ المترادفة هي التي يمكن تفسيرها بهذا السبب ، واما الكثرة منها فلا يصدق عليها هذا التفسير . والواقع ان هذا السبب وان كان وجيها وواضحا كما ذكرنا لا يفسر لنا هذه الكثرة من المترادفات التي قد تصل الى المئات والالوف لانها اكثر من عدد القبائل اضعاف المرات[٢٩٦] ، ويعزز هذا توزيع المترادفات الكثيرة للشيء الواحد على عدد تلك القبائل . كما نلاحظ ان البحث في المترادفات والنظر فيها لا يؤيد مثل هذا الرأي فان معظمها قد جاء بسبب التطور الدلالي كما بينا .

المعرب والدخيل :

اقتبست العربية كثيرا من الفاظ اللغات الاجنبية عبر تاريخها الطويل وذلك بسبب عوامل الاحتكاك اللغوي المختلفة . وقد اخضعتها العربية لقواعدها الصوتية وطوعتها في الغالب لمقاييس ابنيتها وجرى بها الاستعمال ، حتى صارت هذه المفردات الدخيلة بمرور الزمن جزءا من ثروتها اللفظية . وظاهرة الاقتباس هذه هي التي اصطلح عليها القدامى بالمعرب والدخيل ، على حين عبر عنها المحدثون بالقرض اللغوي او الاستعارة اللغوية .

---

(٢٩٤) فصول في فقه العربية : ص ٢٧٩

(٢٩٥) فقه اللغة : ص ١٧٢

(٢٩٦) الاضداد في اللغة : ص ٢٧

وقد تفاوتت نظرة اللغويين القدامى الى مسألة التعريب وشروطه عندهم ضيقا واتساعا ،فمنهم من لم يشترط فيه سوى الاستعمال، فمتى استعملت العرب الكلمة الاعجمية صارت معربة سواء الحقوها باوزان كلماتهم ام لم يلحقوها . وهذا هو المفهوم من عبارة سيبويه : (اعلم انهم مما يغيرون من الحروف الاعجمية ما ليس من حروفهم البتة ، فربما الحقوه ببناء كلامهم وربما لم يلحقوه)[٢٩٧] والى مثل هذا ذهب الشهاب الخفاجي بقوله : (واعلم ان التعريب نقل اللفظ من العجمية الى العربية)[٢٩٨] وقد ذهب اخرون الى أن التعريب هو ان تتكلم العرب بالكلمة الاعجمية على نهجها وأسلوبها ، وهو ما عناه الجوهري بقوله : (تعريب الاسم الاعجمي : ان تتفوه به العرب على منهاجها ، تقول عربته العرب واعربته ايضا)[٢٩٩]. كما اننا نجدهم تارة يفرقون بين المعرب والدخيل وذلك بأن المعرب هو الذي غيروا فيه من حيث النطق والوزن والبنية ، فأبتعد عن صورته الاصلية ، والدخيل هو الذي ترك على حاله ولم يغيروا فيه شيئا ، وتارة يعدونهما شيئا واحدا ، فقد جرى سيبويه على تسميته اعرابا[٣٠٠] . وقد ذكر السيوطي انه يطلق على المعرب دخيل[٣٠١] . وسمى الخفاجي وغيره الكلمات المعربة بالدخيل[٣٠٢] . وتعد من المعرب والدخيل تلك الالفاظ التي دخلت اللغة بعد عصور الاحتجاج وعهود الفصاحة ، والتي اطلق اللغويون عليها اسم « المولد »

(٢٩٧) الكتاب : ٣٤٢/٢
(٢٩٨) شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل : ٢٣
(٢٩٩) الصحاح مادة عرب : ١٧٩/١ وانظر اللسان مادة عرب : ٥٨٩/١
(٣٠٠) الكتاب : ٣٤٢/٢ باب ما اعرب من الاعجمية
(٣٠١) المزهر : ٢٦٩/١
(٣٠٢) شفاء الغليل ص ٢٢ والمعرب للجواليقي ص ٣ وينظر من اسرار اللغة ص ١٢٥

(وهو ما احدثه المولدون الذين لا يحتج بالفاظهم[٣٠٣]) او هو ما عربه المتأخرون كما يقول الخفاجي[٣٠٤] .

ان ظاهرة اقتباس المفردات من اللغات الاخرى اثر من اثار التقاء تلك اللغات واحتكاكها بسبب العوامل الاقتصادية والثقافية والسياسية والدينية فاللغات الانسانية في تفاعل مستمر دائم ، تأخذ وتعطي ويؤثر بعضها في بعض ، غالبة كانت أو مغلوبة قوية او ضعيفة . وتبدو ظاهرة اقتراض الالفاظ من النواحي البارزة التي تنجم عن قضية التفاعل ، حيث لاحظ علماء اللغات ان أهم ناحية يظهر فيها التأثر ، هي الناحية المتعلقة بالمفردات ، ففي هذه الناحية على الاخص تنشط حركة التبادل بين اللغات ويكثر اقتباسها بعضها من بعض[٣٠٥] .

والعربية شأنها شأن اللغات الاخرى في هذا الامر ، وليست بدعا في ذلك ، ولا ضير عليها منه ، وانما هو يدل على حيويتها وقوتها ؛ ذلك ان (تطور اللغة المستمر في معزل عن كل تأثير خارجي ، يعد امرا مثاليا لا يكاد يتحقق في اية لغة . بل على العكس من ذلك فان الاثر الذي يقع على لغة ما من لغات مجاورة لها كثيرا ما يلعب دورا هاما في التطور اللغوي . ذلك أن احتكاك اللغات ضرورة تاريخية واحتكاك اللغات يؤدي حتما الى تداخلها)[٣٠٦] . ولهذا لا توجد لغة غير مختلطة ولو الى حد ما ، ولا تخلو او تنجو لغة من قضية التأثر والتأثير ولا سيما اقتباس المفردات[٣٠٧] .

---

(٣٠٣) المزهر ١/٣٠٤
(٣٠٤) شفاء الغليل ص ٢٣ وانظر فقه اللغة د . وافي ص ١٩٩
(٣٠٥) اللغة ؛ فندريس ٣٤٨ وما بعدها وعلم اللغة د . وافي : ٢٢٩ ونصوص في فقه اللغة العربية د . يعقوب بكر : ٢/٥ وما بعدها وفقه اللغة وخصائص العربية ؛ محمد المبارك : ٢٩٢ – ٢٩٣
(٣٠٦) اللغة ؛ فندريس ٣٤٨
(٣٠٧) المصادر السابقة وللتفصيل حول ظاهرة القرض اللغوي ينظر : من اسرار اللغة ، د . ابراهيم انيس : ص ١١٧ وما بعدها محاضرات في اللغة د.عبدالرحمن ايوب : ص ٢٠٠ وما بعدها والمفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٨/٦٩٤ وما بعدها .

وهذا ما حدث للعربية في عصورها المختلفة ، حيث اعطت الكثير وكانت جزيلة العطاء ، كما انها أخذت من مفردات اللغات الاخرى وخاصة من اللغات المجاورة لها في الجاهلية والاسلام وفي العصور التالية ، ولهذا نجد قدرا من هذه الالفاظ في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم والحديث الشريف . يقول الجواليقي في مقدمة كتابه « المعرب » : (هذا كتاب نذكر فيه ما تكلمت به العرب من الكلام الاعجمي ، ونطق به القرآن المجيد ، وورد في اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ، رضوان الله عليهم أجمعين ، وذكرته العرب في أشعارها وأخبارها ، ليعرف الدخيل من الصريح)[308] . وقد أصبح هذا الدخيل يشكل ظاهرة في اللغة تناولها الدارسون بالبحث والتحليل ، بعد ان تنبهوا له منذ وقت مبكر فقد أشار الى وقوعه الخليل بن احمد الفراهيدي[309] ، ثم تابعه أصحاب المعجمات واللغويون في النص عليه حتى افردت له فيه مصنفات خاصة كالمعرب للجواليقي والمهذب فيما وقع في القرآن من المعرب للسيوطي وشفاء الغليل للخفاجي والالفاظ الفارسية المعربة للاب ادى شير وغير ذلك مما كتب القدامى والمحدثون .

وعلى الرغم من بداهة هذا الامر فقد اختلف الفقهاء واللغويون العرب فيما ورد من هذه الالفاظ في القرآن الكريم ، وذهبوا في شأنها مذاهب شتى ، وملخص هذا الخلاف ان طائفة منهم قالت بوقوع الالفاظ الاعجمية فيه كاليم والصراط والفردوس والقسطاس وغير ذلك . وذهب اخرون الى نفي عجمة هذه الالفاظ تنزيها للقرآن من اللفظ الاعجمي الدخيل ، وانه

---

(٣٠٨) المعرب ص ٢ وانظر شفاء الغليل ص ٢٣

(٣٠٩) العين ـ الجزء المطبوع ـ ص ٢٦٩ وانظر المزهر : ١/٢٦٩

كله بلسان عربي مبين ، محتجين بقوله تعالى : (انا جعلناه قرآنا عربيا)[٣١٠] وقوله تعالى : (بلسان عربي مبين)[٣١١] وقد حاول أبو عبيدة معمر بن المثنى التوفيق بين الرأيين بأن هذه الالفاظ كانت بغير لسان العرب في الاصل ، فلما لفظت بها العرب بألسنتها ، فعربتها صارت عربية ، فهي عربية في هذه الحال ، اعجمية الاصل على حين رأى بعضهم ان العربية قد وافقت تلك اللغات الاعجمية في هذه الالفاظ فجعلوها من باب توارد اللغات واتفاقها[٣١٢] . والذي نراه في هذا كله هو ما ذهب اليه ابو عبيد القاسم ابن سلام وشايعه فيه الجواليقي واخرون[٣١٣] .

ان التحليل القائم على البحث اللغوي المقارن يثبت هذا ويؤكده ؛ والغريب ان نجد في هذا العصر من ينكر ذلك ، كالشيخ احمد محمد شاكر في متابعة مذهب ابي عبيدة ـ معمر بن المثنى ـ في القديم[٣١٤] .

والذي يعنينا من امر المعرب والدخيل تلك الالفاظ التي اقتبستها العربية من اللغات الاعجمية ، ولها نظائر عند العرب من حيث الدلالة . ومن هنا كان المعرب والدخيل من اسباب وقوع الترادف في العربية ، وذلك باستعمال الكلمة المعربة والدخيلة مع نظيرتها العربية التي تحمل الدلالة ذاتها .

---

(٣١٠) سورة الزخرف آية ٣ .

(٣١١) سورة الشعراء آية ١٩٥

(٣١٢) انظر تفصيل ذلك في : الصاحبي ص ٥٩ وما بعدها والمزهر : ١/٢٦٨-٢٦٩ والاتقان في علوم القرآن للسيوطي : ١/١٣٥-١٤٠ والبرهان في علوم القرآن للزركشي : ١/٢٨٧ ـ ٢٩٠ واللغات في القرآن لعبدالله بن عباس ص ٩ من مقدمة المحقق والمفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٨/٦٩٤ والمعرب للجواليقي ص ١٠ من مقدمة المحقق وص ٤-٥ من مقدمة المؤلف .

(٣١٣) المعرب ص ٥ وانظر الاتقان في علوم القرآن : ١/١٢٦ ـ ١٢٧ وشفاء الغليل ص ٢٣ .

(٣١٤) مقدمة كتاب المعرب ص ١١ ومابعدها وقد رد عليه د. رمضان عبدالتواب، فصول في فقه العربية ص ٣١٢ وما بعدها .

وهنا قد يتبادر سؤال وهو : لم استعارت العرب مثل هذه الالفاظ الدخيلة وفي وسعهم الاستغناء عنها لتوافر ما يقابلها في لغتهم من حيث المعنى والدلالة ؟ وللجواب عن هذا نقول ان اللغة في حياتها وتطورها لا تخضع لهذه النظرة العقلية ، فالواقع اللغوي يدل على خلاف ذلك ، لأن العرب قد أخذوا الفاظا وهم في غنى عنها وذلك بسبب خفة اللفظ المستعار وسهولة نطقه بالقياس الى المرادف العربي أو بسبب جدته وطرافته . فقد ذكر ابو حاتم : (ان رؤبة بن العجاج والفصحاء كالاعشى وغيره ربما استعاروا الكلمة من كلام العجم للقافية ، لتستطرف ، ولا يصرفونه ، ولا يستقون منه الافعال ولا يرمون بالاصلي المستطرف وربما اضحكوا منه)[٣١٥] . كما ذكر الشهاب الخفاجي انهم ربما استعملوه على سبيل التلطف ، وربما استعملوه هزلا ، وأورد أمثلة على ذلك[٣١٦] . وقد لاحظ الجاحظ هذا الأمر وعلله بخفة اللفظ قائلا : (الا ترى ان أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر علقوا بالفاظ من الفاظهم ولذلك يسمون البطيخ الخربز ويسمون السميط الروذق ... وكذلك أهل الكوفة فانهم يسمون المسحاة بال ، وبال بالفارسية . ويسمي اهل الكوفة الحوك الباذروج والباذروج بالفارسية ، والحوك كلمة عربية . وأهل البصرة اذا التقت اربع طرق يسمونها مربعة ، ويسميها أهل الكوفة الجهارسوك ، والجهارسوك بالفارسية . .... ويسمون القثاء خيارا ، والخيار بالفارسية ، ويسمون المجذوم ويذي بالفارسية)[٣١٧] وقد ذكر بعض المحدثين اضافة الى هذه الاسباب اسبابا اجتماعية وحضارية مختلفة لمثل هذه الاستعارة[٣١٨] . وبهذا لا يكون

---

(٣١٥) المعرب للجواليقي : ص٥٧ ط٢ وانظر الامثلة ص١٠

(٣١٦) شفاء الغليل : ٢٧

(٣١٧) البيان والتبيين : ١/١٨ — ٢٠

(٣١٨) فقه اللغة د . وافي : ص ٢٠٣ وفي اللهجات العربية ص ١٧٠ ومن اسرار اللغة : ص ١١٧ — ١١٩ و١٢٢ والوجيز في فقه اللغة ــ محمد الانطاكي : ص ٣٠٤ وما بعدها ونشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها ــ انستاس الكرملي : ص ٨١

التعريب لحاجة لغوية فقط ، لان العرب عربت الفاظا مع وجود ما يرادفها في لغتهم الاصلية . وهو يكشف عنه ويشهد به الواقع اللغوي .

ومهما تكن اسباب ودوافع الاقتراض اللغوي فأننا نجد في اللغة الفاظا مترادفة منها ما هو عربي اصيل ومنها ما هو اعجمي دخيل . ومن الشواهد على ذلك ما نجده في اسماء الخمرة من الفاظ اعجمية معربة مثل الاسفنط — وفيها لغات كثيرة — وهي رومية الاصل[٣١٩] . والرساطون او الرساطون وهي معربة عن الرومية ايضا[٣٢٠] . جاء في اللسان عن الازهري : (وأهل الشام يسمون الخمر الرساطون وسائر العرب لا يعرفونه . قال : وأراها رومية دخلت في كلام من جاورهم من اهل الشام[٣٢١] .) والخندريس وهي من أصل يوناني ، وقيل من أصل فارسي ، والاول أرجح وهو الذي أختاره الاب انستاس الكرملي[٣٢٢] . ومن اسمائها : الدرياقة — وفيها عدة لغات — وهي رومية الاصل . قال الصاغاني : الترياق بالكسر دواء السموم والعرب تسمي الخمر ترياقا وترياقة لانها فيما يزعمون دواء السموم ، فشبهت الخمر بها في منافعها البدنية ، فسموها بأسمه اي بأسم ذلك الدواء — الترياق[٣٢٣] . وفي اللسان (والعرب تسمي الخمر ترياقا وترياقة

---

(٣١٩) الجليس الانيس في تحريم الخندريس — محمد الفيروز آبادي : ورقة ٢٩ ب — ٣٠ آ — ب وانظر : المعرب : ص ١٨ — ١٩ واللسان مادة اسفط وصفنط ٧/٢٥٥ — ٢٥٦ وكلام العرب د . حسن ظاظا ص ١٠٤ نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها ص ٣٨ .

(٣٢٠) الجليس الانيس في تحريم الخندريس — ورقة ٦٣ آ — ب وانظر : المعرب ص ١٥٧ وشفاء الغليل ص ١٣٢ ونشوء اللغة العربية ص ٧٦ .

(٣٢١) اللسان مادة رسطن : ٧/٢٠٤

(٣٢٢) الجليس الانيس ورقة ٥٥ ب — ٥٦ آ والمعرب ص ١٢٤ — ١٢٥ اللسان مادة خندرس ٦/٧٣ . وشفاء الغليل ص١١٢ وكلام العرب ص ١٠٤ ونشوء اللغة العربية ص ٣٩

(٣٢٣) الجليس الانيس في تحريم الخندريس : ورقة ٤٢ ب — ٤٤ آ ورقة ٥٨ آ — ب وينظر المعرب ص ١٤٢ — ١٤٣ وشفاء الغليل ص ٨٣ ص١٢٠ واللسان مادة ترق : ١٠/٣٢

لأنها تذهب بالهم)[٣٢٤] كذلك من اسمائها المعربة الزرجون واصلها زركون ، وزر بالفارسية الذهب وكون اللون اي لون الذهب . فكأنها سميت بذلك تشبيها لها بلون الذهب[٣٢٥] . ومنها الفيهج وهو في الاصل مكيال الخمر ، قال الجوهري : (الفيهج ما تكال به الخمر فارسي معرب . وقد تسمى الخمر فيهجا .)[٣٢٦] ومن اسمائها كذلك الباذق بفتح الذال وكسرها وهي تعريب « باده » وهو اسم الخمر بالفارسية كما ذكر الاب ادي شير ونص عليه بعض القدامى[٣٢٧] .

وما نلاحظه في طائفة من اسماء الخمرة المعربة امران : اولهما ورود عدة صور لفظية للكلمة الواحدة نحو : الرساطون والرصاطون ، والرشاطون ، والدرياق والترياق والطرياق ، والازفند والازفنط والاسفند والاصفنط والاسفنط والاصفند وما الى ذلك . وليست مثل هذه الالفاظ بلغاتها المتعددة من الترادف في شيء ذلك ان هذه الاختلافات الصوتية انما هي بسبب تباين العرب في نطق الكلمة المعربة الواحدة ، ولا ادل على ذلك من قول الاصمعي في « الاسفنط » (واصل الكلمة رومية تلاعبت فيها العرب بالتصرف)[٣٢٨] . فالعلاقة الصوتية واضحة جدا بين هذه الحروف المبدلة فالسين والصاد والزاى من مخرج صوتي واحد ، وكذلك التاء والدال والطاء . ويصدق هذا الامر على معربات اخرى حدث فيها تغير صوتي على سبيل القلب والابدال في بعض

---

(٣٢٤) اللسان مادة ترق : ٣٢/١٠

(٣٢٥) الجليس الانيس : ورقة ٦٦ آ ـ ب والمعرب ص ١٦٥ وشفاء الغليل ص ١٢٨ واللسان مادة زرجن ١٩٦/١٣ والالفاظ الفارسية المعربة : ص ٧٧ وكلام العرب : ص ١٠٤ ـ ١٠٥

(٣٢٦) الجليس الانيس : ورقة ٩٤ب ، الصحاح : ٣٣٦/١ واللسان مادة فهج : ٣٤٩/٢

(٣٢٧) الجليس الانيس : ورقة ٣٧ب والمعرب : ص٨١ وشفاء الغليل ص٦٣ والالفاظ الفارسية المعربة ص ١٧ ـ ١٨ واللسان مادة بذق : ١٤/١٠ .

(٣٢٨) الجليس الانيس ـ ورقة ٣٠ آ

حروفها فجاءت بعدة صور لفظية مثل : المئزاب والميزاب والمرزاب والمزراب ، وهو فارسي معرب يقابله في العربية المثعب[٣٢٩] . فهذه الاشكال اللفظية لا يمكن عدها من الترادف وان توهم القدامى اصالة اللغات فيها . لأن اللفظة الاعجمية الدخيلة واحدة فلما عربت نطقت بعدة صور مختلفة تبعا لاساليبهم في النطق واختلاف الناطقين بها . واذا اختلف العرب في نطق العربي الاصيل فما بالك بالاعجمي الدخيل ؟ .

وثانيهما : ان بعض هذه الالفاظ لم يكن اسما للخمرة في الاصل وانما سميت به مجازا حتى صار فيما بعد حقيقة فيها ، او هو ضرب منها أو وصف لها،ثم اصبح اسماً غالبا عليها.وكل هذا قد جرى بسبب تطور الدلالة فأن الالفاظ المعربة ليست بمنأى عن سنة التطور الدلالي ، اذ يحدث لها ما يحدث للالفاظ العربية الاصيلة ولا تبقى على دلالاتها القديمة والاصلية . يقول الشهاب الخفاجي : (وقد يعرب لفظ ثم يستعمل في معنى اخر غير ما كان موضوعا له)[٣٣٠] . بمثل هذا تفسر ترادف الخندريس والخمرة وذلك على رأي من يقول ان الخندريس صفة لها وهي الخمر العتيقة وقد سميت بذلك لعتقها وقدمها[٣٣١] ، وكذا تسميتها بالزرجون تشبيها لها بلون الذهب ، وذلك مثل تسميتها بالصهباء والكميت للونها ايضا ، وهي في الاصل صفات لها فاستعملت على سبيل الغلبة حتى صارت اسماء اعلام عليها . وعلى هذا ايضا تفسر تسميتها فيهجا ، اذ انه لا يعني الخمرة في الاصل كما ذكرنا وانما مكيالها ، ثم سميت الخمرة به على سبيل المجاز المرسل من باب تسمية الشيء بما قرب منه او ما كان منه بسبب . ومثله تسميتها باطلا وهو في الاصل كوز او قدح

---

(٣٢٩) المعرب : ص ٣٢٦ واللسان مادة زرب : ١/٤٤٧ والالفاظ الفارسية المعربة ص ١٤٩

(٣٣٠) شفاء الغليل : ص ٢٢ وانظر : فقه اللغة د . وافي : ص ٢٠٢

(٣٣١) الجليس الانيس : ورقة ٥٥ ب — ٥٦ آ . والمعرب : ص ١٢٤ — ١٢٥ وشفاء الغليل ص١١٢ واللسان مادة خندرس : ٦/٧٣

يكال به الخمر ثم صارت الخمر نفسها ناطلا . وقد وجهه الفيروز آبادي بقوله : (وهذا من باب تسمية الشيء باسم محله)[٣٣٢] ومن هذا القبيـــل تسميتها ترياقا وهو في الاصل دواء السموم كما تقدم ؛ ثم سميت الخمرة به باعتبارها دواء السموم ايضا . وذلك على سبيل المجاز المرسل باعتبار ما سيكون من شأنها او باعتبار المسبب .

وايا كانت الدلالة الاصلية لمثل هذه الكلمات المعربة فان العرب قد استعملتها بمعنى الخمر . فقـــد جمع الفيروز آبادي طائفـة منها ونص على عجمتها في الاصل وبين دلالاتها الاصلية وعرض لاستعمال العرب اياها بمعنى الخمر مستشهدا بكثير من النصوص مما جاء في كلام العرب شعرا ونثرا وذلك في كتابه الموسوم بـ (الجليس الانيس في تحريم الخندريس) الذي صنفه لهذا الغرض . ومثل هذا ما نجده بشأنها متفرقا في المعجمات وكتب المعرب والدخيل . على ان اقتراض هذه الالفاظ الاعجمية الدخيلة وتعريبها ولاسيما الفارسية واليونانية يمكن عزوه الى اشتهار الفرس والروم بالخمرة وشيوعها عندهم وكثرة صناعتها وتفننهم فيها اكثر من العرب الذين لم يعرف عنهم مثل ذلك ؛ وقد يسرت الصلات التجارية وعامل المجاورة انتقال هذه الالفاظ الى البيئة العربية .

ومن الامثلة الاخرى على حدوث الترادف بسبب المعرب والدخيل : الاسي للطبيب التي دخلت من الارامية ، ماخوذة عن البابلية التي اخذتهـا هي ايضا عن السومرية[٣٣٣] . وقد ذكر الاب ادى شير ان الآسي بمعنى الطبيب مأخوذ مع مشتقاته من السريانية[٣٣٤] . ونجـد من مرادفات الصحراء : « الدست » معربة عن دشت الفارسية ، قال الاعشى :

---

(٣٣٢) الجليس الانيس : ورقة ١١٤ آ ــ ب وانظر : اللسان مادة نطل : ٦٦٦/١١ والمزهر ص ٩٣ .

(٣٣٣) كلام العرب . حسن ظاظا ص ١٠٤ ــ ١٠٥

(٣٣٤) الالفاظ الفارسية المعربة : ص ١٠

قـد علمت فارس وحمير والـ اعـراب بالدست ايكم نـزلا

وقال الراجز :

تخذته من نعجـات سـت سـود نعاج كنعاج الدشت

وقد اختلف في هذه اللفظة فكتب اللغة تذكرها تارة بالسين وتارة بالشين والصحيح ان تعريبها « الدست » اما الدشت ففارسي محض ، ولم تقع اتفاقا بين اللغتين كما قيل[٢٣٥] . ومن الالفاظ الدخيلة المرادفة للمرآة : « السجنجل » ويقال ايضا : الزجنجل وهي رومية يقابلها في العربية عند هذيل : « الوذيلة » وقد جاءت في معلقة امرىء القيس :

مهفهفةٌ بيضاء غيرُ مفاضةٍ

ترائبُها مصقولةٌ كالسَّجنجلِ[٢٣٦]

ونجد من مرادفات الداهية المعربة : « الفتكر » تعريب « پتياره » الفارسية[٢٣٧] . ومن اسماء العسل الثاني التي اوردها صاحب القاموس نجد المستفشار وقيل الدستفشار ، فقد جاءت في اللسان بالميم وذكرها الاب ادى شير بالدال[٢٣٨] . وهي معربة عن الفارسية . ومن مرادفات الاسد : « قسورة » وهو معرب عن « كشورز » الفارسية[٢٣٩] . وقد جاءت في

---

(٢٣٥) المعرب : ص ١٢٨ وشفاء الغليل : ص ١٢٢ والمزهر : ٢٦٧/١ وديوان الاعشى ص ؟ واللسان مادة دشت : ٢٣/٢ والالفاظ الفارسية المعربة ص ٦٣ — ٦٤ .

(٢٣٦) المعرب : ص ١٧٩ وشفاء الغليل : ص ١٤٥ واصلاح المنطق ص ٢٤٩ واللسان مادة سجل : ٣٢٧/١١ وديوان امرىء القيس : ص ١٥ تحقيق : ابو الفضل ابراهيم .

(٢٣٧) اللسان مادة نتكر ٤٤/٥ وفقه اللغة للثعالبي : ص ٢٠٩ والالفاظ الفارسية المعربة ص ١١٧

(٢٣٨) اللسان مادة مستفشر : ١٧٢/٥ والمزهر : ٤٠٧/١ والالفاظ الفارسية المعربة : ص ٦٤ .

(٢٣٩) الالفاظ الفارسية المعربة : ص ١٢٦ وينظر اللسان مادة قسر : ٩٢/٥ .

قوله تعالى : « فرت من قسورة »[٢٤٠] وفي الامثال : « اجرأ من قسورة » اي اسد[٢٤١] .

ومن الالفاظ الاعجمية المعربة « اليم » ومرادفه العربي البحر ، وقد فسر في التنزيل بالبحر[٢٤٢] . يقول فرنكل ان لفظ بحر عربي اصيل ، ولكن اخذ العرب « اليم » عن جيرانهم الاراميين . واللفظ في السريانية ، بل في الارامية عامة هو Yamma يما[٢٤٣] . وقد وردت كلتا اللفظتين عدة مرات في القرآن الكريم . ومن ذلك القسطاس وهو الميزان بالرومية كما ذكر ابن دريد ، وقد تكلمت به العرب وجاء في القرآن الكريم ، اضافة الى الميزان . وقد اختلف المستشرقون اختلافا كبيرا حول اصل هذه الكلمة في اليونانية[٢٤٤] . ومن ذلك الصراط بمعنى الطريق ، وهو من اصل لاتيني : (Starta) وقد انتقلت الكلمة من اليونانية الى الارامية اليهودية والسريانية[٢٤٥] . وقد جاءت في القرآن الكريم وكلام العرب .

وقد كثر استشهاد الباحثين بالمدية والسكين على اختلاف اللهجات في حدوث الترادف ، إذ تروي كتب اللغة ان قبيلة دوس من الازد تستعمل مدية على حين يستعمل اهل الحجاز السكين . وحقيقة هذا المثل ان المدية التي تقول بها دوس هي كلمة عربية ، وان السكين التي يستعملها اهل الحجاز هي

---

(٢٤٠) سورة المدثر ، آية ٥١

(٢٤١) الدرة الفاخرة : ١/١١٦ ، وجمهرة الامثال : ١/٣٢٩ ومجمع الامثال ١/١٨٥

(٢٤٢) الجمهرة : ١/١٢٢ والمعرب : ص ٣٥٥ واللسان مادة يمم ١٢/٦٤٧

(٢٤٣) نصوص في فقه اللغة العربية يعقوب بكر : ٢/٢٧ في هامش الصفحة .

(٢٤٤) الجمهرة : ٣/٢٧ اللسان مادة قسط : ٧/٣٧٧ والمعرب : ص ٢٥١ وشفاء الغليل : ص ٢٠٨ ونصوص في فقه اللغة العربية يعقوب بكر : ٢/٢٩ — ٣٠ في الهامش .

(٢٤٥) الالفاظ الفارسية المعربة : ص ٣٩ ونصوص في فقه اللغة العربية ٢/٢٩ هامش الصفحة .

كلمة معربة عن الارامية[٣٤٦] . فاذا نظرنا الى الاصل جاز الاستشهاد بها هنا على حدوث الترادف بسبب المعرب والدخيل ، واذا اعتبرناها عربية بفعل الاستعمال والتعريب ، صح الاستشهاد بها عندئذ على حدوث الترادف بسبب اختلاف اللهجات العربية . وهنا نرى التداخل بين سببين من اسباب وقوع الترادف في اللغة ، يفرق بينهما اعتبار الاصل والواقع اللغوي . ويصدق هذا على كلمتي الغرفة والعلية وعلى الفاظ اخرى .

وفي اللغة كثير من المعرب والدخيل الذي نجد له ما يرادفه في العربية وقد افرد السيوطي لذلك فصلا سماه « فصل في المعرب الذي له اسم في لغة العرب » اورد فيه الكثير من الامثلة ومنها ما ذكره عن الخليل ان الياسمين يسمى بالعربية السمسق والسجلاط ، وان اللوبيا تسمى الدجر ، ويسمى السكر المبرت بلغة اهل اليمن[٣٤٧] . والياسمين فارسي معرب ، وقيل ان اللفظة مصرية الاصل[٣٤٨] . واللوبيا ـ وفيها لغات ـ معربة عن الفارسية ، وقال فرنكل انها مأخوذة من الارامية[٣٤٩] . واما السكر فهو تعريب شكر عن اليونانية كما ذكر الاب ادي شير ولم يرجح لها اصلا في اللغات التي جاءت فيها[٣٥٠] .

وخلاصة القول في المعرب والدخيل انه سبب واضح لحدوث الترادف في اللغة حتى ان المنكرين للترادف لم ينكروه اذا جاء على هذا السبيل ، اي اذا

---

(٣٤٦) علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة ص ٨٩ وفقه اللغة د . وافي ص ١٢٨ وفي اللهجات العربية ص ١٦٤ ــ ١٦٥ ودراسات في فقه اللغة : ص والتطور النحوي للغة العربية ، برجستراسر ص ١٥

(٣٤٧) المزهر : ١/٢٨٢ ــ ٢٨٤

(٣٤٨) المعرب : ص ٣٥٦ وشفاء الغليل ص ٢٧٨ والالفاظ الفارسية المعربة : ص ١٦٠

(٣٤٩) الجمهرة : ٢/٦٤ والمعرب ص ٣٠٠ وشفاء الغليل ص ٢٢٢ والالفاظ الفارسية المعربة ص ١٤٢

(٣٥٠) الصحاح مادة سكر : ٢/٦٨٨ وشفاء الغليل : ص١٤٨ والالفاظ الفارسية المعربة ص ٩٢ .

كان من لغتين ، وقد صرح العسكري بذلك قائلا : (فاذا اعتبرت هذه المعاني وما شاكلها في الكلمتين ولم يتبين لك الفرق بين معنيهما فاعلم انهما من لغتين مثل القدر بالبصرية والبرمة بالمكية ، ومثل قولنا الله بالعربية وازر بالفارسية)[٣٥١] ويقول حمزة الاصفهاني : (وينبغي ان يحمل كلام من منع على منعه في لغة واحدة ، فاما في لغتين فلا ينكره عاقل)[٣٥٢] . والحق ان هذا السبب يشبه السبب السابق وهو اختلاف اللهجات في حدوث الترادف ويصدق عليه ما ذكرناه انفا وذلك اننا نجد هنا كلمة دخيلة واخرى اصيلة للمعنى نفسه ، وهناك نجد الكلمتين من بيئات لغوية عربية وقد ادى تشابه هاتين الحالتين الى شيء من الاختلاط والتداخل بينهما الا ان الرجوع الى الاصل يرد كل حالة الى حقيقتها .

ومع وضوح هذا السبب وقوته ينبغي الا نبالغ في اثره كثيرا فنفسر به العديد من الالفاظ المترادفة كما بدا لبعض الباحثين المحدثين الذين جعلوا المعرب والدخيل من اسباب كثرة الترادف في العربية فخلطوا بذلك بين الاسباب الحقيقية للترادف وبين اسباب كثرته في اللغة[٣٥٣] . فهذا الحكم في الواقع لا يصح الا فيما يتعلق باللفظة الدخيلة او المعربة ولها مرادف عربي ولا شك ان مثل هذا كثير كما ذكرنا ، ولكنه لا يصدق على كثرة المترادفات للمعنى الواحد وهو الجانب المهم والمشكل في ظاهرة الترادف في العربية ، وذلك للاسباب الاتية :

١ ـ اننا لا نجد في المترادفات الكثيرة على الشيء الواحد الا بضع كلمات معربة ، وفي معظم الاحوال لا تتجاوز الكلمة او الكلمتين كما في اسماء العسل والاسد والسيف والداهية والصحراء والطويل والقصير ، مع ملاحظة

---

(٣٥١) الفروق اللغوية : ص ١٦

(٣٥٢) المزهر ١/٤٠٥

(٣٥٣) انظر : فصول في فقه العربية د . رمضان عبدالتواب : ص ٢٨٢ وفقه اللغة د . وافي : ص ١٧٢ وما بعدها .

ان ما سموه باللغات العديدة في الكلمة الواحدة ليس من الترادف في شيء كما بينا .

٢ ـ ان طائفة من الالفاظ المعربة والدخيلة التي لها مرادف عربي ، لم تكن شائعة ولا معروفة عند جميع العرب ، فمنها ما كان مختصا ببيئة معينة دون سواها من بيئات الاقاليم الاخرى ، بل ان قسما من العرب ليجهل بعض هذه الالفاظ لعدم معرفته واستعماله لها . وهذا واضح في مثل المدية والسكين التي جهلها ابو هريرة عند سماعه لها أول مرة ، لولا تلك المصادفة اللغوية بينه وبين الرسول الاعظم (ص) ، التي كشفت عن ترادف الكلمتين . حيث يروى ان ابا هريرة لقي النبي (ص) وقد وقعت من يده السكين ، فقال له : ناولني السكين ، فالتفت ابو هريرة يمنة ويسرة ولم يفهم ما المراد بهذا اللفظ . فكرر له القول ثانية وثالثة وهو يفعل ، ثم قال : « المدية تريد ؟ » فقيل له نعم . فقال او تسمى عندكم سكينا ؟ ثم قال والله لم اكن سمعتها الا يومئذ .. وقد تردد الدكتور ابراهيم انيس في قبول هذه الرواية بحجة ان كلمة «السكين» قد وردت في القرآن الكريم ولا يمكن ان تغيب عن ذهن احد من المسلمين مثل ابي هريرة[٣٥٤] . ونحن لا نرى وجها لذلك . فلسنا نجد غرضا من وراء خلق هذه الرواية ، وهي من الروايات المشهورة التي تكاد تكون متواترة . ولا يفترض بابي هريرة ان يكون عارفا بكل الفاظ القرآن الكريم والا يغيب عن ذهنه لفظ منه . فلا عجب في ذلك فكثيرا ما كان الخلفاء والصحابة يسألون عن كلمات في القرآن الكريم كانوا يجهلونها ، وتوقفوا عند الفاظ لم يعرفوا معناها . ومثل ابي بكر الصديق وعمر بن الخطاب (رض) كانا لا يعرفان ما « الاب » في قوله تعالى (وفاكهة وابا)[٣٥٥] ومثل ابن عباس وهو ترجمان القرآن وحبر الامة كان لا يدري ما « فاطر » السماوات حتى سأل عنها ، ويقول : (ما أدري ما الغسلين ولكني اظنه

---

(٣٥٤) في اللهجات العربية : ص ١٦٤ ــ ١٦٥

(٣٥٥) سورة عبس ، آية ٣١ .

الزقوم)[٣٥٦] وما يعزز عدم معرفة هذه الكلمة انها ليست عربية الاصل ، بل دخيلة انتقلت الى العربية من الارامية على الارجح ، وكانت شائعة معروفة عند اهل الحجاز ، في حين كانت قبيلة دوس التي ينتسب اليها ابو هريرة ، تستعمل الكلمة العربية « المدية » بدلا من تلك الكلمة الدخيلة .

وعلى أية حال فان المعربات لم تكن مستعملة عند جميع العرب ، فالكلمة الفارسية المعربة التي يستعملها أهل العراق قد لا يعرفها أهل الشام ، والكلمة الرومية المعربة التي يستعملها أهل الشام قد لا يعرفها اهل العراق ، وقس على هذا بالنسبة للاقاليم الاخرى . وذلك تبعا لصلة الاقليم بما يجاوره من اللغة الاعجمية واخذه عنها ولا ادل على ذلك من قول الازهري الآنف الذكر في الحديث عن اسماء الخمرة بان اهل الشام يسمون الخمر الرساطون ، وسائر العرب لا يعرفونه . قال : واراها رومية دخلت في كلام من جاورهم من أهل الشام[٣٥٧] .. كما يتضح لنا هذا الامر فيما سجله المقدسي من الاستعمالات المحلية للمترادفات التي جاءت على سبيل التعريب من عدة لغات اعجمية واختصاصها بلغة اقليم معين دون غيره ، حيث نرى الكثير من هذه المعربات موزعة توزيعا جغرافيا على مختلف الاقاليم العربية وذلك بحكم صلة الاقليم بما يجاوره من اللغة الاعجمية التي اخذ عنها[٣٥٨] . وهذا مما يدل على الاستعمالات الاقليمية للمعرب والدخيل وعدم معرفة جميع العرب بهذه الالفاظ على حد سواء . ويفهم هذا ايضا من نص الجاحظ السالف الذكر . ونحن وان كنا ننظر الى اللغة العربية على انها تمثل بيئة لغوية واحدة ، لكننا نجد الواقع اللغوي احيانا يفرض علينا عدم التسليم المطلق بهذا في كل الاحوال ؛ فمن المعربات ما استعمل استعمالا محليا ولم يكن معروفا عند

---

(٣٥٦) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/١١٢ ، ١٣٦ ، وانظر امثلة اخرى في هذا المصدر نفسه وفي الصاحبي ص٥٨ واللسان مادة حنن: ١٢/١٢٩

(٣٥٧) تهذيب اللغة ١٢/٢٢٦

(٣٥٨) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم للمقدسي الصفحات : ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ و ٩٨ ، ٩٩ ، وينظر العربية ليوهان فك : ص١٩٤ وما بعدها .

الجميع ، وهذا مما يقلل من شأن هذا السبب واهميته في حدوث الترادف ، لان الترادف حقا هو استعمال الالفاظ المختلفة بمعنى واحد ، ولابد من شرط الاستعمال للتحقق من وقوع الترادف في الالفاظ .

٣ ـ ان الملاحظ على المعرب ومرادفه العربي انهما غالبا ما يكونان في صراع مستمر ، فقد يطغى هذا الاعجمي الدخيل على مرادفه العربي في الاستعمال وقد يضعف هذا الدخيل عن منافسة نظيره العربي ، فيقل استعماله او يندثر بمرور الزمن ، وهكذا ينتهي الامر بغلبة احدهما وندرة استعمال الاخر او هجرانه تماما . ومن الامثلة على الحالة الاولى الفاظ الورد والنرجس والياسمين والمسك والتوت والباذنجان والابريق والرصاص والميزاب وغير ذلك ، فقد قضت هذه الالفاظ المعربة او كادت على نظائرها العربية وهي الحواجم والعبهر والسمسق والمشموم والفرصاد والحدج والتامورة والصرفان المثعب . ومن امثلة الحالة الثانية الفاظ البوصي والجردقة والقيروان والسجنجل والموزج والقومس ، فقد قل استعمال هذه المعربات وندر لضعفها عن منافسة نظائرها العربية وهي السفينة والرغيف والجماعة من الخيل والمرآة والخف والامير[٣٥٩] . والواقع اننا نرى هنا ان المسألة لا تعدو ان تكون استبدال لفظ بآخر بسبب الخفة والجدة والطرافة والبلى المعنوي وغير ذلك ، فيكون عندئذ هذا الترادف مؤقتا وليس ثابتا ، حيث يستبدل لفظ باخر في نهاية الامر ، ويهجر العربي او الدخيل في الاستعمال بمرور الزمن . وكل هذا مما يقلل ايضا من شأن المعرب والدخيل في حدوث الترادف في اللغة .

وعلى أية حال فان الاقتباس من اللغات الاخرى مع وجود النظير العربي الاصيل يبقى سببا من اسباب الترادف وان كانت هذه الالفاظ في الاصل خارجة عن اللغة ، اذ ستصبح جزءا من الواقع اللغوي بفعل الاستعمال . واذا

---

(٣٥٩) فقه اللغة د . وافي : ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ وينظر امثلة اخرى في : نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها ص ٨٦ ـ ٩٨

كان بامكان التحليل اللغوي الكشف عن اصولها الاعجمية والتفريق بينها وبين الاصيل فان هذا غالبا ما يجهله المستعمل للغة الواحدة . وهنا يصدق على هذا السبب تلك النظرية التي تقول ان الانسان لا يتكلم البتة في الوقت الواحد الا لغة واحدة ، وان وحدة اللغة المتكلمة تستقر بكل بساطة في شعور المتكلم ، ولا عبرة بعد ذلك بما يكتشفه التحليل في هذه اللغة من عناصر اجنبية(٣٦٠) .

ان الاقتراض اللغوي بوصفه سببا في حدوث الترادف ليس مقصورا على العربية وحدها ، وانما هو واقع في اللغات الاخرى ايضا ، وقد اكده ستيفن اولمان وضرب له الامثلة الكثيرة(٣٦١) .

يتبين لنا من هذه الاسباب مجتمعة انه لا يمكن تفسير حدوث الترادف بسبب معين ولا يصح قصر نشأته على عامل واحد دون سواه ، على ما ذهب اليه قدامى اللغويين وتابعهم فيه كثير من المحدثين . اذ ان وقوع الترادف يند عما ذكروه له من تفسير جزئي متمثل في تعدد الوضع على سبيل اختلاف اللغات . وان بالغوا كثيرا في اثر هذا السبب . والواقع ان نشأة الترادف تعود الى جملة اسباب وعوامل مختلفة ، تتفاوت اثرا ووضوحا كما عرضنا لها في هذه الدراسة ويبدو واضحا من هذه الدراسة ان للتطور الدلالي اثرا كبيرا في ترادف الالفاظ . فمرد معظم المترادفات ، ان لم نقل جميعها ، الى التطور الدلالي بفعل الاستعمال كما رأينا ، وبعبارة اخرى ان ظاهرة الترادف غالبا ما تكون نتيجة التطور في الاستعمال او نتيجة الجديد في الدلالة وليست بسبب الوضع ، وبهذا التفسير يمكن ان نرد كثيرا مما عد من المترادف الى هذه الحقيقة في التطور والاستعمال . ولذلك لا يصح النظر الى الترادف وتفسيره الا في ضوء الدلالة وتطورها ومن خلال الاستعمال اللغوي . لان فكرة الترادف في حقيقتها مسألة دلالية قبل كل شيء تتعلق بالمعنى وما يعتوره من تغير جراء الاستعمال .

---

(٣٦٠) اللغة فندريس ص ٢٥٨

(٣٦١) Semantics an Introduction, p. 142, 146 — 149.

ولا ادل على هذه العلاقة الوثيقة من ان اكثر اسباب حدوث الترادف واهمها مما ذكرناه من تخصيص العام وتعميم الخاص وتحول الصفة الى الاسمية ومن انتقال مجال الدلالة على سبيل المجاز ؛ هي من اهم مظاهر التطور الدلالي وسبله المعروفة ويدلنا على ذلك ايضا ان حدوث الترادف اكثر ما يكون في مجال الالفاظ المتقاربة في المعنى . وحتى اذا نظرنا الى السببين الاخرين وهما اختلاف اللغات و (المعرب والدخيل) على انهما شكل من اشكال التطور اللغوي ؛ فانه يمكننا القول ان الترادف هو نتيجة التطور اللغوي بمعناه الواسع وليس بسبب الوضع الذي نجهل عنه الكثير ولا ندري كيف تم ومتى . فنحن نستبعد كثيرا ان تكون هذه الكثرة الكاثرة من المترادفات نتيجة الوضع ولا سيما اذا قصد به الوضع في اللغة الواحدة . فلا يعقل ان تضع اللغة الواحدة في الاصل العشرات بل المئات من الاسماء للمسمى الواحد من غير فرق بينها في الدلالة . ولكننا على اية حال لا نستبعد القلة القليلة من ذلك .

اقول ان اغلب الفاظ الترادف يعود الى التطور اللغوي الذي مكن من استعمال الالفاظ بخلاف معانيها الاصلية او القديمة في اللغة . وهذا ما يؤكده ويكشف عنه البحث اللغوي التاريخي في المترادفات وهو ما اثبتناه في هذه الدراسة فزوال الفروق بين الالفاظ او تناسيها واستعمالها مترادفة يرجع في الغالب الى هذه الحقيقة اللغوية . ويعزز هذا التفسير ما اشار اليه الجاحظ قديما بقوله السالف الذكر من ان الناس قد يستخفون الفاظا ويستعملونها وغيرها احق بذلك منها ؛ وانهم لا يفصلون بينها ؛ ولا يتفقدون منها ماهو احق بالذكر واولى بالاستعمال .

ان هذه الملاحظة على قدر كبير من الوجاهة والصواب ؛ لان مسألة الايثار اللفظي او الخفة اللفظية وسهولة النطق لها أثر بين في استعمال الناس الفاظا دون مراعاة للفروق بينها او التباين فيها ؛ فيؤثرون الجانب اللفظي على الجانب المعنوي ولا يكترثون بالدقة في الدلالة وتحديدها كما هي في أصل

اللغة . وهذا ما يفسر لنا تناسي الفروق او اغفالها في كثير من الالفاظ المتقاربة في المعنى التي صارت تستعمل بمعنى . ولعل ما يوضح ذلك ان الناس في حياتهم الاعتيادية يكتفون باقل قدر ممكن من دقة الدلالات وتحديدها ، ويقنعون في فهم الدلالات بالقدر التقريبي الذي يحقق هدفهم من الكلام والتخاطب ؛ ولا يكادون يحرصون على الدلالة الدقيقة المحددة التي تشبه المصطلح العلمي . وهم لذلك قد ينتقلون بالدلالة الخاصة الى الدلالة العامة ايثارا للتيسير على أنفسهم ، والتماسا لايسر السبل في خطابهم . ويبدو اثر ذلك واضحا قويا في الصفات والنعوت حين تصطنع في مجال اعم . وتلك هي الظاهرة التي جعلت للحية والسيف والعسل عشرات الاسماء في العربية[٣٦٢] .

ويبدو ان الدكتور ابراهيم انيس قد تأثر بما أشار اليه الجاحظ حيث نجده ينحو منحاه ويؤكد السبب الذي اورده ويفصل القول فيه ؛ وهو ما عبر عنه بالموسيقية اللفظية التي شغلتهم عن ملاحظة الفروق بين الالفاظ المتقاربة مما أدى الى ترادفها . يقول الدكتور أنيس (ثم كان ان اشتدت عناية العرب القدماء بالالفاظ وموسيقاها ؛ فشغلتهم هذه الموسيقية اللفظية عن ملاحظة الفروق بين الدلالات مما اذى الى ان كثيرا من الالفاظ التي كانت تعبر عن معان متقاربة ، ازدادت قربا واختلط بعضها ببعض ؛ ونسيت تلك الفروق او تنوسيت ؛ واصبح العربي صاحب الاذن الموسيقية يضحي بتلك الفروق في الدلالات حتى يتمكن من نظم قوافيه وتسيق اسجاعه . وهكذا رأينا ان الادب الجاهلي والاسلامي قد شغلت موسيقاه اصحاب هذا الادب عن تلك الدقة في معنى الالفاظ ، ولم تعد الالفاظ محددة في غالب الاحيان ؛ وعدت الالفاظ بعضها على بعض ؛ مما ترتب عليه تلك الظاهرة التي لا نعرف لها نظيرا في لغة اخرى وهي كثرة الالفاظ المترادفة)[٣٦٣] . فهذا قريب جدا مما ذكره

---

(٣٦٢) دلالة الالفاظ د . ابراهيم انيس : ص ١٥٥

(٣٦٣) دلالة الالفاظ : ص ٢١٠ ــ ٢١١

الجاحظ من قبل غير أن الدكتور انيس كان قد وضحه والح عليه وبالغ في اثره كثيرا حتى فسر به كثرة الترادف(٣٦٤) .

كما ذهب الى اهمال الفروق بين الالفاظ المتقاربة في المعنى واستعمالها مترادفة ، محمد المبارك ، لكنه عزا هذا الامر الى العموم والغموض وما اصاب العربية من انحطاط وتأخر ، فهو يرى فيه مظهرا سلبيا ولهذا ينبغي العناية بالفروق واحياؤها كما فعل اللغويون القدامى ، يقول : (لقد اصاب العربية في عصور الانحطاط المنصرمة مرض العموم والغموض والابهام ، كما اصابت هذه الافات التفكير نفسه ، فضاعت الفروق الدقيقة بين الالفاظ المتقاربة فغدت مترادفة)(٣٦٥) ويذكرنا هذا بما صرح به ابن قتيبة قديما حين لاحظ ان الناس في عصره لم يعودوا يفرقون بين جملة من الالفاظ ويستعملونها بمعنى ، ناسبا هذا الامر الى عدم المعرفة والى اللحن وما اصاب الثقافة اللغوية حينذاك من جهل وتأخر . فراح يستنكر ذلك ويخطيء الناس في استعمالهم ويصوبه .

وعلى اية حال إن ضياع الفروق بين الالفاظ واستعمالها مترادفة انما كان بسبب التطور في الاستعمال ، ايا كانت النظرة الى هذا التطور وليس من الضرورة أن يكون هذا التطور دائما نحو الايجاب . فسواء كان هذا التطور ايجابيا ام سلبيا فهو سبب ترادف كثير من الالفاظ .

ومما يؤكد تفسير الترادف في اللغة نتيجة التطور في الاستعمال ، ما قرره اللغوي الفرنسي (دار مستيتر) في كتابه (حياة الالفاظ) من ان بعض الالفاظ مع تكونها ودورانها على الالسنة تأخذ شكلين مختلفين ، يصبحان

---

(٣٦٤) المصدر السابق : ص ٢١٢ — ٢١٣

(٣٦٥) فقه اللغة وخصائص العربية ص ٢١٨ — ٢١٩ وفي ص ٢٢٣—٢٢٤ يقول (لقد اختفت الفروق اللغوية الدقيقة واصبحت الالفاظ المتقاربة مترادفة والفت كتب تقدم للناس الكلام المصنوع والرسائل المعدة والعبارات المؤلفة والجمل المترادفة) .

مع الاستعمال مترادفين[٣٦٦] . وهذا قول لا غبار عليه وهو ما يعزز ما ذهبنا اليه بشأن حدوث الترادف نتيجة التطور في الاستعمال . الا ان الدكتور حسن ظاظا كان قد عقب على هذا الرأي السديد واخطأ في التمثيل له فذكر ان عندنا في العربية ما يؤيد ذلك مثل : جذب وجبذ ، وفم وفوه ، وأنس وانسان[٣٦٧] . وقد فاته ان مثل هذه الالفاظ ليست من الترادف الحقيقي في شيء ؛ فاللفظة واحدة ؛ وقد اختلفت صورتها بسبب التطور الصوتي وليس ثمة اختلاف فيها من حيث الاصل والمادة . والمحققون من المحدثين يخرجون مثل هذه الالفاظ من دائرة الترادف ويعدونها مترادفات وهمية وانها لكذلك .

ومهما يكن من امر تفسير الترادف واسباب وقوعه ، فأننا نجد في اللغة الفاظا بمعنى واحد متمثلة في الواقع اللغوي الذي يجري به الاستعمال وهو واقع لا سبيل الى انكاره . والناس في الغالب لا يعرفون كيف حدث هذا ولا يعنيهم سبب ذلك ، بقدر معرفتهم ان هذه الالفاظ تفضي الى معنى واحد . ولعل ابن جني قد نظر الى هذه الحقيقة حين قال في معرض حديثه عن الترادف : (فهذا ونحوه من خصائص هذه اللغة الشريفة اللطيفة . وانما يسمع الناس هذه الالفاظ فتكون الفائدة عندهم منها انما هي علم معنياتها . فأما كيف ، ومن اين فهو ما نحن عليه[٣٦٨]) .

وفي ضوء تفسير نشأة الترادف ومعرفة اسباب حدوثه يمكن تقسيمه على قسمين وتمييز ضربين منه هنا :

١ ـ الترادف الوضعي : وهو الترادف الناشيء بسبب اختلاف اللغات في تسمية الشيء الواحد واطلاق عدة الفاظ مختلفة عليه ، سواء كانت هذه

---

(٣٦٦) Lavie des mots, by Arsene Darmesteter, p. 13855, Paris, 1932.
عن كلام العرب د . حسن ظاظا ص ١٠٢
(٣٦٧) كلام العرب : ص ١٠٢
(٣٦٨) الخصائص : ١٢١/٢

اللغات عربية ـ كلهجات القبائل ـ ام عربية واعجمية ـ المعرب والدخيل ـ وذلك على ما بيناه . ويشكل هذا الضرب القلة من المترادفات في اللغـة ، الا انه يتصف بشيء من الثبات النسبي والاصالة قياسا الى الضرب الاخر . اي انه اكثر امتدادا في الزمان والمكان من غيره . وهو من اصدق واوضح المترادفات وقوعا في اللغة . اذ انه معلوم بالضرورة ولم ينكره المنكرون من علمـاء اللغة كالعسكري وابن درستويه . ولبداهتـه وقوته قال حمزة الاصفهاني : (وينبغي ان يحمل كلام من منع على منعه في لغة واحدة ، فأمـا في لغتين فلا ينكره عاقل .)[٣٦٩] .

والحكم على ترادف هذا النوع من الالفاظ انما هو بمقتضى الاصـل وبالنظر الى دلالتها في اللغة . اذ يجوز ان تتطور هذه الالفاظ بمرور الزمن فتتباين في الدلالة وتفترق . ونقول هنا « الترادف الوضعي » على الرغم من ترددنا كثيرا في مسألة الوضع وتحنظنا فيها ، ولعل في ذلك شيئا من التجـوز لاننا لا نعني به الوضع الحقيقي الاول في تسمية المسـميات وكيفية اطلاق الالفاظ عليها الذي نجهل عنه كثيرا ، بل نعني به الدلالة القديمة للكلمـة كما وردت الينا في كتب اللغة على انها هي الاصل بالنسبة لنا من ان قبيلة ما تسمي شيئا كذا وتسميه قبيلة اخرى كذا أو ان هذا الشيء اسمه في العربية كذا وفي الفارسية مثلا كذا .

٢ ـ الترادف غير الوضعي : ونعني به الترادف الناشيء نتيجة التطور في الاستعمال وليس بحسب الاصل . واكثر الترادف في اللغة هو من هـذا القبيل كما ذكرنا . ويتصف هذا الضرب بكونه اقل وضوحا وثباتا من النوع الاول ولا اصالة فيه قط لان التباين هو الاصل في هذه الالفاظ ثم ترادفت بسبب التطور الدلالي على ما بيناه سابقا . فاذا ما نظرنا الى دلالة الالفاظ تبعـا لاصلها وحقيقتها في اللغـة فلا ترادف فيها . واما اذا نظرنـا الى هذه الالفاظ تبعا لدلالتها الحالية وبحكم ما الت اليه من استعمال بمعنى واحد ، دون التفات الى ما كانت عليه من تباين في الاصل ؛ فهي مترادفة . ويبدو ان

(٣٦٩) المزهر : ١/٤٠٥ .

المنكرين للترادف اكثر ما يعنون بأنكارهم هذا النمط من الترادف لانه بخلاف الاصل وهم يتمسكون بالدلالة الاصلية وهذا ما قد جرى بخلاف ذلك .

ولما كان الترادف في الغالب هو من هذا الضرب الذي نحن بصدده ـ اعني الترادف غير الوضعي الناشيء بسبب التطور في الاستعمال ـ فنحن لهذا نختلف مع القدامى بشأن قولهم بشرط الوضع في حد الترادف وتيسيره . ذلك الشرط الذي إن اخذنا به مجاراة لهم لا يصدق الا على القلة من المترادفات ناهيك عما في الكشف عنه من صعوبة وعنت وما فيه من حدس وتخمين لاتصاله بمراحل تاريخ العربية الطويل الموغل في القدم . والتاريخ اللغوي من الامور الغامضة لانقطاع حلقات طويلة منه واندراس اثرها وضياع الشيء الكثير من معالمه . ولذا يبدو الخوض في مسألة الوضع كأنه مغامرة لغوية ، لان الباحث لا يمكن ان يهتدي الى المراحل التطورية في هذا التاريخ الطويل ، ولا يمكن ان تعرف جميع مراحله بصورة صحيحة يمكن الاطمئنان اليها ولقد اثر عن ابي عمرو بن العلاء قوله : (ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا أقله ولو جاءكم وافرا لانتهى اليكم علم وشعر كثير)[٣٧٠] . وقد عقد ابن فارس لهذا بابا سماه « القول على ان لغة العرب لم تنته الينا بكليتها ، وان الذي جاءنا عن العرب قليل من كثير ، وان كثيرا من الكلام ذهب بذهاب اهله »[٣٧١] .

فأنى لنا ان نقول بالوضع ونتحقق منه واللغة لم تصل الينا في طور نشأتها الا بعد الاف السنين من التداول الشفوي ؟ ؟ وقد هجرت الفاظ

---

(٣٧٠) نزهة الالباء : لابن الانباري : ص ٢٢ . وينظر فقه اللغة المقارن : د . ابراهيم السامرائي : ص

(٣٧١) الصاحبي : ص ٦٧ . وعنه في المزهر : ١/٦٦ وما ذكره ابن فارس في هذا الباب : « ذهب علماؤنا ـ او اكثرهم ـ الى ان الذي انتهى الينا من كلام العرب هو الاقل . قال : ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاء شعر كثير وكلام كثير » وهو مماثل لقول ابي عمرو بن العلاء .

وتغيرت الفاظ واستحدثت اخرى ، ونقلت الفاظ الى غير معانيها الوضعية . ولك ان تتصور ما فعله التطور اللغوي في الالفاظ صوتا ودلالة ، وما تركه المجاز من اثر في تداخل المعاني الحقيقيــة بالمعاني المجازية ومن حجب للالفاظ بحسب معانيها الوضعية ، خلال هذا الزمن الطويل من تاريـخ العربيـة . فكم من الالفاظ التي طغى عليها المجاز وابتعدت عن معانيها الوضعية فضاعت حقيقتها حتى صارت معانيها المجازية الجديدة حقيقية فيها لكثرة الاستعمال وطول العهد به ومن اجل هذا فالحديث عن الوضع الاول في تسمية المسميات يبدو شبيها بمسألة البحث عن اصل اللغة ونشأتها التي يكتنفها الغموض وتتقاسمها نظريات وذلك لايغالها في القدم وجهلنا بأولياتها وبعد اصولها عنا ومن ثم استحالة الوقوف على معالمها وتحديدها بدقة . ومن المفيـد ان تذكر هنا ما قررناه آنفا من ان البحث اللغوي التاريخي في الالفاظ المترادفة يدحض هذا الامر في الغالب بما يثبته من تباين بينها في الاصـل . وهذا كله يضعف القول بالوضع في الترادف تعريفا وتفسيرا ويقلل من شأنه الى حد كبير .

ويترتب على تفسير الترادف ومعرفة سبل نشأته على النحو الذي بيناه بنوعيه السالفين ، استخلاص حقيقة تتجلى في ان فكرة الترادف ليست ثابتة ولا مطلقة تماما في كل الاحوال . واكثر ما يتضح هذا في الترادف غير الوضعي الذي يشكل الغالبية منه . فلما كان معظم الترادف نتيجة التطـور الدلالي وان الترادف الوضعي يشكل اليسير منه ، امكن ان نستنتج من ذلك ان الترادف انما هو حالة تعرض لألفاظ من اللغة خلال حياتها نتيجة تطورها الدلالي بفعل الاستعمال . ومن هنا جاز لنا الحكم بعدم اصالة الترادف في معظم الالفاظ . واذن فحالة الترادف في الالفاظ ليست مسألة ثابتة دائمة على امتداد الزمان والمكان بل هي مسألة نسبية تتغير باختلاف الزمان والمكـان وتبعا لحقيقة التطور في الاستعمال . ومعنى هذا انه ما كان غير مترادف قد يصير مترادفا بسبب التطور ، وما كان مترادفا قد يصير متباينا للسبب

نفسه . وحتى الالفاظ المترادفة وضعا التي تبدو فيها صفة الترادف أصيلة بالنسبة لنا ؛ هي ايضا عرضة للتطور الدلالي الذي قد يؤدي الى تباينها وانتفاء الترادف فيها . فهذه الالفاظ شأنها شأن الالفاظ الاخرى من حيث تغير معناها واختلاف استعمالها ، فهي ليست بمعزل عن سنة التطور الدلالي ولا بعصية عليه .

ومن أجل هذه الحقيقة ينبغي تقييد الترادف بالزمان والمكان المعينين وضرورة ربطه ببيئة لغوية معينة لاقتران حدوثه بالظروف اللغوية عامة وبالتطور الدلالي خاصة . وهذا الامر ما يعنى به المعجم اللغوي التاريخي الذي يؤرخ للالفاظ تبعا لتطورها واستعمالها بحسب الزمان والمكان ، وهو ما تفتقر اليه العربية في الوقت الحاضر . ومن هنا يتضح لنا خطأ اصحاب الترادف قدامى ومحدثين في نهجهم الذي سلكوه في جمعهم للالفاظ المترادفة فيما الفوه من كتب ومعجمات خاصة . فنجدهم يروون المترادفات الكثيرة دون ان يقيدوها بظرف لغوي معين ؛ ومن غير بيان او اشارة الى زمان ترادفها ومكانه ؛ مكتفين بسردها سردا وكأنها حقيقة مطلقة ثابتة ، لدى العرب جميعا على اختلاف الزمان والمكان : قد خلقت هكذا في اللغة . ولعل سبب ذلك يكمن في عدم تنبههم الى علاقة التطور اللغوي بحدوث الترادف ولتعويلهم على الوضع في مفهوم الترادف وتفسيره .

والمهم ان فكرة الترادف مسألة ليست ثابتة ولا مطلقة مادامت الفاظ اللغة جميعا عرضة للتطور الدلالي مما يؤدي الى اختلاف معانيها وتباينها . فالقول بالترادف او بخلافه انما هو رهن بطبيعة التطور الدلالي في الاستعمال وما يؤول اليه من ترادف الالفاظ او تباينها . فهو يتوقف على مجرى الاستعمال ويختلف باختلافه تبعا للزمان والمكان . ويكفي للتدليل على ذلك ما اوردناه في هذا الفصل من امثلة كثيرة لالفاظ كانت متباينة في الدلالة بحسب الاصل ثم صارت مترادفة بفعل التطور الدلالي . وهذا ما يثبته ويكشف عنه البحث اللغوي التاريخي في الالفاظ المترادفة . وفي النماذج التي درسناها

من مرادفات الداهية والسيف والخمرة وغيرها خير مثال على ذلك . ولذا يعجبنا هنا تعبير الاستاذ « يوهان فك » عن كتاب الالفاظ لابن السكيت : (.. المترادفات الناضجة تمام النضج ابان القرن الثالث في كتاب الالفاظ لابن السكيت الكوفي ...)[٣٧٢] فهذا القول يشعر بما كانت عليه هذه الالفاظ من تباين قبل هذا الزمن ويشير الى حدوث الترادف التام فيها بعد ذلك نتيجة التطور ، وكأن هذه المترادفات لم تكن كذلك من قبل ، لان النضج الذي اكتسبته تلك المترادفات لابد ان يكون بفعل التطور الدلالي واثر الزمان والمكان فيها .

وقد يحدث العكس في اللغة ، فثمة الفاظ قد كانت مترادفة ثم صارت متباينة بسبب التطور في الاستعمال ايضا . فمن ذلك مثلا ان كلمة السبت في اللغة كانت تعني الدهر مطلقا ، ثم خصت في الاستعمال لغة باحد ايام الاسبوع[٣٧٣] . وكلمة الصلاة كانت تعني في الاصل الدعاء ثم تخصصت بعد ظهور الاسلام في معنى العبادة بشروطها وكيفيتها المعروفة[٣٧٤] . ومثلها كلمة الحج التي كان معناها مجرد القصد ، ثم تخصص في القصد الى بيت الله الحرام في ايام معلومة لاداء شعائر معينة[٣٧٥] . وكلمة البأس التي كانت في اصل معناها خاصة بالحرب ، ثم صارت تطلق على كل شدة على سبيل التعميم[٣٧٦] . (والحوب : البعير ، ثم كثر ذلك فصار حوب زجرا للبعير)[٣٧٧] . والعبير عند العرب الزعفران وحده ثم اصبح الناس يفرقون بينهما فيستعملون العبير بمعنى اخلاط من الطيب[٣٧٨] . كذلك

---

(٣٧٢) العربية : ص ١٤٨

(٣٧٣) المزهر : ٤٢٧/١

(٣٧٤) الصاحبي : ص ٨٠ وانظر المزهر : ٢٩٥/١

(٣٧٥) الصاحبي : ص ٨١ وانظر المزهر : ٢٩٥/١

(٣٧٦) المزهر : ٤٣١/١

(٣٧٧) المصدر السابق : ٤٣٢/١

(٣٧٨) ادب الكاتب : ص ٣٨ — ٣٩ .

يفرق الاستعمال اللغوي اللاحق بين التآبل والابزار وهما في اللغة بمعنى واحد[٣٧٩] . والقينة في كلام العرب هي الأمة مغنية كانت او غير مغنية ، ثم اصبح الاستعمال يفرق بينهما حيث صارت القينة تعني المغنية خاصة[٣٨٠] . وفي اللغة كثير من الالفاظ التي كانت بمعنى واحد ثم صارت متباينة بفعل التطور في الاستعمال مما ادى الى اختلاف معانيها وانتفاء الترادف فيها .

ويؤيد ذلك كله ان بعض العرب يستعملون الفاظا بمعنى واحد ويعدونها مترادفة ، في حين ان بعضهم يفرقون بينها ويعدونها متباينة . ولا ريب ان سبب ذلك هو الاختلاف في الزمان والمكان ، اي زمان او مكان الاستعمال الاول أي الترادف ، هو غير زمان أو مكان الاستعمال الثاني اعني التباين . وهذا مما يدلل ايضا على نسبية الترادف وكونه ظاهرة غير ثابتة ولا مطلقة لدى جميع مستعملي اللغة فهو ليس موضع اتفاق عندهم دائما في كل زمان ومكان وذلك بسبب الاختلاف في الاستعمال وتبعا لتطور معاني الالفاظ وتغيرها من حال الى حال . (فالانسان يزيد من مفرداته ولكنه ينقص منها ايضا ويغير الكلمات في حركة دائمة من الدخول والخروج ، ولكن الكلمات الجديدة لا تطرد القديمة دائما ، فالذهن يروض نفسه على وجود المترادفات والمتماثلات ويوزعها على وجه العموم على استعمالات مختلفة[٣٨١]) .

وهكذا يتحقق لدينا ما ذهبنا اليه آنفا من ان الترادف حالة تعرض لالفاظ من اللغة خلال حياتها نتيجة التطور في الاستعمال . وان هذه الحالة ليست بثابتة بشكل دائم ومطلق . (فاذا ما وقع هذا الترادف التام ، فالعادة ان يكون ذلك لفترة قصيرة محدودة ، حيث ان الغموض الذي يعتري المدلول والالوان او الظلال المعنوية ذات الصيغة العاطفية او الانفعالية التي

---

(٣٧٩) تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة : ٢٤

(٣٨٠) شرح ادب الكاتب : ص ٢٧ وانظر : شرح درة الغواص : ص ٢٥١

(٣٨١) اللغة : ص ٢٤٦ — ٢٤٧

تحيط بهذا المدلول لا تلبث ان تعمل على تحطيمه وتقويض اركانه ، وكذلك سرعان ما تظهر بالتدرج فروق معنوية دقيقة بين الالفاظ المترادفة بحيث يصبح كل لفظ منها مناسبا وملائما للتعبير عن جانب واحد فقط من الجوانب المختلفة للمدلول الواحد ، كما اننا سنلاحظ في الوقت نفسه ان ما يرتبط بهذه الالفاظ من عناصر عاطفية وتعبيرية وايحائية خاصة سوف تأخذ في الظهور والنمو ممتدة في خطوط متباعدة)[٣٨٢] ، والحياة تشجع على تغير المفردات وتضاعف الاسباب التي تؤثر في الكلمات ، فالعلاقات الاجتماعية والصناعات والعدد المتنوعة تعمل على تغيير المفردات وتقضي على الكلمات القديمة او تحور معناها ، ونشاط الذهن يستدعي العمل دائما في المفردات[٣٨٣] .

ومن هذا نخلص الى ان المترادفات لا تبقى هكذا نظرا لتطور الحياة والحضارة وكثرة العوامل والاسباب التي تؤثر فيها وتحور معناها بحكم سنة التطور الدلالي وفعله في معاني الالفاظ ، ولابد من الاخذ بنظر الاعتبار في كل ذلك مسألة الزمان والمكان عند القول بالترادف او التباين في الالفاظ بمثل هذا التفسير ننظر الى وقوع الترادف في اللغة وتفهم طبيعته ، ولعل في هذا ما يلقي الضوء على مسألة الفروق وتوجيهها ويعيننا على معرفة اسباب انكار الترادف ، وهو ما سنعرض له في الفصل الآتي .

---

(٣٨٢) دور الكلمة في اللغة ، ستيفن اولمان : ص ٩٧

(٣٨٣) اللغة : ص ٢٤٧

الفصل الثالث

الخلاف في وقوع الترادف

استأثرت مسألة الخلاف في وقوع الترادف باهتمام الباحثين ونالت من عنايتهم الشيء الكثير ؛ فطالما تساءل اللغويون أيجوز ان تترادف لفظتان او اكثر على معنى واحد في اللغة او لا يجوز ؟ وقد شغلتهم هذه المسألة عن تفسير ظاهرة الترادف وتحليلها واستقصاء جوانبها ؛ حتى اذا ذكر الترادف انصرف الذهن الى مسألة الجواز والانكار ؛ نظرا لكثرة الخلاف فيها واحتدام الجدل بشأنها وغلبة الكلام عليها . منذ تنبه علماء اللغة اليها والتأمل فيها . فلا تجد اللغويين ـ قدامى ومحدثين ـ حين يعرضون للموضوع الا وهم يدلون بآرائهم فيه جوازا أو انكارا . وما التصنيف في الالفاظ المترادفة ومحاولة جمع اكبر قدر منها ، والتصنيف في الفروق اللغوية الا مظهر من مظاهر هذا الخلاف واثر واضح من اثاره . وكأن موضوع الترادف لا يعني سوى الجواز والانكار .

لقد اختلف اللغويون العرب القدامى في هذه الظاهرة اللغوية . وقديما اختلف فيها علماء اليونان وعلماء اللغة السنسكريتية القديمة . كما اختلف في وقوعها المحدثون من العرب ومن علماء اللغات الاجنبية وتنازعوا القول فيها . وسنحاول في هذا الفصل الا ننساق الى الاغراق فيما يجوز او لا يجوز ، قبل الوقوف على حجج المنكرين لها وادلة القائلين بها والتعرف على طبيعة الخلاف واسبابه . فالمهم لدينا ان نتبين لماذا انكر هؤلاء وجوز اولئك ؛ وليس امر الجواز والانكار غاية نهدف اليها .

ولذا سوف نعنى بالبحث عن اسباب رفضهم وتأييدهم ومناقشتهم في ذلك دون ان نشغل انفسنا كثيرا بمنهجهم الجدلي وبنظرتهم الكلامية اللتين

اصطنعوها في تناول الترادف ، لنخلص من بعد ذلك كله الى رأي واضح بشأن الخلاف في هذه المسألة وتحديد موقف صريح نريده ان يكشف عن وجه الصواب فيها ، محتكمين في ذلك الى الواقع اللغوي ، ومعولين على الاستعمال الذي جرت به ألسنة العرب ، بعيدا عن النظرة العقلية المحضة والقياس المنطقي البحت •

آراء القدامى

لم يؤثر عن الاقدمين من أهل اللغة ما يشير الى انكار الترادف ، او الشك في وقوعه اذ نجدهم يذكرون في مصنفاتهم عدة الفاظ للمعنى الواحد او المسمى الواحد من غير فرق بينها • كما ان الرواة واللغويين الذين ساحوا في الجزيرة العربية وجابوا بواديها من اجل جمع مفردات اللغة وتدوينها قد أكدوا هذه الظاهرة ــ ميدانيا ــ بما رووه وسجلوه عن العرب من عدة الفاظ للمسمى الواحد • والناظر الى كتب الموضوعات الاولى أو الى تلك الرسائل اللغوية التي أسفرت عنها حركة جمع اللغة ــ وهي التي اصبحت من بعد مادة المعجمات الكبرى ــ يجدها تحفل بالاسماء المختلفة للشيء الواحد مما لا يدع مجالا للشك في وقوع هذه الظاهرة في ألفاظ اللغة • زيادة على ما نجده من تصريح بعض الاقدمين او اشارتهم الواضحة الى هذه الظاهرة وكأنها أمر طبيعي في اللغة • فقد ذكر سيبويه ان من كلامهم اختلاف اللفظين والمعنى واحد[1] وقال قطرب ــ ت ٢٠٦ هـ ــ : (انما أوقعت العرب اللفظتين على المعنى الواحد ، ليدلوا على اتساعهم في كلامهم •••)[2] وفي كتاب الاصمعي ــ ت ٢١٦ هـ ــ الموسوم بـ « ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه » الشيء الكثير من الالفاظ المترادفة بمعنى الترادف الواسع • وقل مثل هذا فيما جاء في

---

(١) الكتاب : ــ ١/ ٧ــ ٨

(٢) الاضداد ــ محمد بن القاسم الانباري : ــ ص ٨ والمزهر :ــ ١/ ٤٠٠

كتاب الغريب المصنف للقاسم بن سلام - ت ٢٢٤ هـ - وكتاب الالفاظ لابن السكيت - ت ٢٤٤ هـ - ولعل هذه الفكرة هي التي أوحت الى الاقدمين ان يخصوها بضرب معين من التصنيف كما في مؤلف الاصمعي - أو ان يفردوا لها أبوابا في كتبهم كما هو الحال في كتابي القاسم بن سلام وابن السكيت - وذلك لكون هذه الظاهرة معروفة لديهم • وقد سبق أن بينا هذا الامر واستشهدنا له بما فيه الكفاية في الفصل الاول •

ويدل هذا على ان ظاهرة الترادف ما كانت لديهم موضع خلاف وجدل • حتى اذا وصلنا الى القرن الثالث الهجري ؛ حيث اتسع النظر في قضايا اللغة وكثر القول في جوانبها المختلفة ؛ وجدنا من علماء العربية من يصرح بانكار الترادف ويذهب الى منعه ؛ مؤولا وموجها ما جاء عن العرب من ألفاظ وقعت على معنى واحد • فكان ان انقسم اللغويون فذهب نفر منهم الى متابعة هذا الرأي والانتصار له بالحجج واقامة الادلة عليه ؛ محاولين تثبيته والبرهنة على صحته فزادوه تفصيلا وبيانا وعززوه بالامثلة والشواهد • على حين ذهب اكثر اللغويين الى نفي هذا الرأي مستدلين على ذلك بمختلف الادلة ومثبتين القول بوقوع الترادف • وما أن نصل الى القرن الرابع الهجري حتى نجد وجوه الخلاف قد اتسعت بين المنكرين والمؤيدين وبلغ الجدل اشده وتشعب القول فيه كثيرا • فلم تعد المسألة مقتصرة على مجرد اقوال وأراء في الانكار والجواز مبثوثة في كتب اللغة بل تجاوزتها الى ان يضع المؤيدون مصنفات خاصة او ابوابا من كتبهم في تثبيت الترادف وضرب امثلة له ؛ تأكيدا لوقوعه في اللغة وجريانه في الاستعمال[٣] •

ويضع المنكرون مصنفات او ابوابا خاصة في الفروق اللغوية من أجل نفي هذا الامر والتدليل على ان ما يعد من الترادف انما هو من الالفاظ

---

(٣) ومن امثلة ذلك : - كتاب « الالفاظ المترادفة » للرماني - ٣٨٤هـ «وما جمعه ابن خالويه ٣٧٠هـ - من اسماء كثيرة للسيف والحية والاسد وامثلة ابن جني - ت ٣٩٢ هـ - الذي افرد له بابا وضرب الامثلة الكثير له في الخصائص : - ٢/١١٢ - ١٢٢ •

المتباينة في اصل الوضع[٤] • وقد حذا حذو القدامى جماعة من المحدثين من الذين صنفوا بالترادف او في الفروق • وهكذا تطور الخلاف في وقوع الترادف واتسع البحث فيه •

وسنعرض هنا لهذه الآراء بالتفصيل حسب تدرجها التاريخي ، وأما الفروق اللغوية فسنفرد لها دراسة مستقلة لأهميتها واتساع القول فيها ولكونها ــ على هذه الشاكلة ــ نتيجة لهذه الآراء في انكار الترادف •

لعل أول ما وصل الينا بصدد انكار الترادف هو ما حكاه ثعلب عن استاذه ابن الاعرابي ــ ت ٢٣١ هـ ــ القائل : (كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد ، في كل واحد منهما معنى ليس في صاحبه ، ربما عرفناه فأخبرنا به ، وربما غمض علينا فلم نلزم العرب جهله) • وقال : (الاسماء كلها لعلة ، خصت العرب ما خصت منها ، من العلل مانعلمه ،ومنها ما نجهله)[٥] وعلى هذا يكون ابن الاعرابي أول من ذهب الى انكار الترادف في اللغة على هذه الشاكلة • وليس ثمة من دليل يشير الى انكار الترادف قبل ابن الاعرابي • وقد عول على هذا الرأي نفر من اللغويين الذين انكروا الترادف بعده ، فكان ان انتصروا لرأيه هذا واقاموا الحجج والادلة عليه ، واتسعوا فيه وزادوه تفصيلا وبيانا وضربوا الامثلة له • فقد تابعه في ذلك تلميذه ثعلب ــ ت ٢٩١ هـ ــ الذي روى قوله السالف الذكر وزعم : (ان كل ما يظن من المترادفات فهو من المتباينات التي تتباين بالصفات ، كما في الانسان والبشر فان الاول موضوع له باعتبار النسيان ، أو باعتبار أنه يؤنس ، والثاني باعتبار انه بادي البشرة • وكذا الخندريس والعقار ، فان الاول باعتبار العتق ، والثاني باعتبار عقر الدن لشدتها • وتكلف لأكثر المترادفات بمثل هذا المقال العجيب)[٦] • على حد

---

(٤) ومن ذلك كتاب « الفروق اللغوية » العسكري ــ ت ٣٩٥ هـ .

(٥) الاضداد ــ محمد بن القاسم الانباري ــ ص ٧ وينظر المزهر : ١/٣٩٩ ــ ٤٠٠ •

(٦) المزهر : ــ ١/٤٠٢

تعبير التاج السبكي • ويجد في هذا القول تطبيقا وتأكيدا لما ذهب اليه ابن الاعرابي في قوله السالف الذكر •

كما ذهب الى قول ابن الاعرابي ايضا ابو بكر محمد بن القاسم الانباري ـ ت ٣٢٨ هـ ـ فبعد أن أورده ، شرحه وعقب عليه قائلا : (يذهب ابن الاعرابي الى ان مكة سميت مكة لجذب الناس اليها ، والبصرة سميت البصرة للحجارة البيض الرخوة بها ، والكوفة سميت الكوفة لازدحام الناس بها ، من قولهم : قد تكوف الرمل تكوفا ، اذا ركب بعضه بعضا ، والانسان سمي انسانا لنسيانه ، والبهيمة سميت بهيمة لانها أبهمت عن العقل والتمييز ، من قولهم : أمر مبهم اذا كان لا يعرف بابه • ويقال للشجاع : بهمه ، لان مقاتله لا يدري من أي وجه يوقع الحيلة عليه • فان قال لنا قائل : لأي علة سمي الرجل رجلا ، والمرأة أمرأة ، والموصل الموصل ، ودعد دعدا ؟ قلنا : لعلل علمتها العرب وجهلناها ، او بعضها ، فلم تزل عن العرب حكمة العلم بما لحقنا من غموض العلة ، وصعوبة الاستخراج علينا)(٧) وبعد هذا يقول : (وقول ابن الاعرابي ، هو الذي نذهب اليه ، للحجة التي دللنا عليها ، والبرهان الذي اقتناه فيه)(٨) •

وقد تابع ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) شيخه ثعلبا في انكاره الترادف ـ الذي هو في الواقع مذهب ابن الاعرابي كما ذكرنا ـ إذ قال (ويسمى الشيء الواحد بالاسماء المختلفة نحو : السيف والمهند والحسام • والذي نقوله في هذا ان الاسم واحد هو السيف ، وما بعده من الالقاب صفات • ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الاخرى • وقد خالف في ذلك قوم فزعموا أنها ـ وان اختلفت الفاظها ـ فأنها ترجع الى معنى واحد ، وذلك قولنا : سيف وعضب وحسام(٩) وقال آخرون ليس منها اسم ولا صفة

---

(٧) الاضداد : ص ٧ـ ٨ وعنه في المزهر : ١/٤٠٠ ،
(٨) الاضداد : ص ٨ وعنه في المزهر : ١/٤٠١ ،
(٩) وقد سبق ان استوفينا النظر في مسألة اسماء السيف والخلاف فيها ، انظر ص من هذه الرسالة

إلا ومعناه غير معنى الآخر ، قالوا : وكذلك الافعال ، نحو : مضى وذهب وانطلق ، وقعد وجلس ، ورقد ونام وهجع ، قالوا : ففي قعد معنى ليس في جلس ، وكذلك القول فيا سواه ، وبهذا نقول ، وهو مذهب شيخنا ابي العباس احمد بن يحيى ثعلب)[10] .

ومن اللغويين القدامى الذين انكروا الترادف على هذه الشاكلة ، ابن درستويه (ت ٣٤٧هـ) إذ يقول : (ولا يكون فعل وافعل بمعنى واحد ، كما لم يكونا على بناء واحد . الا أن يجيء ذلك في لغتين مختلفتين ، فاما من لغة واحدة فمحال ان يختلف اللفظان والمعنى واحد كما يظن كثير من النحويين واللغويين ، وانما سمعوا العرب تتكلم بذلك على طباعها وما في نفوسها من معانيها المختلفة ، وعلى ما جرت به عاداتها وتعارفها . ولم يعرف السامعون تلك العلة فيه والفروق ، فظنوا انها بمعنى واحد . وتأولوا على العرب هذا التأويل من ذات انفسهم ، فان كانوا قد صدقوا في رواية ذلك عن العرب ، فقد اخطأوا عليهم فيتأولهم ما لا يجوز في الحكمة . وليس يجيء شيء من هذا الباب الا على لغتين متباينتين كما بينا . أو يكون على معنيين مختلفين ، أو تشبيه شيء بشيء ..)[11] ولم ينكر ابن درستويه الترادف حسب بل ذهب ايضا الى انكار المشترك اللفظي والاضداد وقال ببطلان تعاقب حروف الجر ، خلافا لما ذهب اليه كثير من علماء العربية اذ انه يرى في جواز هذه الامور ابطال حقيقة اللغة وافساد الحكمة فيها . وان القول بها هو بخلاف ما يوجبه العقل والقياس . ففي رأيه ان اللغة موضوعة للابانة عن المعاني ، ولو جاز الاشراك والتضاد في الالفاظ ، لما كان في ذلك ابانة بل كان تعمية

---

(١٠) الصاحبي : ص ٩٦ — ٩٧ والمزهر : ١/٤٠٤ .

(١١) تصحيح الفصيح لابن درستويه ، تحقيق عبدالله الجبوري ، القسم الثاني ص ٢٢٣ — ٢٢٤ وانظر : الفروق اللغوية للعسكري ص ١٢ . والمزهر ١/٢٨٤—٢٨٥، ٢٨٦ .

وتغطية وليس ادخال الالباس في كلام من الحكمة والصواب ؛ وواضع اللغة عز وجل حكيم عليم[١٢] .

والى مثل هذا ذهب ابو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) الذي وضع كتابا خاصا في الفروق اللغوية وصرح في مقدمته بانكاره للترادف ؛ اما كتابه فسيأتي القول فيه ؛ وأما فيما يتعلق برأيه فهو يقول : (الشاهد على أن اختلاف العبارات والاسماء يوجب اختلاف المعاني أن الاسم كلمة تدل على معنى دلالة الاشارة ؛ واذا أشير الى الشيء مرة واحدة فعرف فالاشارة اليه ثانية وثالثة غير مفيدة وواضع اللغة حكيم لا يأتي فيها بما لا يفيد . فان أشير منه في الثاني والثالث الى خلاف ما أشير اليه في الاول كان ذلك صوابا ؛ فهذا يدل على أن كل اسمين يجريان على معنى من المعاني وعين من الاعيان في لغة واحدة فان كل واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الاخر والا لكان الثاني فضلا لا يحتاج اليه)[١٣] . ويذكر العسكري أنه كما لا يجوز ان يدل اللفظ الواحد على معنيين فكذلك لا يجوز أن يكون اللفظان دالين على معنى واحد لأن في ذلك تكثيرا للغة بما لا فائدة فيه . كذلك أنكر العسكري المشترك اللفظي وأن يكون فعل وافعل بمعنى واحد وتعاقب حروف الجر ؛ ودفع جواز ذلك بانه يوقع الاشكال واللبس على المخاطب وليس من الحكمة وضع الادلة المشكلة ؛ وذلك على ما ذهب اليه ابن درستويه الذي تمثل العسكري بأقواله واستشهد بارائه على ذلك صراحة[١٤] .

ومن الذين أنكروا الترادف الراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) وهو ما صرح به في مقدمة كتابه « المفردات في غريب القرآن » وذلك بقوله : (وأتبع هذا الكتاب ان شاء الله تعالى ونسأ في الاجل بكتاب ينبىء عن

---

(١٢) تصحيح الفصيح ، القسم الثاني ص ٢٢ ــ ٢٢٥ . وانظر الفروق اللغوية ص ١٢ ــ ١٣ ، وتصحيح الفصيح ، القسم الاول ص ٩٥ وما بعدها ، والمزهر : ١/٣٨٥ ، ٣٩٦ .

(١٣) الفروق اللغوية : ص ١٠ ــ ١١

(١٤) المصدر السابق : ص ١٢ ــ ١٣

تحقيق الالفاظ المترادفة على المعنى الواحد وما بينها من الفروق الغامضة ، فبذلك يعرف اختصاص كل خبر بلفظ من الالفاظ المترادفة دون غيره من أخواته نحو ذكره القلب مرة والفؤاد مرة والصدر مرة ... ونحو ذلك مما يعده من لا يحق الحق ويبطل الباطل أنه باب واحد فيقدر أنه اذا فسر الحمد لله بقوله : الشكر لله ؛ ولا ريب فيه بلا شك فيه ؛ فقد فسر القرآن ووفاه التبيان)[15] . وواضح ان الراغب يعني بهذا ما وقع في القرآن الكريم خاصة من الالفاظ المترادفة وما يتعلق بتفسيره على هذه السبيل .

هذه هي مجمل آراء قدامى اللغويين الذين أنكروا الترادف في اللغة ونرى أن مؤدى هذه الاقوال واحد ، فهي ـ وأن تعدد أصحابها ـ ترجع في الواقع الى رأى ابن الاعرابي الذي ذكرناه آنفا وقد نص بعضهم على متابعتهم له صراحة كما رأينا . بيد ان هؤلاء قد توسعوا فيه وعززوه بالحجج والامثلة .

ومبلغ حجج هؤلاء جميعا في انكارهم للترادف تتمثل في أنه لابد من سبب للتسمية والقول بالعلل والاعتبارات المتباينة في اطلاق الالفاظ على المسميات ؛ حتى وان كانت هذه العلل مجهولة او غامضة . وأن الترادف يتنافى مع حكمة الوضع في هذه اللغة لأن واضع اللغة حكيم لا يمكن ان يضع لفظتين أو اكثر على معنى واحد ، ولأن الترادف تكثير للغة بما لا فائدة فيه ؛ وهو بخلاف ما يوجبه العقل والقياس والمنطق .

ولاشك أن التسليم بهذه الاراء يؤدي لا محالة الى نفي الترادف . ولكننا نلاحظ في اراء اصحاب هذا المذهب عدة امور :

١ ـ ينظر هؤلاء في انكارهم للترادف الى الفاظ اللغة تبعا لمعانيها الوضعية وما تدل عليه في الاصل . ويقولون بالفروق والاعتبارات بين الالفاظ تبعا لاسباب الوضع وعلل اطلاق الالفاظ على المسميات وذلك بحكم الاصل .

(١٥) المفردات في غريب القرآن : ص ٤ ولم نقف على كتابه هذا .

وكثيرا ما كانوا يهتدون بالاشتقاق الى معرفة أسباب التسمية وعللها حتى أسرفوا فيه ايما اسراف من أجل التماس سبب للتسمية ولو كان بعيدا ، لأنهم يرون أن ما اشتق من شيء لا يخرج عن معناه ، وهذه نظرة تتجاهل سنة التطور اللغوي وتهمل التغير الذي يطرأ على معاني الالفاظ بسبب التطور في الاستعمال لأن هؤلاء ينظرون الى دلالة الالفاظ نظرة تأريخية ويعتمدونها اساسا للقول بالتباين ، ان مثل هذه الفروق التي يقول بها هؤلاء قد اصبحت مسألة تأريخية في حياة الالفاظ نتيجة تطورها الدلالي ؛ وان صحت هذه الاعتبارات والعلل في التسمية التي يقولون بها فانما هي بمقتضى الاصل عند وضع الاسم على المسمى ، ثم تنوسيت بفعل الاستعمال وكثرته وطول العهد به حتى صارت شيئا تأريخيا لايؤبه به، ومستعملو اللغةغالبا مايجهلون مثل تلك العلل والاعتبارات التي عفا عليها الزمن ؛ ولا يحفلون بالدلالة القديمة للالفاظ بقدر ما تعنيهم دلالتها التي آلت اليها كما يجري بها الاستعمال فعلا ، ناهيك عن أن علل وأسباب التسمية كثيرا ما تخفى حتى على بعض المتخصصين من اهل اللغة ؛ وذلك بسبب غموضها وبعدها ولاتصالها بالظروف اللغوية السحيقة التي يصعب الوقوف عليها والتحقق منها ، ولاقتران تلك الاسباب والعلل بخفايا واسرار الحياة الاجتماعية والثقافية وبالعادات والتقاليد الغابرة ، يقول ابن جني : (نعم ؛ وقد يمكن أن تكون أسباب التسمية تخفى علينا لبعدها في الزمان عنا ؛ ألا ترى الى قول سيبويه : « أو لعل الاول وصل اليه علم لم يصل الى الآخر يعني أن يكون الاول الحاضر شاهد الحال ، فعرف السبب الذي له ومن أجله ما وقعت عليه التسمية ، والاخر ـ لبعده عن الحال ـ لم يعرف السبب للتسمية ؛ ألا ترى الى قولهم للانسان اذا رفع صوته : قد رفع عقيرته ؛ فلو ذهبت تشتق هذا ؛ بأن تجمع بين معنى الصوت وبين معنى « ع ق ر » لبعد عنك وتعسفت ، وأصله أن رجلا قطعت احدى رجليه ، فرفعها ووضعها على الاخرى ، ثم صرخ بارفع صوته ؛ فقال الناس : رفع عقيرته ،)[16] ولا أدل على ضعف هذه الحجة في انكار الترادف من

---

(١٦) الخصائص : ١/٦٦

اعتراف القائلين بها أنفسهم بغموض علل واسباب التسمية ، وخفائها والجهل بها وصعوبة استخراجها والكشف عنها وذلك كما في قول ابن الاعرابي وابن الانباري والراغب الاصفهاني . وعلى هذا كان في التعويل على هذا المذهب في انكار الترادف بهذه الحجج والزام المستعملين بأن يتقيدوا بأسباب الوضع وعلل التسمية ، تعسف كبير وتعلق بالفاظ اللغة بحسب اصلها ، وتزمت لا مسوغ له اذ انه يتنافى مع طبيعة اللغة وتطورها ويبتعد كثيرا عن حقيقة استعمال الناس للالفاظ من يجهل مثل هذه الاعتبارات في الغالب ولا يأبه بها . والا فهل يعرف الاستعمال مثلا أن اطلاق الرمة على الجميع في قولنا : أخذت الشيء برمته : قد كان بسبب أن رجلا دفع الى رجل بعيرا بحبل في عنقه ، والرمة في الاصل هي قطعة من الحبل بالية ، فقيل ذلك لكل من دفع شيئا بجملته ولم يبق منه شيئا . فصارت الرمة تعني الجميع كائنا ما يكون[17] . وان اصل القطب الجمع بين الماء والشراب ، اي المزج والخلط ومنه قيل : قطب اي جمع ، ويقال لما بين العينين المقطب وقطب ما بين عينيه اي جمع الغضون . ومنه قيل : جاء الناس قاطبة أي جميعا[18] . فصارت قاطبة مرادفة للجميع . وان المنيحة أصلها الناقة أو الشاة تعطى للرجل فيشرب لبنها ويجتز وبرها وصوفها ثم صارت كل عطية منيحة أيا كانت وصارت مرادفة لها[19] .

وهل يعرف الاستعمال أن سبب تسمية « الوارش » ، اي الرجل الذي يدخل وليمة ولم يدع اليها بـ « الطفيلي » قد كان نسبة الى طفيل وهو رجل من أهل الكوفة كان يأتي الولائم من غير أن يدعى اليها ، وكان يقول : وددت أن الكوفة بركة مصهرجة فلا يخفى علي منها شيء . فقيل له : طفيل الاعراس او العرائس[20] .

---

(17) اللسان مادة رمم : ٢٥٢/١٢ وانظر ادب الكاتب : ص ٥٢

(18) كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الالفاظ : ص ٢٢١ واللسان مادة قطب : ٦٨٠/١ — ٦٨١ .

(19) جمهرة اللغة : ٤٣٢/٣ وعنه في المزهر : ٣٩/١

(20) اصلاح المنطق : ص ٣٢٢

وأن الدهيم كانت اسم ناقة لعمرو بن الزبان ، غزا عليها هو واخوته الستة قوما من العرب ، فقتلوا عن آخرهم وحملت رؤوسهم عليها فرجعت بهم . وبسبب هذه الحادثة اطلقوا الدهيم على الداهية فصارت اسما من اسمائها[٢١] . وقل مثل هذا في الفاظ كثيرة اخرى مما لا يذهب الناس في استعمالهم لها الى البحث عن تعليل التسمية ، فذلك لا يعنيهم ، ناهيك عن جهلهم هذه العلل في الغالب التي مردها الى الوضع واتصالها بالتاريخ اللغوي القديم . ومستعمل اللغة لا ينصرف ذهنه الى تعليل وضع الالفاظ واسباب التسمية ، بل يستعملها استعمالا رمزيا كما يجري بها العرف اذ ان اللغة ظاهرة اجتماعية شأنها شأن العادات والتقاليد والاعراف الاجتماعية الاخرى ..

يتضح لنا من هذا كله ان هؤلاء اللغويين قد تكلفوا كثيرا في انكارهم الترادف على هذا النحو وبهذه الحجج التي لاتعتمد طبيعة الواقع اللغوي والتي تبتعد عن حقيقة الاستعمال . فاذا كان الناس يستعملون الالفاظ دون اعتبار الى ما كانت عليه في الاصل ويجهلون علل الوضع واسباب التسمية ، وان عرفوها لم يكترثوا بها ، فما جدوى التعويل اذن ـ والحال هذه ـ على الدلالة الاصلية والتول باعتبارات خفية وبعلل غامضة قد عفا عليها الاستعمال وصارت شيئا تاريخيا منسيا في حياة الالفاظ بفعل التطور ؟ اذ ليس من الصواب ان نتعلق باللغة حيث كانت ونتمسك بالدلالة القديمة التي هجرها الاستعمال وتجاوزها ، فنتوقف عن فهمها حيث تسير وتتغير ، وخاصة في موضوع كالترادف ينميه التطور ويدعمه الاستعمال . وقد اعترف بحالية التسمية والدلالة لغويون مثل الاصمعي وابن دريد والجوهري وغيرهم وذلك في الفاظ نحو الورد والقرب والاستحمام والنجعة والوغى ، والراوية والظعينة وغيرها مما ذكرنا سابقا[٢٢] . وبعد ان اورد ابن فارس مقالات واراء اللغويين المختلفة في حد الاسم وتعريفه قال : (فهذه مقالات القوم في حد الاسم

(٢١) اللسان مادة دهم : ١٢/٢١١ والمرصع : ١٦٩
(٢٢) انظر : ص من هذه الرسالة

يعارضها ما قد ذكرته ، وما اعلم شيئا مما ذكرته سلم من معارضة . والله اعلم اي ذلك اصح . وذكر لي عن بعض أهل العربية ان الاسم ما كان مستقرا على المسمى وقت ذكرك اياه ولازما له ، وهذا قريب[٢٣]) .

٢ ـ واما قول هؤلاء بدفع جواز الترادف وانكاره وذلك باعتبار ان اللغة توقيف وان واضعها عزوجل حكيم عليم لا يمكن ان يضع اكثر من لفظ واحد على معنى واحد . وهو امر تجل عنه اللغة . فان في اصل اللغة ونشأتها نظريات عدة لا يمكن القطع باحداها ، وما تزال موضع خلاف العلماء ومثار قول كثير . فابن جني ـ مثلا ـ حين عرض لاقوال العلماء بشأنها تردد فيها ولم يقطع بشيء[٢٤] . والمحققون من المحدثين يستبعدون هذه المسألة من دائرة البحث اللغوي ويرون ان لا جدوى من البحث فيها ؛ لعدم توفر الادلة للبت فيها ولاتصالها بالتاريخ البدائي القديم للبشرية[٢٥] . ونحن لا ننظر الى الترادف هنا تبعا لاصل اللغة ونشأتها ، وانما بعد ان تجاوزت اللغة طور نشأتها الاولى وتعهدها الاستعمال بالتوسع والتطور وصارت ظاهرة اجتماعية متطورة . وهذا هو سبب انكار ابن درستويه والعسكري للترادف وذلك بسبب قولهما بالتوقيف . ويمكننا ان نحمل انكار ابن فارس للترادف على هذا الوجه لانه من القائلين بالتوقيف أيضا .

٣ ـ واما قول المنكرين بان وقوع الترادف في اللغة انما هو بخلاف ما يوجبه العقل والقياس وانه يتنافى مع حكمة الوضع . اذ انه لا يجوز عقلا ان تكون هناك لفظتان لمعنى واحد لأنه تكثير للغة بما لا فائدة فيه . فاننا نرى فيه نظرة منطقية محضة وحجة عقلية بحتة مبعثها القول بنظرية التوقيف.

---

(٢٣) الصاحبي : ص ٨٥

(٢٤) الخصائص : ١/٤٠ ـ ٤٧ .

(٢٥) التطور اللغوي التاريخي : ص ١٩ واللغة لفندريس : ص ٢٩ وما بعدها وعلم اللغة العربية : ص ٢٦ـ٢٧ ودلالة الالفاظ : ص ١٣ وعلم اللغة د . محمود السعران : ص ٧ـ ٨ ، ومحاضرات في اللغة ، د . ايوب ص ١٠ ـ ١٦

التي آمن بها هؤلاء . والاخذ بالمنطق العقلي والحكمة في النظر الى الظواهر اللغوية ، فيه اجحاف وبعد عن طبيعة اللغة ولا يصدق على كثير من ظواهرها ويتعارض مع الواقع اللغوي الذي يبدو في جوانب كثيرة على العكس من هذه النظرة ، فلو كان منطق اللغة كمنطق العقل لوجب الا يكون للفظ الواحد سوى معنى واحد ، والا يدل اللفظ الواحد على المعنى ونقيضه ، والا يكون للمعنى الواحد سوى لفظ واحد أيضا . ولكن اللغة في كثير من جوانبها لها منطق خاص يبدو في أكثر الاحيان على جانب كبير من الغرابة . ويظهر ذلك واضحا في مجال الالفاظ ودلالاتها حين يكون للفظ الواحد أكثر من معنى ، وللمعنى الواحد أكثر من لفظ .[٢٦] وفي مسألة الجنس من حيث التذكير والتأنيث في الاسماء دون ان يصدق على الواقع كما في اعتبار صفة التأنيث في الفاظ ليست مؤنثة حقا كالشمس والسن والسبيل والمنضدة والشجرة واعتبار صفة التذكير في اسماء ليست مذكرة حقا نحو القمر والبحر .

٤ ـ ومما يلاحظ على مذهب هؤلاء في انكارهم الترادف أنهم انما ينكرونه اذا كان في لغة واحدة وليس في لغتين أو أكثر . وذلك كما ورد في قول ابن درستويه والعسكري وعلى هذا كان انكار هؤلاء للترادف قائما على نظرة ترى الى اللغة على انها « لهجة واحدة » وهذه نظرة قد اغفلت تداخل اللغات واختلاطها ، ومسألة اختلافها في التسمية وتعددها باختلاف القبائل . والعربية ليست لهجة واحدة بعينها ، وانما خليط متجانس من هذه اللهجات ؛ قد ضمت كثيرا من الفاظ لغات القبائل المختلفة كما قررنا هذا سابقا . وكذلك اغفلت مسألة دخول الالفاظ الاعجمية الى العربية التي لها نظائر فيها من حيث الدلالة . والتي صارت جزءا من واقع هذه اللغة . ونحن هنا انما نبحث عن الترادف في اللغة العربية المشتركة وليس في لهجة واحدة بعينها . تلك العربية التي تمثل مجموع اللهجات العربية والتي دخلتها ألفاظ من لغات الامم الاخرى

---

(٢٦) الوجيز في فقه اللغة : ص ٢٧٠ .

ومن اجل ذلك لا نجد تعارضا بين انكار هؤلاء للترادف في اللغة الواحدة وقولنا بالترادف في العربية المشتركة وذلك لاختلاف المجالين . وقد تنبه حمزة الاصفهاني الى هذه الحقيقة ووجه قول المنكرين للترادف توجيها سديدا حين قال (وينبغي حمل من منع على منعه في لغة واحدة . فأما في لغتين فلا ينكره عاقل)(٢٧) .

على اننا لا ننفي الترادف في اللهجة الواحدة البتة لاننا لا نستبعد وقوع القليل منه بسبب تأثر هذه اللهجة واحتكاكها باللهجات الاخرى من جهة واقتباسها من لغات اجنبية من جهة اخرى اضافة الى ان الفاظ اللهجة الواحدة ليست بنجوة من التطور الدلالي الذي قد يؤدي الى الترادف . والفرق بين الترادف في اللهجة الواحدة عنه في اللغة المشتركة متمثل في قلته في الاولى وكثرته ووضوحه في الثانية .

٥ ـ واذ ينكر هؤلاء الترادف نجدهم يروون طائفة من الالفاظ المختلفة ويذكرون أنها بمعنى واحد . وهو أمر يدعو الى العجب والغرابة لانه يخالف في الظاهر ما ذهبوا اليه . ويدل دلالة واضحة على عجزهم عن بيان الفروق وذكرها في مثل هذه الالفاظ التي يسوقونها بمعنى واحد . واذا جهل القائلون بالفروق ! الفروق بين الالفاظ وعجزوا عن الكشف عنها فما بالك بغيرهم من الناس ؟ ! .

وفي مسلك هؤلاء ـ كما نرى ـ تسليم بالواقع اللغوي وهو مما يعزز مذهب القائلين بالترادف الى حد كبير . واما توجيه المنكرين وتأويلهم له بجهل تلك الفروق وغموض العلل والاسباب علينا وصعوبة استخراجها ومن أن العرب لابد انهم كانوا يعرفونها ، فهي حجة واهية اقرب الى الفرضية المنطقية وعزوف عما يجري بها الواقع اللغوي .

---

(٢٧) المزهر : ١/٤٠٥

ومن هذه الامثلة التي يذكر فيها المنكرون للترادف طائفة من الالفاظ بمعنى واحد : قول ابن الاعرابي (ماء حراق وقعاع بمعنى واحد)(٢٨) . وقوله : (زلعته وسلقته ودثثته وعصرته وهروته وفأوته بمعنى واحد)(٢٩) . كما يذكر ابن الاعرابي جملة اسماء من غير فرق بينها . بقوله (يقال للعمامة هي العمامة ، والمشوذ ، والسب والمقطعة ، والعصابة ، والعصاب ، والتاج ، والمكورة)(٣٠) وهذه الالفاظ الاخيرة من الامثلة التي أوردها السيوطي للترادف . ويذكر ابن الاعرابي من اسماء الداهية : أم الربيس ، والحَوَل ، والخناسير ، والمآود والموائد ، وأذني عناق ، ولا يشير الى أي فرق بينها(٣١) . يزاد على ذلك أننا نجد ابن الاعرابي يفسر اللفظة الواحدة بما يرادفها ويورد عدة ألفاظ مختلفة ثم يفسرها بمعنى واحد كما في قوله (الصلاصل : الفواخت ، واحدها صلصل . وقال في موضع آخر : الصلصلة والعكرمة والسعدانة : الحمامة)(٣٢) . وقوله : (ما عصرك وثبرك وغضبك وشجرك أي ما منعك)(٣٣) . وفي كتابه (البئر) تجد الشيء الكثير من هذا القبيل حيث يذكر عدة أسماء للشيء الواحد من غير فرق بينها ويفسر لفظة بأخرى أو يذكر ألفاظاً مختلفة ثم يفسرها بمعنى واحد . ومن ذلك مثلا قوله : (ويقال لتراب البئر : النجيثة ، والنبيثة ، والنثيلة ، والثلة ، والسفاة)(٣٤) وقوله : (فاذا كانت البئر الى جنبها بئر اخرى تضر بها ، قيل : بئر ضغيط . وبئر مأطورة مثلها)(٣٥) . وقوله : (وبئر نضوض ، وبروض ، ورشوح ، ومكول :

(٢٨) اللسان مادة حرق : ٤٣/١٠

(٢٩) اللسان مادة زلع : ١٤٣/٨ وانظر امثلة اخرى في تهذيب اللغة ٨٠/٤ ، ٤١/٥ ، واللسان مادة حلا : ٦٠/١

(٣٠) المزهر ٤١٠/١

(٣١) اللسان مادة ربس : ٩٤/٦ ، ومادة حول : ١٨٥/١١ ومادة خنسر : ٢٦١/٤ ومادة أود : ٧٤/٣ ــ ٧٥ ، ومادة عنق : ٢٧٦/١٠ .

(٣٢) اللسان مادة صلل : ٣٨٤/١١ .

(٣٣) تهذيب اللغة : ١٩/٢ ، وانظر امثلة اخرى في المصدر نفسه ١٦٨/١ ، ٤٨٣/١ ، ٣٢٢/٣ ، ٣٩/٤ ، ٢٦٢/٥

(٣٤) البئر ص : ٥٧

(٣٥) نفسه : ص ٦٢

وهي التي يجتمع ماؤها قليلا قليلا)[٣٦] . وقوله (والخضرم ، والعيلم : الغزيرة)[٣٧] . وقد دعا هذا الامر الاستاذ كامل سعيد الى القول بأن أبن الاعرابي لم يكن من منكري الترادف مستدلا على ذلك بمثل ما ذكرناه ولان ابن الاعرابي كان يروي الشعر بالمعنى ؛ وحسب من ذهب الى ما يخالف هذا واهما[٣٨] . فوهم هو في ذلك . وهذا حكم مبني على الظاهر اذ أنه يتعارض مع حقيقة قول ابن الاعرابي الذي انكر فيه الترادف صراحة وتابعه في ذلك نفر من القدامى كما مر بنا آنفا . فقد فاته أن ابن الاعرابي يرى أنه لابد من سبب للتسمية ويقول بالعلل والاعتبارات في اطلاق الالفاظ على المسميات . وهذه النظرة تقودنا الى المعاني الاصلية للالفاظ وتؤدي الى القول بالتباين والفروق بين الالفاظ المترادفة . وأنه كان يقول بالعلل المجهولة والفروق الخفية ، وعلى هذا نحمل مسلكه الاخير .

ولم ينفرد ابن الاعرابي بانكار الترادف وذكر الفاظ بمعنى واحد . فمثله تلميذه ثعلب الذي أنكر الترادف ايضا نجده يقول : (ثوب خلق وأخلاق ، وسَمَل وأسمال ، ومزق ، وشبارق ، وطرائق ، وطرايد ، ومشق ، وهبب ، وأهباب ، ومشبرق ، وشمارق ، وخبب وأخباب وخبائب ، وقبائل ، ورعابيل وذعاليب ، وشماطيط ، وشراذم ، وردم ، وهدم ، وأهدام ، وأطمار بمعنى)[٣٩] . ويقول ايضا : (يقال : أزم فلان ، وأطرق ، وأسكت ، وألزم وقرسم ، وبلدم ، وأسبط ، بمعنى ازم)[٤٠] (ويقال : غلام تشنش وشعشع وبلبل وبزْبز ، اذا كان خفيفا في السفر)[٤١] ، ويقول : (الزعيم

(٣٦) نفسه ص ٦٠

(٣٧) نفسه : ص ٦٤ وانظر امثلة اخرى في المصدر نفسه : ص ٥٨ ، ص ٦١

(٣٨) ابن الاعرابي دراسة وتحقيق كتاب النوادر وجمع مروياته ، رسالة ماجستير ، ص ١٤٠ — ١٤٢

(٣٩) مجالس ثعلب : وعنه في المزهر : ١/٤١١

(٤٠) مجالس ثعلب والمزهر : ١/٤١١

(٤١) مجالس ثعلب : ١/١١

والصبير والحميل والاذين والكفيل والاميل ، الذي لا يثبت في سرجه)[٤٢] ، (ويقال : عفا ودرس ومحا وامحى واطرق)[٤٣] وقد اورد السيوطي طائفة مما رواه ثعلب أمثلة للترادف[٤٤] .

ومثلهما في هذا المنحى ابن فارس الذي انكر الترادف متابعا شيخه ثعلبا ، على حين نجده يذكر عدة اسماء للشيء الواحد ويورد الفاظا مختلفة ثم يفسرها بمعنى واحد . ومن ذلك قوله : (هو حسن المعطس والمرسن والراعف اي الانف . وهو جيد المقصل والمقول والمذوذ ، تريد اللسان . وهو حسن الهادي والتليل والابريق ، يريد الجيد ... وهي الاضلاع والحواني والجوانح .. وهي الطبائع والسلائق والنحائت والضرائب)[٤٥] وقوله ايضا : (ويقال للاثر : البلد والندب والحبار)[٤٦] ويذكر ابن فارس من اسماء الشمس : الغزالة وذكاء والمهاة والجونة والبيضاء ، والضح ، ولا يشير الى فرق بينها[٤٧] . كذلك يذكر انه يقال : رجل جائع وغرثان ورجل ساغب وسغبان ، والمسغبة : المجاعة ، والمسحوت : الجائع . والمخمصة : المجاعة)[٤٨] .

ومثل هؤلاء ايضا ابن الانباري اذ نجده ينكر الترادف على شاكلة ابن الاعرابي ، وهو القائل في تقسيمات الالفاظ وانواعها : (والضرب الاخر ان يقع اللفظان المختلفان على المعنى الواحد ، كقولك : البر والحنطة ، والعير والحمار ، والذئب والسيد ، وجلس وقعد ، وذهب ومضى)[٤٩] والطريف في

---

(٤٢) المصدر السابق : ١/٧٧
(٤٣) نفسه : ١/٨٧
(٤٤) المزهر : ١/٤١١ – ٤١٢ وانظر امثلة اخرى في المصدر نفسه : ١/٤١١– ٤١٢ وفي مجالس ثعلب :
(٤٥) متخير الالفاظ لابن فارس : ص٢٣٣ – ٢٣٤ .
(٤٦) المصدر السابق ص ٢٣٥
(٤٧) نفسه ص ١٩٦
(٤٨) متخير الالفاظ لابن فارس : ص ١١٦ – ١١٧ .
(٤٩) الاضداد لابن الانباري : ص ٦ – ٧ والمزهر : ١/٣٩٦ .

هذا الامر ان نجد طائفة من هذه الالفاظ التي اوردها هؤلاء بمعنى واحد ، يستشهد بها القائلون بالترادف على وقوعه ويسوقونها امثلة له . وعلى وجه التحديد ما ذكره ابن الاعرابي من اسماء العمامة وما ذكره ثعلب من الفاظ بمعنى واحد ، وما ذكره ابن فارس من اسماء الطبيعة والدم فنجد هذه الالفاظ نفسها من جملة امثلة الترادف عند ابن جني[٥٠] والسيوطي[٥١] .

وقد يجد الباحث اول وهلة تناقضا بين انكار هؤلاء للترادف وذكرهم الفاظاً بمعنى واحد كما رأينا . ولكن اذا ما علمنا انهم يقولون بالعلل المجهولة والفروق الغامضة والخفية ادركنا سر هذا التناقض ووقفنا على اسبابه .

ولسنا نريد بهذا انكار التباين والفروق بين المترادفات جملة وتفصيلا ، فنقول بالترادف الوضعي في الفاظ اللغة . وذلك ان التباين هو الاصل في معظم المترادفات كما اثبتنا هذا في الفصل الثاني الذي قررنا فيه ان لا أصالة في اكثر المترادفات . ونحن هنا نسلم بما ذهب اليه هؤلاء من القول بالتباين والفروق بحسب الاصل . بيد اننا ننكر عليهم تمسكهم بهذه الفروق والاعتبارات تبعا للاصل والتعويل على الوضع والقول بالعلل والاسباب وانكار الترادف على هذا النحو . ونأخذ عليهم اغفالهم التطور اللغوي الذي هو السبب الرئيسي في حدوث الترادف . أجل لقد « كانت » هذه الالفاظ متباينة بحسب اصلها في اللغة وتبعا لدلالتها القديمة ، بيد ان هذا التباين قد اغفل وتنوسي فيها حتى صارت تستعمل بمعنى واحد . فاذا كان الناس يستعملون الفاظا بمعنى واحد ولا يراعون فيها ذلكم التباين ويجهلون اسباب التسمية وعللها ، واذا كان المنكرون انفسهم يوردون الفاظا بمعنى واحد ولا يشيرون الى فرق بينها ، فما جدوى القول اذن بالفروق الغامضة والعلل الخفية المجهولة ؟ .

ونرى انه كان ينبغي لهؤلاء التسليم بترادف مثل هذه الالفاظ التي تجهل

(٥٠) الخصائص : ١١٤/٢ وما بعدها ؛ ١٢٢/٢ .
(٥١) المزهر : ٤١٠/١ — ٤١٢ .

فيها الفروق او لا يمكن التفرقة بينها .

وخلاصة ما نراه هو تأكيد القول بوقوع الترادف نتيجة التطور اللغوي ، لا الوضع حيثما يمكن اطلاق اسمين او اكثر على مسمى واحد من غير تباين بينها ، « دون اعتبار » لما كانت عليه في الاصل .

بمثل هذا نوجه القول بالفروق وننظر الى حدوث الترادف . ونرى ان نظرة هؤلاء الى اللغة بحسب اصل الوضع هي السبب الرئيسي في انكار الترادف . ولو كان هؤلاء قد اعتبروا بالتطور اللغوي ولم ينظروا تلك النظرة المتطرفة لما انكروا الترادف .

واما القائلون بالترادف من القدامى فيستدلون على مذهبهم بادلة عقلية لا تحيل جواز وقوع الترادف عقلا ، وادلة نقلية تتمثل فيما جاء عن العرب من الفاظ مختلفة بمعنى واحد مما لم يجعله نقلة اللغة محل خلاف . وقد انحى هؤلاء باللائمة على المنكرين وسفهوا حججهم واتهموهم بالتكلف والتعسف وعجبوا من قولهم بمثل هذه الاعتبارات في انكار الترادف فقالوا (والكلام معهم ـ اي مع المنكرين ـ أما في الجواز ، ولا شك فيه ، او في الوقوع اما من لغتين ، وهو ايضا معلوم بالضرورة ، او من لغة واحدة ، كالحنطة والبر والقمح ، وتعسفات الاشتقاقيين لا يشهد لها شبهة فضلا عن حجة)[٥٢] كما احتج اصحاب الترادف : « بأنه لو كان لكل لفظة معنى غير معنى الاخرى لما امكن ان يعبر عن شيء بغير عبارته ، وذلك انا نقول في لا ريب فيه : لا شك فيه ، فلوكان الريب غير الشك لكانت العبارة عن معنى الريب بالشك خطأ ، فلما عبر عن هذا بهذا علم ان المعنى واحد . قالوا : وانما يأتي الشعر[٥٣] بالاسمين المختلفين للمعنى الواحد في مكان واحد تأكيدا ومبالغة كقولهم :

---

(٥٢) المزهر : ٤٠٢/١ .

(٥٣) وفي المزهر الشاعر بدلا من الشعر وهو الارجح : ٤٠٤/١ .

« وهند أتى من دونها النأي والبعد »[٥٤]

قالوا : فالنأي هو البعد . قالوا : وكذلك قول الاخر : عام الحبس والاصر ؛ فان الحبس هو الاصر)[٥٥] .

ومن ردود القائلين بالترادف على المنكرين له ومناقشتهم فيما احتجوا به ، ما قاله الامدي : (ذهب شذوذ من الناس الى امتناع وقوع الترادف في اللغة ، مصيرا منهم الى ان الاصل عند تعدد الاسماء تعدد المسميات ، واختصاص كل اسم بمسمى غير مسمى الاخر .. وجوابه ان يقال لا سبيل الى انكار الجواز العقلي ؛ فانه لا يمتنع عقلا ان يضع احد لفظين على مسمى واحد ، ثم يتفق الكل عليه . او ان تضع احدى القبيلتين احد الاسمين على مسمى ، وتضع الاخرى له اسما آخر ، من غير شعور كل قبيلة بوضع الاخرى ، ثم يشيع الوضعان بعد ذلك . كيف وان ذلك جائز بل واقع ؛ بالنظر الى لغتين ضرورة فكان جائزا بالنظر الى قبيلتين)[٥٦] وبعد أن أفاض الامدي في ذكر الحجج الكثيرة على وقوع الترادف وبيان فوائده ومناقشة المنكرين قال : (ثم الدليل على وقوع الترادف في اللغة ؛ ما نقل عن العرب من قولهم : الصهلب والشوذب، من اسماء الطويل ؛ والبهتر والبحتر من اسماء القصير ؛ الى غير ذلك . ولا دليل على امتناع ذلك حتى يتبع ما يقوله من يتعسف في هذا الباب في بيان اختلاف المدلولات . لكنه ربما خفي بعض الالفاظ المترادفة وظهر البعض فيجعل الاشهر بيانا للاخفى ، وهو الحد اللفظي)[٥٧] ويبدو من قول اصحاب الترادف وبيانهم طبيعة وقوعه انهم ينظرون الى اللغة على أنها تواطؤ واصطلاح .

---

(٥٤) هو عجز بيت للحطيئة وصدره : الا حبذا هند وارض بها هند .
انظر اللسان مادة نأى ١٥/٣٠٠ والديوان : ص .

(٥٥) الصاحبي : ص ٩٧ ، والمزهر : ١/٤٠٤ وحول الفرق بين النأى والبعد انظر ؛ الفروق اللغوية : ص ١١ .

(٥٦) الاحكام في اصول الاحكام : ١/٣٠-٣٢ .

(٥٧) الاحكام في اصول الاحكام ١/٣٢ - ٣٣ .

وهذا ما يشعر به تفسيرهم للترادف بتعدد الوضع ، سواء كان من واضع واحد او كان من واضعين على سبيل اختلاف القبائل • بل تجد منهم من يفسر الترادف بتعدد الوضع ويقول صراحة : (وهذا مبني على كون اللغات اصطلاحية)[٥٨] ونلمح في هذا ردا على من انكر الترادف بحجة ان اللغة توقيف والهام وان واضعها عز وجل حكيم عليم لا يجوز ان يضع اكثر من لفظ واحد على معنى واحد •

واما قول المنكرين بان الترادف تكثير للغة بما لا فائدة فيه ، فأن اصحاب الترادف قد دفعوا هذا بما ذكروه له من فوائد جمة ، فقالوا ان من شأنه ان تكثر الوسائل الى الاخبار عما في النفس والتفنن في التعبير ، « فأنه ربما نسي احد اللفظين او عسر عليه النطق به » كما هي الحال بالنسبة للالثغ الذي « لولا المترادفات تعينه على قصده لما قدر على ذلك » • ومنها تأكيد المعنى دون تكرار معيب للفظ بعينه • وقالوا ان من شأن الترادف « التوسع في سلوك طرق الفصاحة واساليب البلاغة في النظم والنثر » ، وذلك من حيث الوزن والقافية وتأتي السجع والتجنيس والترصيع وغير ذلك من اصناف البديع • وقد يكون الترادف شرحا للغامض وبيانا للخفي من الالفاظ وهو ما يسمى عند المتكلمين بالتحديدات او التعريف اللفظي[٥٩] •

وقد اسهب القائلون بالترادف كثيرا في جدلهم مع المنكرين والرد عليهم من أجل نقض حججهم المنطقية والعقلية واثبات الترادف بشتى السبل ومختلف الادلة ، الى الحد الذي قرر فيه بعضهم ان الترادف واقع في اللغة ولا معنى لاقامة البرهان على جوازه وان الاشتغال باثبات هذا ودفعه عبث ، لتحقق وقوعه كالبر والقمح والحنطة ، والاسد والليث والغضنفر ، والقعود والجلوس ، وغير هذا مما لم يكن موضع خلاف لدى نقلة اللغة • والعقل لا يحيل جواز الوقوع ، والواقع يؤيد الوقوع • وقالوا ان المانعين لم يأتوا

---

(٥٨) المزهر : ٤٠٦/١ •

(٥٩) المزهر ٤٠٦/١ •

بحجة مقبولة في مقابلة ماهو معلوم بالضرورة من وقوع الترادف في لغة العرب.
واما قولهم ان ما يظن انه من الترادف هو من اختلاف الذات والصفة كالانسان والبشر او الصفات كالخمر لتغطية العقل والعقار لعقره او لمعاقرته او اختلاف الحالة السابقة كالقعود من القيام والجلوس من الاضطجاع، فتكلف ظاهر وتعسف بحت ، وهو وان امكن تكلف مثله في بعض المواد المترادفة فانه لا يمكن في اكثرها . ولهذا جعل هؤلاء انكار الترادف مكابرة ومباهتة متعجبين من نسبة المنع من الوقوع الى مثل ثعلب وابن فارس مع توسعهما في هذا العلم ؛ وهذا ما ذكرناه في الفصل الاول فيما يتعلق بموقف اهل الاصول من الترادف(٦٠) .

ويتضح لنا من هذا كله ان القائلين بالترادف وخاصة الاصوليين والفقهاء منهم قد جنحوا كثيرا الى المنطق والعقل من اجل اثبات الترادف وتاكيد القول بوقوعه، كما لاحظنا هذا على منهج المنكرين المتمثل في تعويلهم على ذلك المسلك الجدلي الكلامي من أجل نفي الترادف. ولعلنا لانبالغ اذا قلنا ان هذا الخلاف الطويل في وقوع الترادف والجدل الكثير فيه مبعثه النظرة الوضعية الى دلالة الالفاظ في اللغة وتحكيم العقل والمنطق والحكمة في ذلك . فالمنكرون يرون ان الترادف هو بخلاف الاصل وان القول به مما يفوت حكمة الوضع ويحسبونه مما يشوه اللغة ويوقع فيها اللبس والابهام . وقد عز عليهم ان يترادف لفظان او اكثر على معنى واحد ؛ فراحوا يلتمسون شتى السبل لنفيه ودفع وقوعه لكونه ضربا من العبث تجل عنه هذه اللغة او تكثير لها بما لا فائدة فيه . والمؤيدون يرون ان العرب قد تواضعوا عليه ليدلوا على اتساعهم في هذه اللغة وتفننهم في طرائق التعبير ، ويستدلون على وقوعه بالوضع والعقل معددين له الفوائد الكثيرة في الشعر والنثر . وقد بالغوا في وقوعه واسرفوا في الاعتزاز به حتى جعلوه مفخرة للعربية ومأثرة من مآثرها لا تضاهيها في ذلك لغة من اللغات .

---

(٦٠) انظر ص من هذه الرسالة .

ونرى في هذا الخلاف ان الفريقين قد اغفلا مبدأ التطور الدلالي وتجاهلا حقيقة الاستعمال في نظرهم الى وقوع الترادف او انكاره تبعا للوضع وفي ضوء العقل والمنطق ، بدلا من الاحتكام الى الواقع اللغوي وما يجرى به الاستعمال وهو ما ينبغي التعويل عليه في مثل هذا الامر ، فنقول ان الترادف واقع في اللغة تبعا للاستعمال ولا سبيل الى انكاره على هذا الوجه ؛ وذلك بغض النظر عن اصل الوضع وعما يوجبه العقل والمنطق والقياس والحكمة وغير ذلك من الاعتبارات في جوازه وانكاره ، فاللغة كما ذكرنا لها منطقها الخاص وطبيعتها المتميزة ولهذا لا يصح الحكم على هذه الظاهرة في ضوء هذه الاعتبارات ، وانما مرد ذلك الى الاستعمال وحده ، فاذا كان الناس في سلوكهم اللغوي يستعملون الفاظا بمعنى واحد ؛ ولم نستطع ان نتبين اي فرق واضح فيها حكمنا على مثل هذه الالفاظ بالترادف دون اعتبار بما كانت عليه من تباين في السابق ومن غير ادعاء الترادف الوضعي فيها ، فقد تكون ثمة الفاظ قد ترادفت وضعا وهو القليل وقد تكون ثمة الفاظ متباينة ثم عملت الظروف اللغوية على زوال الفروق بينها حتى صارت مترادفة بسبب التطور في الاستعمال وهو الغالب في المترادفات .

وفي كلتا الحالتين لابد من التعويل على الواقع اللغوي واعتماد الاستعمال عند القول بترادف الالفاظ ؛ حيث نجد في اللغة كثيرا من النصوص والشواهد التي تدل بوضوح على ان الحس اللغوي العام كان يسوى بين لفظتين او اكثر من حيث الدلالة ولا يفرق بينها وان العربي كان يعرف في احيان كثيرة عدة الفاظ للمسمى الواحد ويوقعها بمساواة منه على معنى واحد ، ومن أمثلة ذلك (قال ابو زيد : قلت لأعرابي ما المحبنطيء ؟ قال : المتكاكيء ، قلت : وما المتكاكي ؟ قال : المتآزف قلت وما المتآزف ؟ قال : انت احمق وتركني وذلك كله التصير)[61] وحكي عن المازني انه قال : (سمعت ابا سرار الغنوي يقرأ : « واذ قتلتم نسمة فادراتم فيها »[62] فقلت له : انما هي

---

(٦١) اخبار النحويين : ٤٤ ونزهة الالباء : ١٠٢ والمزهر ٤١٣/١ .

(٦٢) سورة البقرة اية ٧٢ .

نفس ، فقال : النسمة والنفس واحد)[٦٣] ونجد عبدالله بن عباس (رض) في اجوبته عن مسائل نافع بن الازرق يفسر اللفظة بالاخرى من غير فرق بينهما ويستدل عليها بما جاء في شعر العرب . (قال نافع : يا ابن عباس اخبرني عن قول الله عزوجل : « وابتغوا اليه الوسيلة »[٦٤] قال : الحاجة : قال : او تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم اما سمعت عنترة العبسي وهو يقول[٦٥] :

ان الرجال لهم اليك وسيلة ان ياخذوك تكحلي وتخضبي

قال : يا ابن عباس اخبرني عن قول الله عزوجل « وحنانا من لدنا »[٦٦] قال : رحمة من عندنا ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم ، اما سمعت طرفة بن العبد وهو يقول :

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا
حنانيك بعض الشر أهون من بعض)[٦٧]

وعلى هذا النحو يجرى ابن عباس في شرح مفردات القرآن الكريم التي سئل عن معانيها وتوضيحها ، فيفسر الفوم بالحنطة [٦٨] . والفينا بوجدنا[٦٩] ، والاياب بالمرجع[٧٠] ، والاجداث بالقبور[٧١] ، وجما بكثير[٧٢] ، والريب بالشك[٧٣] . وقد يذكر أكثر من لفظ واحد للمعنى الواحد كما في قوله :

---

(٦٣) امالي القالي : ٧٨/٢ . والمزهر : ٤١٢/١ .
(٦٤) سورة المائدة اية ٣٥ .
(٦٥) الديوان ص .
(٦٦) سورة مريم آية ١٣
(٦٧) سؤالات نافع بن الازرق الى عبدالله بن عباس : ص ٩ ـ ١٠ وينظر البيت في الديوان ص :
(٦٨) نفسه : ص ١٤ .
(٦٩) نفسه : ص ٢٠ .
(٧٠) نفسه : ص ٣٤ .
(٧١) نفسه : ص ٤٦ .
(٧٢) نفسه : ص ٥٦ .
(٧٣) نفسه : ص ٥٨ .

(الحمأ السوداء وهو الثأط أيضا)[٧٤] وقد يعزو أحيانا بعض الالفاظ الى اصحابها ما وقع في القرآن الكريم من لغات القبائل كما في قوله أن بورا هلكى بلغة عمان وهم من اليمن[٧٥] . وأن يلتكم ينقصكم بلغة بني عبس[٧٦] .

فلو كانت هناك فروق بين هذه الالفاظ لما فسر ابن عباس اللفظة القرآنية بما يرادفها ولكان منهجه في هذا التفسير خطأ او غير دقيق . ولو لم تكن في اللغة ألفاظ تدل على معنى واحد لما جوز العلماء رواية الحديث النبوي الشريف بالمعنى وسمحوا بذلك البتة نظرا لما ينتج عنه من اختلاف في القصد وما يترتب على ذلك من امور جسيمة في الفقه وأحكام التشريع . وكثير من الاحاديث مروية بمعانيها لا بالفاظها . قال سفيان الثوري : (إن قلت لكم اني احدثكم كما سمعت فلا تصدقوني ، انما هو المعنى)[٧٧] .

ويفهم من هذه النصوص والشواهد ان الاستعمال يسوى بين لفظتين او اكثر من حيث الدلالة من غير أن يلحظ فيه ما يشير الى فرق بينهما ، كما في ذكرهم الفاظا عدة للمعنى الواحد وفي تفسير اللفظة بما يقابلها من حيث الدلالة على سبيل الترادف . ونرى في مثل هذا المسلك ان الحس اللغوي لم يكن يفرق بين هذه الالفاظ وانما يراها شيئا واحدا . هذه النظرة التي يعززها الاستعمال ويؤيدها الواقع اللغوي هي ما نعتمده اساسا للقول بوقوع الترادف في اللغة ، دون اعتبار باصل الوضع ولا تعويل على الاسباب والعلل وما يوجبه العقل والمنطق . فهذه النظرة أقرب الى طبيعة اللغة والصق بحقيقة الاستعمال .

لقد وجدت أن اكثر اللغويين القدامى يقولون بالترادف ، وهذا ما

---

(٧٤) نفسه : ص ١٧ .
(٧٥) نفسه : ص ٤٥ .
(٧٦) نفسه : ص ٤٩ .
(٧٧) خزانة الادب : ١/٥ .

أشار اليه ابن درستويه[٧٨] والعسكري[٧٩] . كما ذهب جمهور غفير من الاصوليين والفقهاء والمناطقة الى اثباته . والواقع اللغوي والاستعمال كثيراً ما يدعم نظرة هؤلاء ويعزز مذهبهم حيث نرى الناس يستعملون الفاظا بمعنى واحد ولا يأبهون لتلك الاعتبارات والفروق ، ولا تنصرف اذهانهم الى تلك العلل والاسباب التي احتج بها المنكرون . ولعل هذه من اقوى الحجج على وقوع الترادف . بيد ان القائلين بالترادف قد تجاهلوا تطور الدلالة ولم يعتبروا به ، فتجدهم يروون الكثرة من المترادفات وكأنها مترادفة في اصل الوضع اللغوي . والحال أن أغلب المترادفات الاصل فيها التباين ثم ترادفت بسبب التطور الدلالي على ما بينا . وادعاء الترادف الوضعي في الكثير من الالفاظ أمر يدحضه البحث اللغوي التأريخي كما اثبتنا سابقا . ويؤخذ على أصحاب الترادف ايضا مبالغتهم في وقوعه واسرافهم فيه اذ تسامحوا فيه كثيرا فعدوا طوائف من الالفاظ المتقاربة مترادفة وتوهموا الترادف في أخرى وهي ليست من الترادف في شيء . وسيأتي بيان هذا بالتفصيل في الفصل الذي عقدناه لدراسة كثرة الترادف في العربية .

ولما كنا قد اثبتنا اسماء المنكرين للترادف ، فلعل من المفيد هنا ان نذكر أشهر اللغويين القائلين به . ومن هؤلاء ابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) وابو بكر الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ) والرماني (ت ٣٨٤ هـ) وابن جني (ت ٣٩٢ هـ) والباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) وابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) وحمزة الاصفهاني (ت ٤٦٠ هـ) والفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ) والسيوطي (ت ٩١١ هـ) وغيرهم .

وقد عد كل من الدكتور ابراهيم أنيس[٨٠] والدكتور رمضان عبد التواب[٨١] ، والدكتور حسن ظاظا[٨٢] والدكتور صبحي الصالح[٨٣]

(٧٨) تصحيح الفصيح : القسم الثاني ص ٢٢٢ والمزهر : ١/٣٨٤ .
(٧٩) الفروق اللغوية : ص ١٣ .
(٨٠) في اللهجات العربية : ص ١٦٣ .
(٨١) فصول في فقة العربية ص ٢٧٤ — ٢٧٥ .
(٨٢) كلام العرب : ص ١٠٢ .
(٨٣) دراسات في فقة اللغة : ص ٢٤٢ .

والاستاذ محمد الانطاكي[٨٤] أبا علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) من منكري الترادف مستدلين على ذلك بحواره مع ابن خالويه الذي انكر فيه ان يكون الحسام والصارم والمهند أسماء للسيف ، وانما هي صفات له •

وقد وهموا في هذا ؛ اذ أن مجرد انكار صفات المسمى أن تكون اسماء له ليس مدعاة لانكار الترادف ونحن نجد غير الفارسي ممن اعتدلوا في مذهبهم قد اعترفوا بالترادف صراحة وأخرجوا منه هذه الالفاظ وعدوها صفات للسيف كابن الاثير[٨٥] والامام فخرالدين الرازي[٨٦] وعليه الجمهور من أهل الفقه والاصول[٨٧] أضف الى ذلك ان ابن جني حين عرض للترادف وضرب الامثلة له كان قد تمثل بما ذكره استاذه الفارسي من اسماء السحاب والحاجة واستشهد بها امثلة للترادف[٨٨] وقد نص في نهاية باب الترادف بقوله : (وكان أبو علي رحمه الله يستحسن هذا الموضع جدا ، وينبه عليه ، ويسر بما يحضره خاطره منه)[٨٩] •

والذي نخلص اليه هو تأكيد القول بوقوع الترادف لا لأن اكثر اللغويين يذهبون الى ذلك بل لأنه أمر واقع تؤيده النصوص والشواهد الكثيرة ويشهد به الاستعمال • واما كثرة الترادف فتلك مسألة اخرى •

---

(٨٤) الوجيز في فقة اللغة : ص ٣٨٢ •
(٨٥) المرصع : ص ٢٥٢ •
(٨٦) المزهر : ١/٤٠٢ •
(٨٧) انظر من   من هذه الرسالة •
(٨٨) الخصائص : ٢/١٢٦ – ١٢٧ •
(٨٩) المصدر السابق : ٢/١٣٣ •

دراسة في بعض كتب الفروق اللغوية :

ثمة الفاظ كثيرة في العربية تتقارب معانيها ، وتتشابه دلالاتها ، وقد كان هذا التشابه في الدلالات والتقارب في المعاني ملحوظا لدى العرب الاقدمين بيد انه بمرور الزمن وطول العهد ، ولكثرة الاستعمال تطورت دلالة هذه الالفاظ واصبح الناس يستعملونها بمعنى واحد غير مكترثين بما بينها من فروق دقيقة ، ولا مراعين التباين فيها بحسب أصلها في اللغة ، اهمالا لها او جهلا بها ، فكان أن ترادفت الفاظ عدة على معنى واحد نتيجة التطور في الاستعمال .

وحين أشكل الفرق بين هذه الالفاظ واختلطت معانيها ، وصارت مترادفة في الاستعمال ، هال الامر بعض علماء العربية ، فعدوا ذلك ضربا من الفساد اللغوي واللحن المستكره ، فتأهبوا للوقوف بوجه هذا التيار ، يستنكرونه ويصوبونه ، حرصا منهم على تنقية اللغة وحفاظا على اصالتها وسلامتها ، محتجين بدلالات الالفاظ القديمة ، ومعولين على ما ذكره الاقدمون من اللغويين وما ورد عن العرب الفصحاء ابان عصور الاحتجاج . وقد نسبوا هذا التغير الدلالي الى التأخر والجهل وما اصاب الثقافة اللغوية من ضعف وانحطاط .

ومن أجل هذا صنفوا ابوابا وكتبا في الفروق راجعين باللغة والالفاظ الى ما كانت عليه من دلالات قديمة . وكأنهم بهذا جعلوا الدلالة مسألة نقلية متواترة يأخذها جيل بعد جيل ، ويتناقلها الخلف عن السلف . ومن هنا كانت ظاهرة التاليف في الفروق رفضا للجديد في الدلالة ، وتصويبا لما عدوه لحنا في لغة الناس ، واحياء لما بين الالفاظ من فروق دقيقة تبعا للدلالة الاصلية .

ان مسألة الفروق والعناية بها على هذه الشاكلة ، كانت متأخرة في اللغة ، اذ جاءت نتيجة استعمال الناس لألفاظ كثيرة بمعنى واحد ، واغفالهم لما فيها

من تباين . مما دعا بعض اللغويين الى التأليف فيها والتنبيه عليها ، وهذا ما نجده واضحا عند ابن قتيبة ، الذي أفرد لها في كتابه « ادب الكاتب » بابا خاصا سماه « باب معرفة ما يضعه الناس غير موضعه »[٩٠] وصرح في مقدمة كتابه بان هذه الظاهرة هي التي دعته الى التصنيف في هذا الامر خشية انه يذهب رسمه ويعفو اثره[٩١] . وقد اعترف ان الناس في عصره لم يعودوا يفرقون بين جملة من الالفاظ ويستعملونها بمعنى واحد . وقد عزا ذلك الى الجهل باللغة واسرارها . ومن امثلة ما اورده في هذا الباب قوله : (ومن ذلك الخائن والسارق ، لا يكاد الناس يفرقون بينهما ، والخائن هو الذي اوتمن فاخذ فخان ... والسارق من سرقك سرا بأي وجه كان ، يقال : كل خائن سارق ، وليس كل سارق خائنا)[٩٢] . وقوله (ومن ذلك البخيل ، واللئيم ، يذهب الناس الى انهما سواء ، وليس كذلك انما البخيل الشحيح الضنين ، واللئيم الذي جمع الشح ومهانة النفس ، ودناءة الآباء ، يقال كل لئيم بخيل وليس كل بخيل لئيما)[٩٣] . وقوله : (ومن ذلك الحشمة يضعها الناس موضع الاستحياء ، قال الاصمعي ، وليس كذلك ، انما هي بمعنى الغضب ، وحكي عن بعض فصحاء العرب ان ذلك لما يحشم بني فلان أي يغضبهم)[٩٤] .

وعلى هذا النحو يستطرد ابن قتيبة في ذكر الفروق بين طائفة من الالفاظ المتقاربة في المعنى وذلك تبعا لدلالاتها الاصلية في اللغة ، حين لاحظ أن الناس يستعملونها بمعنى واحد ، كالظل والفيء ، والآل والسراب ، والعترة والذرية ، والخلف والكذب ، والحمد والشكر ، وما الى ذلك . وهو ما

---

(٩٠) ادب الكاتب : ص ٢١ .
(٩١) نفسه : ص ٩.
(٩٢) نفسه : ص ٣٥ .
(٩٣) نفسه : ص ٣٦ .
(٩٤) ادب الكاتب : ص ٢٢ .

فصلنا القول فيه عند تناولنا تفسير الترادف بسبب التطور الدلالي في الفصل الثاني .

وقد حذا ابو هلال العسكري حذو ابن قتيبة في هذا الامر من حيث الدافع والغاية والمنهج في التاليف ، فخصه بكتاب مستقل . على ان العسكري كان قليل الاستشهاد بالنصوص اللغوية على الفروق ، ولم يعز الفروق الى قائليها في الغالب كما سنبين ذلك .

وسنتناول هنا فروق العسكري بالدرس والتحليل لاهميتها وتعويل كثير من الباحثين عليها . وقد خلصنا بعد التامل وانعام النظر فيها الى جملة امور توضح الغاية من تأليفه ، وترسم المنهج الذي سلكه ، وتبين طبيعة تلك الفروق وتتمثل هذه الامور بما يأتي :

١ ـ كانت الغاية من تاليف العسكري لكتابه كما كانت عند ابن قتيبة تفريقا بين الالفاظ التي كانت متقاربة المعنى في الاصل ، ثم اشكل الفرق بينها واختلطت دلالاتها حتى تنوسيت الفروق بينها واصبح الناس يستعملونها بمعنى واحد وهذا هو السبب الذي دفع العسكري الى التصنيف في هذا الضرب من الالفاظ كما صرح في مقدمة كتابه قائلا : (اني ما رأيت نوعا من العلوم وفنا من الاداب الا وقد صنف فيه كتب تجمع اطرافه وتنظم اصنافه الا الكلام في الفرق بين معان تقاربت حتى اشكل الفرق بينها ، نحو العلم والمعرفة ، والفطنة والذكاء ، والارادة والمشيئة ، والغضب والسخط ..)[٩٥] .

٢ ـ اعتمد العسكري ، كما ذكر في مقدمته ، اسسا في تفريقه بين الالفاظ تتمثل في تعويله على اعتبارات مختلفة في النظر الى الدلالات بغية التفريق تبعا لامور ، وتتلخص في اختلاف ما يستعمل عليه اللفظان اللذان يراد الفرق بين معنييهما، او في اعتبار صفات المعنيين اللذين يطلب الفرق بينهما ، او في اعتبار ما يؤول اليه ، المعنيان ، او في اعتبار الحروف التي تعدى بها الافعال ،

(٩٥) الفروق اللغوية : ص ٧ .

او في اعتبار النقيض ؛ او في اعتبار الاشتقاق ؛ او فيما توجبه صيغة اللفظ من الفرق بينه وبين ما يقاربه ؛ او في اعتبار حقيقة اللفظين او احدهما في اصل اللغة[٩٦] .

وواضح من هذه الاعتبارات ان العسكري قد عول كثيرا على الدلالة الاصلية للالفاظ ؛ مهتديا الى ذلك بالاشتقاق ؛ واصل الوضع وأمور أخرى . كما تجاوز الدلالة اللغوية الى اعتبارات اخرى نحوية وصرفية ومنطقية وعقلية .

٣ ـ قسم العسكري كتابه على ثلاثين بابا احتوى كل باب طائفة من الالفاظ المتقاربة المعنى في موضوع معين ، فكان يذكر الفروق بين هذه الالفاظ تبعا لدلالتها الاصلية في اللغة ويشير من بعد ذلك في احيان كثيرة الى التوسع الذي حدث في استعمالها ، وان تلك الالفاظ صارت تدل على معنى واحد او ان الكلمة صارت توضع موضع الاخرى . وربما تجاوز العسكري هذا الى توجيه هذا التوسع توجيها سديدا .

وقد احصيت اكثر من خمسين ومائة استعمال من الالفاظ التي كانت متقاربة في معانيها ثم تطورت دلالتها حتى خفي الفرق بينها ، وصارت تستعمل بمعنى واحد . فراح العسكري يفرق بينها بمقتضى اصلها في اللغة ويشير الى التوسع فيها واستعمالها بمعنى . ومن امثلة ذلك قوله في الفرق بين الحنين والاشتياق ان : (اصل الحنين في اللغة هو صوت من اصوات الابل ، تحدثها اذا اشتاقت الى اوطانها ، ثم كثر ذلك حتى اجرى اسم كل واحد منهما على الاخر ، كما يجرى على السبب وعلى المسبب اسم السبب)[٩٧] . وقوله في الفرق بين الظن والحسبان ان : (اصل الحسبان من الحساب ، تقول احسبه بالظن قد مات كما تقول اعده قد مات ، ثم كثر حتى سمي الظن حسبانا على جهة التوسع وصار كالحقيقة بعد كثرة الاستعمال)[٩٨] . وقوله في الفرق بين التخلية

---

(٩٦) نفسه : ص ١٤ .
(٩٧) الفروق اللغوية : ص ١٦ .
(٩٨) نفسه : ص ٧٩ ـ ٨٠ .

والاطلاق أن : (الاطلاق عند الفقهاء كالاذن الا ان اصل الاذن ان يكـون ابتداء والاطلاق لا يكون الا بعد نهي ؛ ثم كثر حتى استعمل احدهما في موضع الاخر)[٩٩] . وقوله في الفرق بين الرد والرجع (انه يجوز ان ترجعه من غير كراهة له قال الله تعالى : « فان رجَعَكَ الله الى طائفة منهم »[١٠٠] ولا يجوز ان ترده الا اذا كرهت حاله ؛ ولهذا يسمى البَهْرَج ردا ولم يسم رجعا . هذا اصله ثم ربما استعملت احدى الكلمتين موضع الاخرى لقرب معناهما)[١٠١] . وبعد ان فرق العسكري بين المجاورة والاجتماع بحسب اصلهما في اللغة قال : (ثم استعملت المجاورة في موضع الاجتماع مجازا ثم كثر ذلك حتى صار كالحقيقة)[١٠٢].وقوله في الفرق بين الاصطفاء والاختيار: (ان اختيارك الشيء اخذك خير ما فيه في الحقيقة أو خيره عندك والاصطفاء اخذ ما يصفو منه ؛ ثم كثر حتى استعمل احدهما موضع الآخر ؛ واستعمل الاصطفاء فيما لا صفو له على الحقيقة)[١٠٣] وقوله في الفرق بين الالتماس والطلب : (ان الالتماس طلب باللمس ؛ ثم سمي كل طلب التماسا مجازا)[١٠٤]. وقوله في الفرق بين المضي والذهاب : (ان المضي خلاف الاستقبال ولذا يقال ماض ومستقبل ؛ وليس كذلك الذهاب، ثم كثر حتى استعمل احدهما في موضع الاخر[١٠٥]) . وقوله في الفرق بين اتى وجاء (ان قولك جاء فلان كلام تام لا يحتاج الى صلة ؛ وقولك اتى فلان يقتضي مجيئه بشيء ؛ ولهذا يقال جاء فلان نفسه ولا يقال اتى فلان نفسه ؛ ثم كثر ذلك حتى استعمل احد اللفظين في موضع الاخر)[١٠٦] .

---

(٩٩) الفروق اللغوية : ص ٩١

(١٠٠) سورة التوبة آية ٨٣

(١٠١) الفروق اللغوية : ص ٩٢

(١٠٢) نفسه : ص ١٢٢

(١٠٣) نفسه : ص ٢٣٦

(١٠٤)نفسه : ص ٢٣٩

(١٠٥) نفسه : ٢٥٢

(١٠٦) نفسه : ص ٢٥٥

وعلى هذا النحو يجري العسكري في مجمل الفروق التي ذكرها بين الالفاظ ويبدو انه معتدل في هذه المسألة قياسا الى ابن قتيبة الذي ذكـــر الفروق بين الالفاظ المتقاربة تبعا لاصلها وعد استعمالها بخلاف ذلك لحنا او خطأ ، على حين نجد العسكري يفرق بينها بحسب الاصل ايضا ولكنه يشير من بعد ذلك الى التوسع في معانيها لكثرة الاستعمال ، ولا يعـده خطـأ صراحة .

ـ لم يقتصر العسكري على فرق واحد بين اللفظتين احيانا اذ نجده يذكر عدة فروق بينهما ، وربما ذكر فرقا ثم نفاه أو استضعفه ، واثبت فرقا آخر ، وقد يذكر عدة فروق ويرجح احدها على سواها[١٠٧] وهذا يدل على أن ليست جميع الفروق التي ذكرها موضع اتفاق حتى عند المفرقين أنفسهم .

د ـ اولى العسكري عناية كبيرة بذكر الفروق بين الفاظ المتكلمين ومصطلحات المناطقة والفقهاء . وقد اشار الى هذا الامر في مقدمة كتابه[١٠٨] . وطبيعة الالفاظ التي فرق بينها تدل على ذلك نحو : الاسم والحد ، والحد والحقيقة ، والحد والرسم ، والحقيقة والذات ، والمتكلم والكلماتي ، والمحال والممتنع ، والمحال والمتناقض ، والتضاد والتناقض ، والتنافي والتضاد ، والدلالة والدليل والاستدلال ، والعلة والدلالة ، والعلة والسبب والشرط ، والقياس والاجتهاد . والحياة والروح ، والروح والمهجة والنفس والذات ، والقديم والعتيق والباقي والدائم ، والفرد والواحد والوحدانية ، والواحد والوحيد والوحدة والوحدانية وما الى ذلك[١٠٩] .

وكثيرا ما يتمثل باقوال المتكلمين والفلاسفة والفقهاء وآرائهم في فروقه ،

---

(١٠٧) تنظر امثلة ذلك في الصفحات

(١٠٨) الفروق اللغوية : ص ٧

(١٠٩) نفسه : الصفحات : ٢٠ـ٢١ ، ٢٤ ، ٣١ ـ ٣٢ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٨٢ـ٨٣ ، ٩٤ ، ١١٤ ، ٢٠٤ ، ٢٤٣ .

وقد يذكر احيانا اقوال الاطباء في التفرقة بين بعض الالفاظ التي تناولها[110] .
وبهذا يكون العسكري قد تجاوز كثيرا في فروقه الدلالة اللغوية الى غيرها مما يراه اصحاب المنطق واهل الفقه والطب . ولا غرو ان يفرق هؤلاء بين الفاظهم ومصطلحاتهم الخاصة تبعا لنظرتهم وطبيعة علومهم ، التي لابد فيها من تحديد الدلالة ودقتها ، ولكن يبدو لنا ان من غير المناسب اقحام ذلك في كتاب اسمه « الفروق اللغوية » .

٦ ـ كانت فروق العسكري تتسم بقلة الشواهد اللغوية ، أو يخلو بعضها من الشواهد البتة وغالبا ما كان يهمل عزو تلك الشواهد الى اصحابها[111] . خلافا لابن قتيبة الذي عزز فروقه بالشواهد الكثيرة ونسبها الى قائليها مع ذكر من قال بالفروق من اللغويين الاقدمين .

٧ ـ يلاحظ على طائفة من فروق العسكري انها مشوبة بطابع المنطق ويبدو عليها اثر النزعة الكلامية والمحاكمة العقلية ، حتى ان دارس كتابه لا يكاد يفهم احيانا فرقا بينا بين ما أورده من الفاظ وذلك كتفرقته بين السنة والعام ، والكل والجمع .

٨ ـ فرق العسكري بين الفاظ لا يحتاج في مثلها الى تفريق ، فهي ليست موضع خلاف او اشكال ، ولم تختلط دلالتها فالفرق بينها واضح ، وهو اشهر من ان يستدل عليه ، وذلك نحو ، الحين والزمان ، والصفة والحال ، والكذب والمحال ، والفقر والاعدام ، والعلم والتقليد ، والعلم والظن ، والارادة والمحبة ، الاستثناء والعطف ، والدهر والمدة[112] .

٩ ـ استثنى العسكري من التفرقة الفاظا مما كانت من لغتين ، سواء كانت لغات قبائل عربية « لهجات » ام عربية واعجمية ، وذلك نحو القدر

(١١٠) الفروق اللغوية : ص ٨٢ـ٨٣ .
(١١١) تنظر امثلة ذلك في الصفحات :
(١١٢) الفروق اللغوية : ص

بالبصرية والبرمة بالمكية ، والله بالعربية وآزر بالفارسية[١١٣] ، مما يدل على أنه غير منكر للترادف اذا وقع من لغات مختلفة .

١٠ ـ نلاحظ في فروق العسكري شيئا من التعسف والتكلف ومحاولته التماس الفروق حتى وان كانت ضعيفة او ليست بثبت . ويبدو هذا الامر واضحا في طائفة من الالفاظ التي لم يستطع التفرقة بينها ، او وجد صعوبة فيها . كما يبدو هذا ايضا في تردده في القول بالفروق بين جملة من الالفاظ وتجويزه لان تكون بمعنى واحد على الرغم مما ذكره من فروق بينها ، كما في تفرقته بين النعت والصفة ، والختم والرسم ، والسنة والعام ، والكل والجميع[١١٤] . ويبدو تكلف العسكري في التفرقة بين جملة الفاظ من غير ان يذكر شواهد تؤكد صحتها ، على حين نجد ان هذه الالفاظ التي فرق بينها قد وردت في المعجمات وكتب اللغة بمعنى واحد . فمثلا يفرق العسكري بين المشيئة والارادة تفريقا غامضا[١١٥] . وفي اللسان : (المشيئة : الارادة)[١١٦] ويفرق العسكري بين النبأ والخبر بكلام طويل[١١٧] ، وفي اللسان : (النبأ : الخبر ، والجمع أنباء ، وان لفلان نبأ أي خبرا ... وقد أنبأه اياه وبه ، وكذلك نبأه ، متعدية بحرف وغير حرف ، أي أخبر)[١١٨] . كما يفرق العسكري بين النأي والبعد[١١٩] وفي اللسان : (النأي : البعد . نأى ينأى : بعد ، بوزن نعى ينعى : ونأوت : بعدت ، لغة في نأيت ... والعرب تقول : نأى فلان عني ينأى اذا بعد)[١٢٠] .

---

(١١٣) نفسه : ص ١٦
(١١٤) نفسه : ص
(١١٥) نفسه ص ١٠١
(١١٦) اللسان مادة شيا : ١٠٢/١
(١١٧) الفروق اللغوية : ص ٢٩
(١١٨) اللسان مادة نبا : ١٦٢/١
(١١٩) الفروق اللغوية : ص ١١
(١٢٠) اللسان مادة نأي : ١٥/٢٠٠ـ٢٠١

ويفرق العسكري بين اتى وجاء تفريقا غير لغوي « نحوي » ، ثم يعترف بأستعمال احدهما موضع الاخر[121] ؛ وفي اللسان : (المجيء : الاتيان)[122] وفي مكان آخر منه : (الاتيان : المجيء)[123] . وفي اصلاح المنطق : (وقد اتيته ، اذا جئته)[124] . ويفرق العسكري ايضا بين الدهر والعصر[125] ، على حين يقول ابن السكيت : (والعصر : الدهر)[126] ، ويقول الفراء ايضا : (العصر والعصر : الدهر)[127] .

كذلك يفرق العسكري بين النور والضياء[128] ، ونجد في اصلاح المنطق : (النور : الضياء)[129] . ويتكلف العسكري فرقا فيما بين السرور والحبور ؛ وحين ورد الحبور بمعنى السرور في كلامهم حمله على جهة الاستعارة وقال إن الاصل فيه هو النعمة الحسنة[130] على حين نجد ابن السكيت يقول : (وقد حبره يحبره حبرا ، اذا سرّه . والحبرة والحبر : السرور . قال الله تعالى : « فهم في روضة يحبرون »[131] . أي يسرون . قال العجاج : فالحمد لله الذي اعطى الحبر)[132] .

وخلاصة القول في فروق العسكري انها قائمة على النظرة التاريخية الى دلالة الالفاظ ، تلك النظرة التي تتشبث بالدلالة الاصلية وترفض التغير

(١٢١) الفروق اللغوية : ص ٢٥٥
(١٢٢) اللسان مادة جيا : ١/٥١ .
(١٢٣) نفسه مادة اتي : ١٤/١٣
(١٢٤) ص ٢٤٢ .
(١٢٥) الفروق اللغوية : ص ٢٢٥
(١٢٦) اصلاح المنطق : ص ٤٢
(١٢٧) نفسه : ص ٩١
(١٢٨) الفروق اللغوية : ص ٢٥٦–٢٥٧
(١٢٩) اصلاح المنطق : ص ١٢٥
(١٣٠) الفروق اللغوية ص ٢٢٠
(١٣١) سورة الروم آية ١٥
(١٣٢) اصلاح المنطق : ص ٢٥٢–٢٥٣

الدلالي الجديد الذي اقتضاه التطور في الاستعمال ، وان اشار العسكري أحيانا الى هذا التوسع . اضافة الى ما يشوبها من تعدد في تناول الفروق ، وأثر المنهج المنطقي والطابع العقلي فيها ، وتجاوزه في التفرقة الدلالة اللغوية الى اعتبارات اخرى . ولم يستطع العسكري التفرقة بين الفاظ واعترف بانها سواء من حيث الدلالة على الرغم مما ذكره من فروق بينها . وحين وجد صعوبة في التفرقة بين ألفاظ أخرى تكلف وتعسف . وجاءت طائفة منها خلوا من الشواهد . وليست جميع فروقه موضع اتفاق لدى اللغويين كما رأينا . وقد اشار الشهاب الخفاجي الى هذا الامر حين ذكر ان النزاع وقع في اكثره ، يعني بذلك كتاب الفروق اللغوية .

وفي ضوء هذه الدراسة تظهر لنا العلاقة الوثيقة بين التصنيف في الفروق اللغوية وما ألف من كتب في لحن العامة ، وذلك من الحيث الدافع والغرض والمنهج فما الفروق اللغوية في الواقع الا باب من ابواب اللحن في الدلالة ، وقد حوت كتب لحن العامة أبوابا كان الغرض منها التفرقة بين الدلالات وتصويبها تبعا لحقيقتها في اللغة بسبب استعمال الناس لها بمعنى واحد ، على نحو ما تجده في كتب الفروق . ولهذا فقد كان حريا بالذين درسوا لحن العامة ان يتناولوا كتب الفروق بوصفها ضربا من كتب اللحن .

وهناك كتب اخرى في الفروق مثل تعريفات الجرجاني وكليات العكبري ومصطلحات التهانوي ومفردات ابن البيطار وغيرها . وقد وجدت أن هذه الكتب قد عنيت في الغالب بالتفرقة بين الفاظ هي من قبيل المصطلحات العلمية والفنية مما يختص بمفردات المتكلمين والمناطقة والاطباء والفلاسفة والاصوليين والفقهاء بغية تحديدها بدقة . وقد عزفت عن الخوض فيها لبعدها عن موضوعنا وعدم عنايتها بالدلالة اللغوية او لعدم اقتصارها على ذلك ، ولكون المصطلحات العلمية والفنية لابد في دلالتها من الدقة والتحديد لتكون واضحة المعاني بينة المقاصد عند اصحابها والمعنيين بها .

وقد نحا نحو العسكري من المحدثين في التأليف في الفروق اللغوية السيد

نورالدين الجزائري في كتابه « فروق اللغات » والمستشرق هنريكوس لامنس في كتابه « فرائد اللغة ـ الجزء الاول في الفروق » فقد ترسما خطا العسكري في مؤلفيهما من حيث الدافع والغاية والمنهج ، وسميا كتابيهما تسمية مماثلة لتسمية كتاب العسكري . معولين على ما جاء فيه وعلى كتاب ابن قتيبة ؛ وما جاء عن القدامى من تفرقة بين الالفاظ المتقاربة في المعنى . كما نقلا عن كتاب تعريفات الجرجاني وكليات العكبري ومصطلحات التهانوي ومفردات ابن البيطار ، فخلطا بين الفروق اللغوية والمصطلحات والالفاظ العلمية والفنية وأسرفا في ذلك حتى حشرا فيهما كثيرا من المصطلحات الخاصة بالعلوم وفرقا بينها[١٣٢] .

وقد وجدت ان هذين الكتابين مجرد نقول عمن الف في الفروق اللغوية والمصطلحات العلمية والفنية ممن ذكرناهم آنفا ولم يأتيا بشيء جديد يستحق الدراسة والتحليل .

نماذج في الفروق :

بغية معرفة حقيقة الفروق اللغوية وطبيعتها سنعرض لدراسة جملة الفاظ كان قد اختلف فيها اللغويون ؛ فمنهم من قال بترادفها ، ومنهم من انكر ذلك . وهنا نحاول ان نتبين حقيقة هذا وسبب نزاعهم حول دلالة هذه الالفاظ ؛ موضحين اثر التطور الدلالي في هذا الخلاف ، ومفصلين القول فيه .

١ ـ قعد وجلس : ذهبت طائفة منهم الى انهما بمعنى واحد ، وذهب آخرون الى ان في « قعد » معنى ليس في « جلس » وذلك ان القعود انما

---

(١٣٢) وذلك نحو تفرقة الجزائري بين الابدى والازلي ؛ والواحد والاحد والمتوحد ؛ والبدن والجسد ؛ والخسوف والكسوف ؛ والخلود والدوام ؛ والسبب والعلة ؛ والضد والنقيض ؛ والفرد والمتفرد ؛ والكل والكلي ؛ وما شاكل ذلك . ينظر : ص ٢٦ ؛ ٢٨ ؛ ٥٦ ؛ ٩٣ ؛ ٩٤ ؛ ١١٢ ؛ ١٢٧ ؛ ١٤٦ ؛ ١٥٢ ؛ ١٥٥ ؛ ١٥٨ ؛ ١٦٦ . ونحو هذا مما جاء في فرائد اللغة ؛ الجزء الاول في الفروق ص : ٢ـ٣ ؛ ٢٨ ؛ ٥٠ ؛ ٧٩؛١٦٩

« يكون عن قيام ؛ والجلوس عن حالة هي دون الجلوس كالنوم والسجود ؛ لانه الجلس المرتفع ، فالجلوس ارتفاع عما دونه » هكذا فرق ابن فارس ـ ت ٣٩٥ هـ ـ بينهما في حواره مع الذين قالوا بترادفهما[١٣٤] . وقد فرق بعضهم بينهما بفرق آخر هو ان القعود ما تعقبه لبث بخلاف الجلوس ؛ ولهذا يقال قواعد البيت دون جوالسه للزومها ، وهو جليس الملك دون قعيده لأنه يحمد منه التخفيف ؛ ولذا قيل مقعد صدق لانه لازوال له[١٣٥] . وأما الراغب الاصفهاني فقد ذكر ان : (أصل الجلس الغليظ من الأرض وسمي النجد جلسا لذلك ... وجلس أصله ان يقعد بمقعده جلسا من الارض ثم جعل الجلوس لكل قعود والمجلس لكل موضع يقعد فيه الانسان)[١٣٦] . وفي صحاح الجوهري ـ القرن الرابع الهجري ـ : (قعد ... أي جلس)[١٣٧] وكذا في اللسان[١٣٨] . وفيه ايضا : (الجلوس : القعود)[١٣٩] .

وقد ذكر الحريري ـ ت ٥١٦ هـ ـ ان الناس يستعملونهما من غير فرق؛واختار القول بالفرق بينهما،معولا في ذلك على ماحكاه الخليل بن أحمد ـ ت ١٧٥ هـ ـ ان يقال لمن كان قائما اقعد ولمن كان نائما او ساجدا اجلس[١٤٠] . فما كان من الشهاب الخفاجي ـ ت ١٠٦٩ هـ ـ الا ان رد عليه ذلك وقال بترادفهما ، مستشهدا بالحديث الشريف وكلام العرب الفصحاء[١٤١] . وقد ذهب مذهب الحريري ابن هشام اللخمي ـ ت ٥٧٧ هـ ـ حيث اختار القول

---

(١٣٤) الصاحبي : ٩٦ـ٩٧ .
(١٣٥) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي : ١/١٩٥ وشرح درة الغواص الخفاجي : ١٨٧
(١٣٦) المفردات في غريب القرآن : ٩٤
(١٣٧) الصحاح مادة قعد : ١/٥٢٢
(١٣٨) مادة قعد : ٣/٣٥٧ .
(١٣٩) مادة جلس ٦/٣٩
(١٤٠) درة الغواص في اوهام الخواص : ٨٨
(١٤١) شرح درة الغواص : ١٨٧

بالفرق بينهما على ما حكاه الخليل ايضا ، بعد أن ذكر ان اهل الاندلس لا يفرقون بينهما في القرن السادس الهجري[١٤٢] . كما ذكر ابن الجوزى ـ ت ٥٩٧ هـ ـ ان عامة بغداد في القرن السادس الهجري لا يفرقون بين جلس وقعد ، فخطأهم في ذلك ورأى الصواب في التفرقة بينهما[١٤٣] . واما عبد اللطيف البغدادي ـ ت ٦٢٩هـ ـ فقد اتبع الرأى القائل بالفرق بينهما ايضا ، بيد انه علل استعمال الكلمتين بمعنى واحد بالمجاز لغرض التعظيم كما يقول المستمل للستالي : « تعال مكان هلمّ »[١٤٤] .

ومن هذا كله نرى ان التفرقة بين قعد وجلس التي قال بها بعض اللغويين انما ترجع الى المعنى القديم ، وذلك بدلالة نسبتها الى الخليل وما ذكره الراغب الاصفهاني من الفرق بينهما بحسب الاصل ثم استعمالهما بمعنى نتيجة التوسع ، وبدلالة قول الشهاب الخفاجي : (مع ان الفرق لم سلم فانما هو بحسب الاصل ومقتضى الاشتقاق ولتقارب معنييهما وقع كل منهما موقع الآخر وشاع حتى صار حقيقة عرفية)[١٤٥] . ويبدو ان الذي سجله الجوهري هو المعنى الجديد ، وان قيل انهما مترادفان في الاصل اذ صارت الكلمتان بعد ذلك بمعنى واحد بسبب التوسع : اي بتعميم دلالة الجلوس بحيث تشمل من كان قائما بعد ان كان يقال له : اقعد . ونتيجة هذا التطور في المعنى والتوسع فيه جاز اطلاق الكلمتين بعضهما على بعضهما الاخر من غير فرق ، وجرى الاستعمال بهما مترادفتين كما نص على ذلك الجوهري والراغب الاصفهاني وصاحب اللسان وسجله اصحاب كتب لحن العامة الذين انكروا هذا التغير الدلالي وحافظوا على الاستعمال القديم وتمسكوا بالدلالة الاصلية . وعلى هذا

---

(١٤٢) المدخل الى تقويم اللسان وتعليم البيان : ورقة ٦٨ ب = عن لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : ص ١١٥

(١٤٣) تقويم اللسان : ٩٣

(١٤٤) ذيل فصيح ثعلب : ص ١٢= ضمن كتاب فصيح ثعلب والشروح التي عليه .

(١٤٥) شرح درة الغواص ١٨٧ .

نوجه الفرق بينهما ونفسر ترادفهما ويعزز ذلك ما ذهب اليه باحثان من المحدثين في دراستهما لحن العامة[146] .

٢ ـ مائدة وخوان : جاء في اللسان : ماد الشيء يميد : زاغ وزكا ، ومدته وأمدته : أعطيته ... والمائدة : الطعام نفسه وان لم يكن هناك خوان[147] ، مشتق من ذلك ، وقيل : هي نفس الخوان ، قال الفارسي : لا تسمى مائدة حتى يكون عليها طعام والا فهي خوان ... وقيل ان المائدة من العطاء ... والممتاد : المطلوب منه العطاء ... وهو المستعطى المسؤول ، ومنه المائدة ، وهي خوان عليه طعام ... وقال ابو اسحق : الاصل عندي في مائدة انها فاعلة من ماد يميد اذا تحرك فكأنها تميد بما عليها اي تتحرك ، وقال ابو عبيدة : سميت المائدة لانها ميد بها صاحبها أي اعطيها وتفضل عليه بها . والعرب تقول : مادني فلان يميدني اذا أحسن اليّ ... وقال الجرمي ... مادهم يميدهم اذا زادهم ، ولذا سميت المائدة مائدة لانه يزاد عليها ...)[148] وفيه ايضا : (والخوان والخوان : الذي يؤكل عليه ، معرّب ... الليث : الخوان المائدة ، معرّبة .)[149] وفي مفردات الراغب الاصفهاني : (والمائدة الطبق الذي عليه الطعام ويقال لكل واحدة منهما مائدة . ويقال مادني يميدني أي اطعمني وقيل يعشيني ...)[150] وقد ذكر

---

(١٤٦) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة . د . مطر : ١٩٦ ، ٢٨٥ . ولحن العامة والتطور اللغوي د. التواب : ٢١٧ .

(١٤٧) اختلف في حقيقة الخوان والصحيح انه معرب على قول اكثرهم انظر : لسان العرب مادة خون : ١٤٦/١٣ وجمهرة اللغة : ٢٤٤/٢ ، ٢٤٠/٣ . والمعرب للجواليقي : ١٢٩ ـ ١٣٠ وشفاء الغليل للخفاجي : ١٢٢ . وقال ادى شير : الخوان والاخوان : ما يوضع عليه الطعام ليؤكل : تعريب خوان واصل معناها الطعام والوليمة . الالفاظ الفارسية المعربة : ٥٨ .

(١٤٨) لسان العرب مادة ميد : ٤١١/٣ وانظر : اصلاح المنطق ١٠٦ ، ١٧٤ والصحاح مادة ميد . ٥٣٨/١ .

(١٤٩) لسان العرب مادة خون : ١٤٦/١٣ .

(١٥٠) المفردات في غريب القرآن : ٤٩٥ .

ابن فارس ان المائدة لا يقال لها مائدة حتى يكون عليها طعام ، لان المائـدة من مادني يميدني اذا اعطاك ، والا فاسمها خوان[١٥١] .

نرى في هذه النصوص اختلاف اللغويين في اشتقاق المائدة وأثر ذلك في التفرقة بينها وبين الخوان ، فحجة الذين قالوا بالفرق بينهما هي ان المائدة من مادك يميدك بمعنى اعطاك او اطعمك أو زادك وما شاكل ذلك ، وهي لا تميد الا اذا كان عليها طعام ، ولو جعلنا اشتقاقها من ماد يميد بمعنى تحرك على رأى بعضهم ، لذهبت هذه العلة في التفريق بينهما[١٥٢] ، وعلى هـذا يكون الفرق الذي ذكروه تبعا للعلة في التسمية بمقتضى ذلك الاشتقاق ، وهذا ما لم يلحظه الذين قالوا ان المائدة نفس الخوان ، ويبدو ان التفرقة بينهما هي الاصل وذلك بدلالة الاشتقاق وذهاب اكثر اللغويين الاقدمين اليها ، على ان الاستعمال لم يحفل في الغالب بهذه التفرقة وسوى بينهما من حيث الدلالة ، وان تشبث معظم اللغويين بالفرق بينهما ، فقد ذهب احمد بن فارس[١٥٣] وابو هلال العسكري[١٥٤] والثعالبي[١٥٥] وابو سهل الهروى[١٥٦] والحريري[١٥٧] وابن الجوزي[١٥٨] وغيرهم ، الى القول بالفرق بينهما وهو ان المائدة لا تسمى كذلك الا اذا كان عليهم طعام ، والا فاسمها خوان ، وقد ذكر قسم من هؤلاء ان الناس يستعملونها دون تفرقة ، فعدوه خطأ بسبب تعلقهم بذلك الفرق الذي يرجع الى الدلالة القديمة ، يقول الحريري على سبيل المثال : (ويقولون لما يتخذ لتقديم الطعام عليه مائدة ، والصحيح ان يقال

(١٥١) الصاحبي : ٩٨ .
(١٥٢) وهذا مالاحظه ايضا المرحوم علي الجارم : مجلة مجمع اللغة العربية الملكي الجزء الثاني ص ٩٨ سنة ١٣٥٤ ــ ١٩٣٥ م. القاهرة .
(١٥٣) الصاحبي : ٩٨ .
(١٥٤) الفروق اللغوية : ٢٥٨ .
(١٥٥) فقه اللغة وسر العربية : ٥٠ .
(١٥٦) التلويح في شرح الفصيح ٥٠ ــ ضمن كتاب فصيح ثعلب والشروح التي عليه .
(١٥٧) درة الغواص في اوهام الخواص : ١٠ .
(١٥٨) تقويم اللسان : ١٢٠ .

له خوان الى ان يحضر عليه الطعام فيسمى حينئذ مائدة) • على حين لم يفرق صاحب المسلسل بين الدسيعة والمائدة والخوان[١٥٩] • ونحن لا ننكر ذلك الفرق بين المائدة والخوان ، بيد ان هذا الفرق قد ضاع ولم يعد ملحوظا في الاستعمال بسبب التطور الدلالي ، اذ صارت الكلمتان بمعنى واحد ، وذلك على سبيل المجاز المرسل باعتبار ما سيكون ، اي ما سيؤول اليه الخوان من وضع الطعام عليه ، الى مائدة • يقول الشهاب الخفاجي حول اطلاق المائدة على الخوان في رده على الحريري : (لا مانع من اطلاقه عليه باعتبار انه وضع عليه او سيوضع هذا مجازا والامر في مثله سهل)[١٦٠] وهذا توجيه سديد وبه تفسر استعمال الكلمتين بمعنى واحد • وقد فسر الدكتور مطر هذا الاستعمال بالتطور الدلالي ايضا ولكنه جعله من باب تعميم الخاص[١٦١] ، ونرى ان تفسيره بالمجاز المرسل باعتبار ما سيكون أصوب من ذلك • لوضوح العلاقة المجازية بين المدلولين ، اذ لا شك ان الخوان من شأنه ان يوضع عليه الطعام ، وبدلالة قول الخفاجي السالف • ونرى ان القرار الذي اتخذه مجمع اللغة العربية في القاهرة بعدم التفريق بين المائدة والخوان[١٦٢] قد جاء مصوّبا لما يناه من كثرة استعمالها بمعنى واحد وعدم احتفال الناس بالتفرقة بينهما •

٣ ـ الغيث والمطر : ومن الالفاظ التي نجد اللغويين يختلفون فيها من حيث الدلالة : الغيث والمطر • فقد ذهب اكثر اللغويين الى انهما سواء • يقول ابو زيد الانصاري ـ ت٢١٥هـ ـ ان (الغيث إسم للمطر كله)[١٦٣] ويقول

---

(١٥٩) المسلسل في غريب لغة العرب • محمد بن يوسف التميمي : ٧٦ •

(١٦٠) شرح درة الغواص : ٣٨ •

(١٦١) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : ٩٧ وتقويم اللسان ٦٦ ـ ٦٧ •

(١٦٢) مجلة مجمع اللغة العربية الملكي جـ ٢ ص ٩٨ سنة ١٣٥٤ ـ ١٩٣٥ م •

(١٦٣) كتاب المطر لابي زيد الانصاري ص ١٠٤ = ضمن البلغة في شذور اللغة

الجوهري : (الغيث : المطر)[١٦٤] . وفي اللسان : (الغيث : المطر والكلأ ، وقيل : الاصل المطر ، ثم سمي ما ينبت به غيثا)[١٦٥] . والقلة منهم يفرقون بينهما ، وهذا ما يتمثل فيما نقله الثعالبي ـ ت ٤٣٠ هـ ـ عن بعض اللغويين القدامى قولهم بان المطر اذا جاء عقيب المحل أو عند الحاجة اليه ، فهو : الغيث[١٦٦] . وقد ذكر الجاحظ ـ ت ٢٥٥ هـ ـ ان القرآن لا يلفظ بالمطر الا في موضع الانتقام ، وان العامة واكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث[١٦٧] . ويبدو ان الجاحظ قد وهم في ذلك اذ ان الذي ذكره اللغويون والمفسرون انما هو الفرق بين مطر وأمطر ولم يعنوا بهذا ، الفرق بين الغيث والمطر كما ذكر الجاحظ . وحتى هذا الفرق بين مطر وأمطر غير مطرد وليس مسلما به عند جميع اللغويين والمفسرين . فهو مردود على رأي طائفة منهم بان امطر ومطر بمعنى ، وان امطر قد جاءت في الخير في اللغة والقرآن المجيد ، وفي هذه المسألة خلاف طويل[١٦٨] .

وأما كتب التفسير ، فقد ذكر الراغب الاصفهاني ان الغيث يقال في المطر وفسر الغيث بالمطر في قوله تعالى : (كمثل غيث أعجب الكفار نباته)[١٦٩] ثم استشهد بقول الشاعر : « ذى الرمة » :

سمعت الناس ينتجعون غيثا فقلت لصيدح انتجعي بلالا[١٧٠]

---

(١٦٤) الصحاح مادة غيث : ١/٢٨٩ .
(١٦٥) مادة غيث : ٢/١٧٥
(١٦٦) فقه اللغة وسر العربية : ٢٧٨
(١٦٧) البيان والتبيين : ١/٢٠
(١٦٨) انظر تفصيل ذلك في : لسان العرب مادة مطر : ٥/١٧٨ والصحاح مادة مطر : ٢/٨١٨ ومفردات الراغب الاصفهاني : ٧١٣ طبعة مصر . والكشاف للزمخشري : ٢/١٢٦ والانتصاف للامام احمد بن المنير الاسكندري المطبوع بذيل الكشاف : ٢/١٢٦ وتفسير القرطبي : ٩/٨٨ و١٦/٢٠٥ وفقه اللغة وسر العربية : ٢٧٥ وشرح درة الغواص للخفاجي: ١٢٣ ودرة الغواص : ٤٨ . والمزهر : ٢/٢٩٠ .
(١٦٩) سورة الحديد آية ٢٠
(١٧٠) المفردات في غريب القرآن : ٣٧٣ ـ ٣٧٤ ، ٥٥٠ طبعة مصر

كذلك لم نجد أية تفرقة بينهما في تفسير الزمخشري باستثناء الفرق الذي ذكره بين مطر وامطر ، ردا على من قال : مطر في الخير ، وامطر في الشر وتوهم انها تفرقة وضعية[١٧١] . وقد فسر القرطبي الغيث بالمطر ثم حكى الفرق بينهما على رأي بعضهم ، فهو يقول في قوله تعالى : (وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا)[١٧٢] : (والغيث المطر ، وسمي الغيث غيثا لانه يغيث الخلق .. والغيث ما كان نافعا في وقته ، والمطر قد يكون نافعا وضارا في وقته وغير وقته ، قاله الماوردي)[١٧٣] . وفي مكان آخر فسر القرطبي الغيث بالمطر دون فرق وذلك في قوله تعالى : (كمثل غيث أعجب الكفار نباته) . حيث قال : « كمثل غيث » أي مطر[١٧٤] .

وفيما يتعلق باصحاب كتب لحن العامة وغيرهم فقد ذكر ابن الجوزي ـ ت ٥٩٧ هـ ـ ان أهل بغداد في عصره لا يفرقون بين الغيث والمطر ، اي يعدونهما مترادفة . وقد خطأ ابن الجوزي ذلك الاستعمال متبعا الرأي القائل بان الغيث ما جاء في أيامه والمطر ما لم يكن في ايامه[١٧٥] .

وقد سبقت الاشارة الى ملاحظة الجاحظ اللغوية بأن أكثر الناس لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث . ولم يخطيء هذا ، بل عزاه الى خفة اللفظ . وقد ساقيا قدامة بن جعفر ـ ت ٣٣٧ هـ ـ دون تفرقة[١٧٦] .

فاذا وجدنا الكثرة من العلماء ينصون على انهما بمعنى واحد وهؤلاء المفسرون لا يفرقون بينهما ، وان الناس يستعملون هذه الالفاظ مترادفة بشهادة الجاحظ وابن الجوزي ، قلنا بترادف هذه الالفاظ وان التفرقة بينهما ضعيفة جدا . وهي في الواقع رأي لبعض اللغويين ، ولا يمكن التعويل على

(١٧١) الكشاف ١/٥٦٠ ، ٢/١٢٦ ، ٤/٢٢٤ ، ٢٠٧ ـ ٢٠٨ ، ٤٧٨ـ٤٧٩ .
(١٧٢) سورة الشورى آية : ٢٨ .
(١٧٣) الجامع لاحكام القرآن : ١٦/٢٨ ـ ٢٩
(١٧٤) المصدر السابق : ١٧/٢٥٥ .
(١٧٥) تقويم اللسان : ١٦٢
(١٧٦) جواهر الالفاظ ـ لقدامة بن جعفر : ٤٤٤ .

ما نقله الثعالبي عنهم ، لأن الرجل ليس باللغوي الذي يشهد له امثال ابي زيد الانصاري والجوهري والراغب الاصفهاني والزمخشري وابن منظور وغيرهم . ويبدو ان القائلين بالفرق بينهما يلحظون الاصل الاشتقاقي للكلمة ، فيرون في الغيث معنى الاغاثة . ولا يأبه الاستعمال اللغوي العام بهذا الفرق ولا يراعيه . ولو سلمنا بالفرق الذي ذهبوا اليه ، فيمكن تفسير ترادفهما بتطور الدلالة على سبيل تعميم الخاص ، أي بتعميم دلالة الغيث . والى مثل هذا ذهب الدكتور مطر(١٧٧) .

٤ ـ الآل والسراب : اختلف اللغويون كثيرا في دلالة الآل والسراب ، حيث ذهب بعضهم الى انهما بمعنى واحد ، وقال آخرون بالتباين فيهما . جاء في اللسان : (السراب : الآل ، وقيل : السراب الذي يكون نصف النهار لاطئا بالارض ، لاصقا بها ، كأنه ماء جار . والآل : الذي يكون بالضحى ، يرفع الشخوص ويزهاها ، كالملا بين السماء والارض ... الاصمعي : الآل والسراب واحد ، وخالفه غيره ، فقال : الآل من الضحى الى زوال الشمس ، والسراب بعد الزوال الى صلاة العصر ، واحتجوا بان الآل يرفع كل شيء حتى يصير آلاً أي شخصا ، وان السراب يخفض كل شيء حتى يصير لازقا بالارض ، لا شخص له . وقال يونس : تقول العرب : الآل من(١٧٨) غدوة الى ارتفاع الضحى الاعلى ، ثم هو سراب سائر اليوم . ابن السكيت : الآل الذي يرفع الشخوص ، وهو يكون بالضحى ، والسراب الذي يجرى على وجه الارض ، كأنه الماء ، وهو نصف النهار ، قال الازهري : وهو الذي رأيت العرب بالبادية يقولونه)(١٧٩) . وفي مكان آخر من اللسان : (الآل : السراب ، وقيل : الآل هو الذي يكون ضحى كالماء بين السماء والارض يرفع الشخوص

---

(١٧٧) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : ٢٨٤ ومقدمة تقويم اللسان : ٦٨

(١٧٨) وفي مكان آخر مذ بدلا من : « من » اللسان مادة اول : ٢٦/١١

(١٧٩) اللسان مادة سرب : ٤٦٥/١ ـ ٤٦٦

(١٨٠) للاعشى ديوانه ص ١٠٢ .

ويزهاها ، فاما السراب فهو الذي يكون نصف النهار لاطئا بالارض كأنه ماء جار ، وقال ثعلب : الآل في اول النهار ، وانشد[180] :

اذ يرفع الآل رأس الكلب فارتفعا •••

وفي حديث قس بن ساعدة : قطعت مهمها والا فآلا • الآل : السراب ، والمهمة القفر ••• الجوهري : الآل الذي تراه في أول النهار وآخره كأنه يرفع الشخوص وليس هو السراب)[181] •

وقد فرق بينهما ابو هلال العسكري بان : الآل هو الشخص الذي يظهر لك من بعيد ، شبه بالآل الذي يرتفع في الصحارى ، وهو غير السراب وانما السراب سبخة تطلع عليها الشمس ، فتبرق كأنها ماء ، والآل شخوص ترتفع في الصحارى للناظر وليست بشيء ، وقيل الآل من الشخوص ما لم يشتبه ، وقال بعضهم الآل من الاجسام ما طال ولهذا سمي الخشب آلا •[182] وفي مفردات الراغب الاصفهاني : (وآل الشيء شخصه المتردد ••• وقيل لما يبدو من السراب : آل وذلك لشخص يبدو من حيث المنظر وان كان كاذبا ، أو لتردد هواء وتموج فيكون من آل يؤول)[183] وفي مكان آخر : (والسراب : اللامع في المفازة كالماء ، وذلك لانسرابه في مرأى العين •

وكان السراب فيما لا حقيقة له كالشراب فيما له حقيقة • قال تعالى : « كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء »[184] • وقال تعالى : « وسيرت الجبال فكانت سرابا »[185][186]) وقد فسر الزمخشري السراب في الآية الاولى بقوله :

---

(١٨١) اللسان مادة اول : ٣٦/١١ — ٣٧ وقد وردت هنا نصوص مكررة لما جاء في النص السابق في مادة سرب مع شيء من الاختلاف اليسير في بعض الالفاظ الذي لا يؤثر على المعنى فحذفتها واثبت الزيادة وبعض التكرار الذي يقتضيه السياق •

(١٨٢) الفروق اللغوية : ١٣١ ، ٢٢٢

(١٨٣) المفردات في غريب القرآن : ٣٨ . طبعة مصر

(١٨٤) سورة النور آية : ٣٩

(السراب : ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة • يسرب على وجه الارض كأنه ماء يجري •)[187] وفي تفسير الثانية قال (« فكانت سرابا » كقوله : « فكانت هباء منبثاً »[188]) يعني انها تصير شيئا كلاشيء ، لتفرق اجزائها وانبثاث جواهرها •)[189] واما القرطبي فقد قال في تفسير الاولى[190] : (والسراب : ما يرى نصف النهار في اشتداد الحر ، كالماء في المفاوز يلتصق بالارض • والآل الذي يكون ضحى كالماء الا انه يرتفع عن الارض حتى يصير كأنه بين الارض والسماء • وسمي السراب سرابا لانه يسرب أي يجري كالماء ••• ويسمى الآل ايضا ، ولا يكون الا في البرية والحر فيغتر به العطشان • قال الشاعر[191] :

فكنت كمهريق الذي في سقائه   لرقراق آل فوق رابية صلد

وقال آخر :

فلما كففنا الحرب كانت عهودهم   كلمع سراب بالفلا متالق

وقال امرؤ القيس :

فشبهتهم في الآل لما تكمشوا   حدائق دوم أو سفينا مقيرا

وفي تفسير الثانية قال القرطبي : (أي لا شيء كما ان السراب كذلك ، يظنه الرائي ماء وليس بماء)[192] •

---

(185) سورة النبأ (عم) آية ٢٠

(186) المفردات في غريب القرآن : ٢٣٥ طبعة مصر •

(187) الكشاف : ٢٤٣/٢

(188) سورة الواقعة آية ٦ •

(189) الكشاف : ٦٨٨/٤ •

(190) الجامع لاحكام القرآن : ٢٨٢/١٢ •

(191) هو العديل العجلي كما في الاقتضاب : ١١١ وقد ورد فيه : صلدا بدلا من صلد •

(192) الجامع لاحكام القرآن : ١٧٦/١٩

وفيما يتعلق بالذين الفوا في لحن العامة ، فقد ذكر ابن قتيبة ـ القرن الثالث الهجري ـ أن الناس في عصره لا يكادون يفرقون بين الآل والسراب • فخطأهم في ذلك ورأى الصواب في التفرقة بينهما[١٩٣] • ولا ندري كيف يكون هذا من اللحن ، والآل والسراب واحد بنص الاصمعي الذي كان قد عوّل عليه ابن قتيبة كثيرا في القول بالتخطئة والصحة اللغوية كما ذكرنا سابقا •

وقد تابع الجواليقي ابن قتيبة في التفرقة بينهما •[١٩٤] غير ان لابن السيد البطليوسي موقفا اخر مما ذكره ابن قتيبة ، اذ رد عليه ذلك بقوله : (هذا الذي قاله قد قاله غيره ، وانكار من أنكر ان يكون الآل السراب من أعجب شيء سمع به ، لان ذلك مشهور معروف في كلام العرب الفصيح • فمن ذلك قول امرىء القيس ••• وقال العديل العجلي •••[١٩٥] وقال الاحوص لكثير :

فكنت كمهريق الذي في سقائه لضحضاح آل بالملا يترقرق)[١٩٦]

وهكذا يتبين لنا بجلاء من هذا العرض للكلمتين ومتابعتهما في معجمات اللغة وكتب التفسير واللحن ، مدى الخلاف فيهما والمتمثل بهذا التناقض في التسوية والتفرقة بينهما • ونلحظ في هذا الجدل الكثير مدى الخلط والتداخل في دلالة الكلمتين، فالراغب الاصفهاني والقرطبي قدذكروا أن السراب يسمى الآل ايضا على الرغم من ذكرهما للفرق بينهما • كما نجد أن القائلين بالتفرقة ليسوا متفقين على فرق واحد بعينه ، وعلى حجة دون سواها فالعسكري والراغب الاصفهاني لم يخصا حدوث السراب ولا الآل بوقت محدد • في حين اقتصر بعضهم على اختلاف تحديد وقت حدوثهما كثعلب • ناهيك عن

---

(١٩٣) ادب الكاتب : ٢٨–٢٩ •
(١٩٤) شرح ادب الكاتب : ١٣٣
(١٩٥) ورد ذكرهما في نص القرطبي السابق فاستغنيت عن ذكرهما هنا .
(١٩٦) الاقتضاب في شرح ادب الكتاب : ١١١ •

ان حجة بعضهم لم تكن واضحة قوية • على اننا مع هـذا نلاحظ ان اكثـر اللغويين يقولون بالتفرقة كما مرّ بنا ؛ ولعل اقوى حجة ذكروها للتدليل على ذلك ؛ نجدها متمثلة بنص الازهري : (وهو الذي رأيت العـرب بالباديـة يقولونه •) يعني بذلك استعمال الآل والسـراب على ما حكاه ابن السـكيت من الفرق بينهما •

ونـستنتج من هذا الخلاف الطويل ان اللفظتين في الواقع هما من الألفاظ المتقاربة جدا في المعنى ، فالفرق الذي ذهبوا اليه قريب ، ويتصل بحقيقتهما في اللغة ، فهما متحدان في الدلالـة اذ ان كليهما لا شيء ، الا ان هـذا يبدو كالشخص وذلك يبدو كالماء على رأي ، أو ان كليهما كالماء الا ان السـراب ملتصق بالارض والآل مرتفع عنها على رأي آخر ، أو ان كليهما كذلك ، الا ان الآل في اول النهار والسـراب يكون في منتصفه ، على رأي ثالث • وأيا كان وجه الفرق فهما متحدان في الدلالة العامة من حيث ان السـراب في حقيقة الامر لا شيء والآل كذلك • ولهذا جاز اطلاق احدهما على الآخر ووقع موقعه ، فجرى بهما الاستعمال بمعنى واحد ؛ دون التفات او مراعاة لتلك الفروق الدقيقة بينهما • والمسـوغ لهذا الاستعمال هو التطور الدلالي ، نتيجة هـذا التقارب الشديد بين معنييهما ، وذلك على سبيل تعميم دلالة كل منهما بحيث ترادف الاخرى • وعلى هذا ، تكون التفرقة بينهما بحسب الاصل بدلالـة نسبة الفروق الى اكثر اللغويين القدامى فاقدم هؤلاء يونس بن حبيب – ت ١٨٢ هـ – وبدلالة حجة المفرقين أن الآل في اللغة هو الشخص ، وآل كل شيء : شخصه • بيد اننا لا نستطيع ان نحدد بالتمام زمان ترادفهما او مكانه ذلك أن كتب اللغة لا تغير الى استعمال الالفاظ مفيدة بحسب الزمان والمكان والبيئة المعينة • غير ان هذا الاستعمال قديم على ما يبدو بدلالة قـول الاصـمعي الآنف الذكر • وكل ما نستطيع قوله في هذا الخلاف ان بعض العرب كانوا يستعملون هذه الالفاظ متباينة على حين كان بعضهم يستعملونها مترادفـة ولكن متى واين ، هذا ما لا نعلمه باستثناء القول بترجيح التباين على الترادف

من الناحية التاريخية كما ذكرنا . ولا شك ان زمان الاستعمال الاول او مكانه هو غير زمان الثاني او مكانه . ولهذا ربما كان لتفاوت الذين اخذ عنهم اللغويون ، من حيث الزمان والمكان والبيئة ، اثر في القول بترادف هذه الالفاظ او التفرقة بينها ، وهذا ما نرجحه في تفسير الخلاف بشأن هذه الالفاظ ونظائرها ، ونعزو اليه سبب خلافهم فيها من حيث التباين والترادف .

٥ ـ الظل والفيء : وقع نزاع بين اهل اللغة حول دلالة الظل والفيء ، هل هما بمعنى واحد ، أم ثمة فرق بينهما ؟ قيل انهما مترادفان ، وقيل ان الظل غير الفيء . ويتلخص هذا الخلاف ، كما ورد في معجمات اللغة وكتب الفروق والتفسير واللحن ، في ان الظل يكون بالغداة الى الزوال ، والفيء بعد الزوال (يقال : تمعدنا في الظل ، وذلك بالغداة الى الزوال ، وما بعد الزوال فهو الفيء)[١٩٧] وفي فصيح ثعلب : الظل بالغداة والفيء بالعشي . وقد روى ثعلب حكاية ابي عبيدة عن رؤبة بان كل ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو فيء وظل ، وما لم تكن عليه الشمس فهو ظل[١٩٨] . وعلى هذه التفرقة كثير من اهل اللغة . وهم يستشهدون على ذلك بقول حميد بن ثور الهلالي :

فلا الظل من برد الضحى تستطيعه ولا الفيء من برد العشى تذوق[١٩٩]

وقال ابو الهيثم : كل ما لم تطلع عليه الشمس فهو ظل ، والفيء لا يدعى فيئا الا بعد الزوال اذا فاءت الشمس أي رجعت الى الجانب الغربي ، فما فاءت

---

(١٩٧) اصلاح المنطق : ١٥٠ ، ٣٢٠ .

(١٩٨) الفصيح وشرحه المسمى التلويح ص ٩٥ = ضمن فصيح ثعلب والشروح التي عليه وحكاية ابي عبيدة عن رؤبة جاءت في الصحاح فيا : ١/٦٣-٦٤. وفي اللسان مادة فيا : ١/١٢٥ كما جاءت مقولة ثعلب دون نسبة اليه وفيها تقديم وتاخير في اللسان مادة ظلل : ١١/٤١٥ .

(١٩٩) ويروى بالنون بدلا من التاء في تستطيعه وتذوق كما في التلويح في شرح الفصيح ص ٩٥ . وفي المصادر الاخرى بالتاء كما في اصلاح المنطق : ٣٢٠ والصحاح فيا ١/٦٣ واللسان مادة فيا ١/١٢٤ ومادة ظلل ١١/٤١٥ وفي شرح درة الغواص للخفاجي تستطيعه بالنون وتذوق جاءت بروق وهو تصحيف فات المحقق تصحيحه لان الشاعر هنا يصف سرحة مكنيا بها عن امراة .

منه الشمس ويبقى ظلا فهو فيء ؛ والفيء شرقي والظل غربي ؛ وانما يدعى الظل ظلاً من أول النهار الى الزوال، ثم يدعى فيئا بعد الزوال الى الليل •وأنشد البيت السابق[٢٠٠] • وقال ابن السكيت : الظل : ما نسخته الشمس ؛ والفيء : ما نسخ الشمس • وقيل : الفيء : ما كان شمسا فنسخه الظل ، والجمع : أفياء وفيوء : قال الشاعر :

لعمري ؛ لأنت البيت أكرم أهله وأقعد في أفيائه بالاصائل

وفي الصحاح : الفيء ما بعد الزوال من الظل ، ثم تمثل ببيت حميد السابق • وقال : انما سمي الظل فيئا لرجوعه من جانب الى جانب[٢٠١] • وقيل ان الظل هو الفيء الحاصل من الحاجز بينك وبين الشمس أي شيء كان ؛ وقيل : هو مخصوص بما كان منه الى الزوال وما كان بعده فهو الفيء • وفي الحديث : « سبعة يظلهم الله في ظل العرش » أي في ظل رحمته وفي حديث آخر : « السلطان ظل الله في الارض » • لأنه يدفع الاذى عن الناس كما يدفع الظل أذى حر الشمس[٢٠٢] •

وقد احتج القائلون بالفرق بانه يقال : ظل الجنة ولا يقال فيؤها ، لان الشمس لا تعاقب ظلها فيكون هناك فيء ؛ وانما هي أبدا ظل ؛ ولذلك قال عزوجل « أكلها دائم وظلها »[٢٠٣] ، أراد وظلها دائم أيضا[٢٠٤] • وقالوا ايضا : ولأنه من فاء اذا رجع والظل رجع من جانب المغرب الى جانب المشرق ، واصل الظل مطلق الستر ، ولهذا اطلق على ظلام الليل وظل الجنة • وقد جاء في الاثر عن ابي هريرة ان الرسول (ص) قال : (ان في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام فما ينقطع ، اقرؤا ان شئم • « وظل ممدود »[٢٠٥]) •

---

(٢٠٠) اللسان مادة ظلل : ١١/٥١ ، ـ ٥٢ •
(٢٠١) اللسان مادة فيا : ١/١٢٤ ـ ١٢٥ والصحاح مادة فيا : ١/٦٣ ـ ٦٤
(٢٠٢) اللسان مادة ظلل : ١١/٤١٩ •
(٢٠٣) سورة الرعد آية ٣٥
(٢٠٤) اللسان مادة ظلل : ١١/٤١٥ ـ ٤١٦ •
(٢٠٥)سورة الواقعة آية ٣٠

قالوا والعلة فيما ذكرناه ان الفيء سمي بذلك لانه فاء عند زوال الشمس من جانب الى جانب أي رجع ومعنى الظل الستر ومنه اشتقاق المظلة لانها تستر من الشمس وبه ايضا سمي سواد الليل ظلا لانه يستر كل شيء ، فكان اسم الظل يقع على ما يستر من الشمس وعلى ما لا تطلع عليه . وقيل في ظل الليل بمعنى سواده : انه استعارة لأن الظل في الحقيقة هو ضوء شعاع الشمس دون الشعاع ، فاذا لم يكن ضوء فهو ظلمة وليس بظل . وأما قوله (ص) : « السلطان ظل الله في الأرض » فالمراد به ستره السابغ على عباده المنسدل على بلاده[206] .

ونجد ان القائلين بالتفرقة ليسوا متفقين على فرق بعينه ، فقد ذكر بعضهم فروقا فيها شيء من الاختلاف عما سبق ذكره ، كما في تفرقة ابن قتيبة القائل بأن الظل يكون غداة وعشية ومن أول النهار الى آخره وان الفيء لا يكون الا بعد الزوال[207] . وقد ذكر ابو هلال العسكري أن الظل يكون ليلا ونهارا وان الفيء بالنهار ولم يخصه بوقت ما بعد الزوال أو بالعشي . فهو يقول : (الفرق بين الظل والفيء أن الظل يكون ليلا ونهارا ولا يكون الفيء الا بالنهار : وهو مافاء من جانب الى جانب أي رجع ، والفيء الرجوع ويقال الفيء التبع لأنه يتبع الشمس[208]) .

كذلك فرق بينهما الراغب الاصفهاني بان : (الظل ضد الضح ، وهو أعم من الفيء ، فأنه يقال : ظل الليل وظل الجنة . ويقال لكل موضع لم تصل اليه الشمس ظل ، ولايقال الفيء إلا لما زال عنه الشمس) وقال في قول الشاعر : يتبع افياء الظلال عشية ، أن الظلال عام والفيء خاص . وهو من اضافة الشيء الى جنسه[209] .

---

(٢٠٦) درة الغواص للحريري : ٥٦ وشرح درة الغواص للخفاجي : ٢٥ — ٢٦ و ١٣٤ — ١٣٥ . واللسان مادة ظلل : ١١/٤١٥ — ٤١٦

(٢٠٧) ادب الكاتب : ٢٧

(٢٠٨) الفروق اللغوية : ٢٥٣ .

(٢٠٩) المفردات في غريب القرآن : ٣١٦ — ٣١٧ .

يعني بذلك : أفياء الظلال . وفيما يتعلق بكتب التفسير فلم ينص الزمخشري صراحة على التفرقة بينهما حين عرض لتفسير الآيات الكريمات اللائي ورد فيهن ذكر الظل والفيء ، الا ان كلامه يشعر بانه يميل الى القول بالتفرقة بينهما[٢١٠] . بيد ان القرطبي فرق بينهما وذلك في تفسير قوله تعالى : « الم تر الى ربك كيف مد الظل »[٢١١] وفي تفسير قوله تعالى : « يتفيأ ظلاله »[٢١٢] حيث ذكر آراء القائلين بالتفرقة وحكى الفرق عنهم بان الظل بالغداة والفيء بالعشي ثم اورد بيت حميد الذي سبق ذكره[٢١٣] . وقد جعل الظل عاما والفيء خاصا في حديثه عن الآية الثانية ، فهو يقول : (أي يميل – يعني الظل – من جانب الى جانب ، ويكون اول النهار على حال ويتقلص ثم يعود في آخر النهار على حالة اخرى ... ومنه قيل للظل بالعشى : فيء ؛ لأنه فاء من المغرب الى المشرق ؛ أي رجع والفيء الرجوع .)[٢١٤]

وهكذا نرى ان الكثرة من اللغويين يقولون بالفرق بين الظل والفيء على ما بيناه ، على حين يذهب بعضهم الى انهما بمعنى واحد كما في عبارة اللسان السابقة من ان الظل هو الفيء الحاصل من الحاجز بينك وبين الشمس أي شيء كان . وفي قوله الآخر : (وبعضهم يجعل الظل الفيء)[٢١٥] وان بعضهم قد جعل للجنة فيئا غير أنه قيده بالظل ، فقال يصف حال أهل الجنة ، وهو النابغة الجعدي :

---

(٢١٠) الكشاف : ٥٢٣/١ ، ٥٢٢/٢ – ٥٢٣ ، ٦٠٩ ، ٢٨٢/٣–٢٨٣ ، ٤٠١ ، ٦٠٨ ، ٤٦٠/٤ – ٤٦٣ ، ٦٨٠ .

(٢١١) سورة الفرقان آية : ٤٥

(٢١٢) سورة النحل آية : ٤٨ .

(٢١٣) الجامع لاحكام القرآن : ٣٧/١٣ – ٣٨ .

(٢١٤) الجامع لاحكام القرآن ١١١/١٠

(٢١٥) اللسان مادة ظلل : ٤١٥/١١ وقد اورد صاحب اللسان هنا قول رؤبة مبتورا ولا يصح الاستشهاد به لان نص رؤبة يدل على الفرق لو اكمل . وقد ذكره صاحب اللسان ايضا كاملا في مكان آخر عندما عرض لاراء المفرقين وذلك في مادة « فيا » : ١٢٥/١ .

فـــــلامٌ الإلـه يغدو عليهمٍ وفيوءُ الفردَوْسِ ذاتُ الظلالِ

وقال كثير :

لقد سرت شرقي البلاد وغربها وقد ضربتني شمسها وظلولها[٢١٦]

وقد رد الذين سووا بين الكلمتين على المفرقين بان لا حجة لهم في بيت حميد بن ثور الهلالي السالف ، لان التفرقة فيه بين الظل والفيء ، انما هي لئلا يتكرر اللفظ ، لا للتخصيص . واستدلوا على استعمال الظل بالعشى بقول امرىء القيس :

يَفِيءُ عليها الظلّ عَرْمَضُها الطامي[٢١٧] ....

واما حديث : السلطان ظل الله في ارضه ، فقد قيل في تفسيره ان الظل هو النعمة وقيل الحفظ وقيل الهيبة وقيل استعارة[٢١٨] .

وقد ذكر الذين صنفوا في لحن العامة كابن قتيبة[٢١٩] والحريري[٢٢٠] وابن الجوزي[٢٢١] وعبداللطيف البغدادي[٢٢٢] ، ان الناس في استعمالهم اللغوي لا يفرقون بين الظل والفيء . يقول ابن قتيبة مثلا : (ومن ذلك الظل والفيء يذهب الناس الى انهما شيء واحد ...) واذ يلاحظ هؤلاء استعمالهما بمعنى يذهبون الى تخطئته محافظين على ما روى من الفرق بينهما ، ولهـذا كان عندهم مما يضعه الناس غير موضعه .

---

(٢١٦) ويروى : لقد سرت غورى البلاد وجلسها .
اللسان مادة ظلل : ١١/٤١٥ ــ ٤١٦ . وينظر بيت النابغة في ديوانه ص ٢٣١ ط الاولى دمشق ١٩٦٤

(٢١٧) ديوان امرىء القيس ص ٤٧٥ ، وصدره :
تيممت العين التي عند ضارج

(٢١٨) شرح درة الغواص للخفاجي : ٢٥ ــ ٢٦ ، ١٣٤ ــ ١٣٥ . وقد جاء فيه بيت امرىء القيس مصحفا : يفيض بدلا من يفيء ، والصحيح ما اثبتناه.

(٢١٩) ادب الكاتب : ٢٧

(٢٢٠) درة الغواص : ٥٦ .

(٢٢١) تقويم اللسان : ١٦٥

(٢٢٢) ذيل فصيح ثعلب : ٩ = ضمن فصيح ثعلب والشروح التي عليه .

وقد عرض الشهاب الخفاجي لهذه المسألة بشيء من التفصيل ـ وقد ذكرنا آنفا طرفا منه ـ وذلك في تعقيبه على الحريري الذي أنكر ان يكون الظل بمعنى الفيء ، فبين ان اللغويين على خلاف في هذه المسألة وما ذكره الحريري من الفرق بينهما وان اشتهر ليس بمسلم • وقد ذهب الخفاجي مذهبا فيه وجاهة حين قال (الفرق بين الظل والفيء قريب ، وإن ذهب اليه بعض اللغويين • فهما يستعملان بمعنى اما لترادفهما كما هو مذهب في اللغة أو هو على التوسع والتسمح ، ولهذا قال في الحواشي :[223] (إن الفيء وان كان على ما ذكره المصنف ـ يعني الحريري ـ لا يمتنع ان يقع موقع الظل حيث كان ظلا يستظل به ؛ فيقال قعدت في فيء الشجرة أي ظلها ؛ وعليه قول الجعدي في اهل الجنة ـ البيت السابق ـ فأوقع الفيء موقع الظل ، وان كان الفيء أخص منه ، الا ترى ان الجنة لا شمس فيها حتى يكون فيها فيء •)[224] ونحن نتفق مع الخفاجي بان الفرق بين الكلمتين قريب وان استعمالهما بمعنى هو على التوسع والتسمح • ولا نتفق معه في القول باصالة ترادفهما في اللغة وشأن الخفاجي هنا شأن اللغويين القدامى الذين يفهمون الترادف أو ينظرون اليه تبعا للوضع في اللغة وليس بسبب التطور الدلالي • ولم يذهب بعض اللغويين الى الفرق بل ان الكثرة منهم يذهبون الى ذلك كما رأينا • والخفاجي نفسه كان قد ذكر من قبل ان الكثير من اهل اللغة على تفرقة ثعلب[225] ؛ فنسي ما قاله هناك وناقض نفسه هنا •

نخلص من هذا كله الى القول بان الكلمتين من الالفاظ المتقاربة في المعنى وان ترادفهما نتيجة التطور الدلالي ، اذ ان الظل عام والفيء خاص على

---

(٢٢٣) المقصود به ابن بري •

(٢٢٤) شرح درة الغواص : ١٣٤ ـ ١٣٥ •

(٢٢٥) شرح درة الغواص : ٢٥ ـ ٢٦ •

(٢٢٦) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : ١٩٧

قول اكثرهم ، ثم استعملا بمعنى واحد على سبيل تعميم دلالة الخاص . وهذا ما اكدته ايضا الدراسة الحديثة في لحن العامة[٢٢٦] . وبهذا يكون التباين الذي ذكروه بينهما ، بحسب الاصل وبمقتضى الاشتقاق لاسيما وان القائلين بالتفرقة من اقدم اللغويين . ولاأدل على ذلك من حجة المفرقين بان الظل هو مطلق الستر ولأن : (اصل الفيء : الرجوع ... ومنه قيل للظل الذي يكون بعد الزوال فيء لانه يرجع من جانب الغرب الى جانب الشرق .)[٢٢٧] ويصدق عليها ما قلناه آنفا بشأن الخلاف في تباين وترادف الآل والسراب وسبب ذلك .

٦ ـ السنة والعام والحَوْل والحِجة :

ان اللغويين على خلاف في هذه الالفاظ من حيث القول بالتباين والترادف فيها . فثمة طائفة منهم تذهب الى ان هذه الالفاظ بمعنى واحد دون اي فرق بينها ، واخرى تقول بالتباين فيها . ولعل ثعلبا ـ ت ٢٩١ هـ ـ اقدم من فرق بين السنة والعام وذلك بقوله : (السنة من اي يوم عددتها فهي سنة والعام لا يكون الا شتاء وصيفا ، وليس السنة والعام مشتقين من شيء . فاذا عددنا من اليوم الى مثله فهو سنة يدخل فيه نصف الشتاء ونصف الصيف ، والعام لايكون الا صيفا وشتاء، من الاول يقع الربع والربع والنصف والنصف، اذا حلف لا يكلمه عاما لا يدخل بعضه في بعض ، انما هو الشتاء والصيف . والعام اخص من السنة فعلى هذا تقول : كل عام سنة وليس كل سنة عاما)[٢٢٨] وعلى هذه التفرقة كل من الجواليقي[٢٢٩] ـ ت ٥٣٩ هـ ـ وعبد اللطيف البغدادي[٢٣٠] ـ ت ٦٢٩ هـ ـ اللذين لاحظا استعمال الناس لهما بمعنى واحد ، فانكرا ذلك وحكيا الفرق بينهما على ما روى عن ثعلب . كما فرق بينهما ابو هلال العسكري ـ ت ٣٩٥ هـ ـ باكثر من فرق واحد ، تفرقة

(٢٢٧) اللسان مادة فيأ : ١٢٦/١

(٢٢٨) تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة ص ٨ وقد جاء هذا النص ايضا بشيء من التغيير الطفيف والنقص في شرح ادب الكاتب للمؤلف نفسه : ص٨٣.

(٢٢٩) المصدر السابق والصفحة نفسها .

تختلف عن تفرقة ثعلب السالفة : يقول العسكري : (الفرق بين العام والسنة ، ان العام جمع ايام والسنة جمع شهور ، الا ترى انه لما كان يقال ايام الزنج قيل عام الزنج ولما لم يقل شهور الزنج ، لم يقل سنة الزنج . ويجوز ان يقال : العام يفيد كونه وقتا لشيء ، والسنة لا تفيد ذلك . ولهذا يقال : عام الفيل ولا يقال سنة الفيل ، ويقال في التاريخ : سنة مائة وسنة خمسين ، ولا يقال عام مائة وعام خمسين ، اذ ليس وقتا لشيء مما ذكر من هذا العدد)[٢٣١].
وبعد هذه الفروق كلها يعود العسكري فيقول : (ومع هذا فان العام هو السنة ، والسنة هي العام ، وان اقتضى كل واحد منهما ما لا يقتضيه الآخر مما ذكرناه . كما ان الكل هو الجمع والجمع هو الكل ، وان كان الكل احاطة بالابعاض ، والجمع احاطة بالاجزاء)[٢٣٢] كذلك فرق العسكري بين السنة والحجة بقوله : (ان الحجة تفيد أنها يحج فيها ، والحجة المرة الواحدة من حج يحج ، والحجة فعلة مثل الجلسة والقعدة ، ثم سميت بها السنة كما يسمى الشيء باسم ما يكون فيه)[٢٣٣] . ومن هذا يتضح لنا مدى اختلاف فروق العسكري عن تفرقة ثعلب السالفة ومن تابعه عليها . وهي فروق غير لغوية ولا تتسم بالوضوح ، بل هي اقرب ما تكون الى المنطق وعلم الكلام منه الى الواقع اللغوي الصحيح ، الذي يجهل مثل هذه الفروق ، ناهيك عن اثر التكلف الواضح فيها وافتقاره الى الشواهد اللغوية الصحيحة القوية التي تدل بوضوح على مراعاة هذه الفروق في الاستعمال اللغوي . ولهذا نرى ان مثل هذه الفروق واهية بعيدة عن الحس اللغوي العام ، ولا ادل على ذلك من اعتراف العسكري نفسه صراحة ، بان العام هو السنة والسنة هي العام ، وان الحجة سميت بها السنة . فاذا كانت هذه الالفاظ كذلك ، فما قيمة تلك الفروق وجدواها ؟

---

(٢٣٠) ذيل فصيح ثعلب : ص ٤= ضمن كتاب فصيح ثعلب والشروح التي عليه
(٢٣١) الفروق اللغوية : ٢٢٤
(٢٣٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها
(٢٣٣) نفسه : ٢٢٤

ثم نجد من القائلين بالتفرقة ، الراغب الاصفهاني[٢٣٤] الذي ذكر ايضا غير فرق بين السنة والعام ؛ وهي تختلف تماما عما ذكره ثعلب والعسكري . فهو يقول (العام كالسنة ، لكن كثيرا ما يستعمل السنة في الحول الذي يكون فيه الشدة والجدب . ولهذا يعبر عن الجدب بالسنة ، والعام فيما فيه الرخاء والخصب ... وقيل سمي السنة عاما لعوم الشمس في جميع بروجها)[٢٣٥] . كما فرق الراغب الاصفهاني بين الحول والسنة بقوله :(والحول : السنة اعتبارا بانقلابها ودوران الشمس في مطالعها ومغاربها .)[٢٣٦] وهكذا نرى تعدد الفروق واختلافها بحسب آراء القائلين بها . ويصدق على فروق الراغب الاصفهاني ما قلناه حول فروق العسكري من انها ضعيفة وتتجاوز كثيرا حدود اللغة . فهذه الاعتبارات التي ذكرها الراغب غير معتبرة في الاستعمال ، ما عدا تفرقته الاولى بين السنة والعام التي هي في الواقع نتيجة الاشتراك اللفظي الحاصل في معاني السنة ، وليست تفرقة وضعية بينها وبين العام على وجه الاطلاق ؛ والسياق هو الذي يحدد لنا فيما اذا كان المقصود بالسنة الجدب لا العام . كما سيأتي بيان ذلك . بقي ان نشير الى ان السيوطي قد جعل السنة والعام من الالفاظ التي يظن بها الترادف وليست منه ؛ ثم اورد الفرق الاول الذي ذكره الراغب[٢٣٧] .

وقد ذهب كثير من اللغويين الى ان هذه الالفاظ بمعنى واحد ؛ مستشهدين على ذلك بما جاء في القرآن الكريم وعن الفصحاء العرب . فقد اورد عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني ـ ت ٣٢٠ هـ ـ هذه الالفاظ بمعنى واحد دون

---

(٢٣٤) اختلف في تاريخ وفاته ؛ فقيل سنة ٥٠٢ هـ وقيل سنة ٥٦٥ هـ . والارجح هو الاول .

(٢٣٥) المفردات في غريب القرآن : ٥٢٧ ؛ ٢٥٧ ـ ٢٥٨ . طبعة مصر .

(٢٣٦) المصدر نفسه : ١٩٢ . طبعة مصر .

(٢٣٧) الاتقان في علوم القرآن : ١/١٩٦ .

فرق بينها ، فذكر تحت باب ترادف السنة : (يقال : السنة ، والحول ، والعام ، والحجة . وفي القرآن العظيم : « ثماني حجج »[٢٣٨] وفيه : « يحلونه عاما »[٢٣٩] وفيه : « حولين كاملين »[٢٤٠])[٢٤١] كما نص ابو سهل الهروي ـ ت ٤٣٣ هـ ـ في شرحه لفصيح ثعلب على ان (العام والحول والسنة بمعنى واحد ، ويأتي كل واحد منها على شتوة وصيفة .)[٢٤٢] ولم يفرق محمد ابن يوسف التميمي ـ ت ٥٣٨هـ بين الاحوال والسنين[٢٤٣] . وقد ذكر الجواليقي في شرحه لادب الكاتب ان العام حول يأتي على شتوة وصيفة ،[٢٤٤] بيد انه فرق بين السنة والعام في كتابه التكملة ، معولا في ذلك على تفرقة ثعلب كما تقدم . فعقب عليه ابن بري ـ ت ٥٨٢هـ ـ في تحقيقاته على التكملة قائلا[٢٤٥] : (العام والسنة والحول والحجة عند العرب بمعنى . قال الله سبحانه : « بل لبثت مائة عام »[٢٤٦] وقال الربيع[٢٤٧] :

« اذا عاش الفتى مائتين عاما » . وقال الاخر[٢٤٨] :

---

(٢٣٨) سورة القصص آية ٢٧

(٢٣٩) سورة التوبة آية ٣٧

(٢٤٠) سورة البقرة آية ٢٣٣

(٢٤١) الالفاظ الكتابية : ٢٦٦

(٢٤٢) التلويح في شرح الفصيح : ٩٢ = ضمن فصيح ثعلب والشروح التي عليه

(٢٤٣) المسلسل في غريب لغة العرب : ٧٦

(٢٤٤) شرح ادب الكاتب : ٨٢

(٢٤٥) تكملة اصلاح ماتغلط فيه العامة للجواليقي : ٨ . لقد نشر محقق التكملة عزالدين التنوخي تحقيقات وتعليقات ابن بري على التكملة ضمن التكملة نفسها .

(٢٤٦) سورة البقرة آية ٢٥٩ .

(٢٤٧) هو ابن ضبع الفزاري وتمام البيت : فقد ذهب اللذاذة والفتاء .

(٢٤٨) البيت لسلمة بن الخرشب الفزاري ، وهنيدة اسم للمائة من الابل خاصة . (عن المحقق)

ونصر بن دهمان الهنيدة عاشها وتسعين حولا ثم قوم فانصاتا •

وقالت أخت طرفة :[٢٤٩]

عددنا له ستا وعشرين حجة فلما توفاها استوى سيدا ضخما •)

زد على ذلك اننا لا نجد في لسان العرب تلك الفروق والاعتبارات العديدة المختلفة التي ذكرها المفرقون ، باستثناء الفرق الذي ذكره الراغب من استعمال السنة في الغالب بمعنى الجدب • ويبدو ان هذه التفرقة رهن باستعمال معين ولا تظهر الا من خلال السياق ، لان الكلمة من المشترك اللفظي ، اذ تستعمل بمعنى العام تارة وبمعنى الجدب تارة اخرى • فليست هناك تفرقة وضعية مطلقة ، ولا ترادف مطلق بسبب هذا الازدواج في معنى السنة الذي تتوقف معرفته على السياق والمقصود من النص• وهذا مايفهم مما جاء في اللسان الذي ذكر المعنيين للسنة :(السنة واحدة السنين• قال ابن سيده : السنة العام ••• والسنة مطلقة : السنة المجدبة ، اوقعوا ذلك عليها اكبارا لها وتشنيعا واستطالة ، يقال : أصابتهم السنة ••• والسنة : الازمة ••• الاصمعي : ارض بني فلان سنة اذا كانت مجدبة وهي من الاسماء الغالبة نحو الدابة في الفرس والمال في الابل[٢٥٠]) •

وجاء في مكان آخر : (تقول : أسنى القوم يسنون اسناء ، اذا لبثوا في موضع سنة ، واستنوا اذا اصابتهم الجدوبة ، تقلب الواو تاء للفرق بينهما ••• والسنة من الزمن من الواو ومن الهاء ••• واصابتهم السنة : يعنون به السنة المجدبة •• وارض سنة : مجدبة على التشبيه بالسنة من الزمان ••• وأسنى القوم : اتى عليهم العام •)[٢٥١] وفيما عدا هذا لا نجد في اللسان تلك الفروق الأخرى ، بل على خلاف ذلك ، نجد فيه السنة بمعنى العام

---

(٢٤٩) ويروى تسعا وعشرين ، وفي الكامل : ١٤٦/١ طبع ليبسك:ستا وعشرين « عن المحقق » ص ٨

(٢٥٠) اللسان مادة سنة : ٥٠١/١٣ ــ ٥٠٢ •

(٢٥١) المصدر السابق مادة سنا : ٤٠٥/١٤ •

فقط كما في قول ابن سيده السابق • وفيه : (والحجة : السنة)[٢٥٢] وفيه : (الحول : سنة بأسرها)[٢٥٣] وفيه : (العام : الحول يأتي على شتوة وصيفة)[٢٥٤] فالتسوية هنا واضحة بين هذه الألفاظ ، اذ يفسر اللسان الواحدة بالاخرى دون اي فرق • كذلك لم نجد تلك الفروق والاعتبارات في تفسير الزمخشري ؛ حين عرض لتفسير الآيات الكريمات اللواتي وردت فيهن هذه الالفاظ ، اذ نجده لا يفرق بينها البتة • بل ان كلامه في هذه المواضع ليدل على ان لا فرق بينهما[٢٥٥] فهو يستعيض عن ذكر الواحدة بالاخرى في اثناء شرحه ، كتفسيره الحجج بالسنين[٢٥٦] في قوله تعالى : « على ان تأجرني ثماني حجج »[٢٥٧] وكتفسيره العام بالسنة[٢٥٨] دون اشارة الى اي فرق وذلك في قوله تعالى : « فأماته الله مائة عام ثم بعثه »[٢٥٩] وفي قوله تعالى : « قال بل لبثت مائة عام »[٢٦٠] كما ان الزمخشري لم يشر الى أية تفرقة دلالية بين السنة والعام اللتين اجتمعتا في قوله تعالى : « فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما »[٢٦١] فان الذي ذكره حول اجتماعهما في هذه الآية هو : (فان قلت : فلم جاء المميز اولا بالسنة وثانيا بالعام ؟ قلت : لان تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة ؛ الا اذا وقع ذلك لاجل

(٢٥٢) اللسان مادة حجج : ٢/ ٢٢٧ •
(٢٥٣) اللسان مادة حول : ١١/ ١٨٤ •
(٢٥٤) اللسان مادة عوم : ١٢/ ٤٣١ •
(٢٥٥) الكشاف : ١/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩ ، ٢٨٨ ـ ٢٨٩ ، ٦٦٦ ، ٦٢١ ، ٣٠٥ ـ ٣٠٧ و ٢/ ٣٢٤ ، ٤٧٧ : ٣/ ١٦٣ ، ٤٠٥ ، ٥٠٧ ـ ٥٠٨ •
(٢٥٦) الكشاف : ٣/ ٤٠٥ •
(٢٥٧) سورة القصص آية ٢٧ •
(٢٥٨) الكشاف : ١/ ٣٠٥ ـ ٣٠٧ •
(٢٥٩) سورة البقرة آية : ٢٥٩ •
(٢٦٠) سورة البقرة آية : ٢٥٩ •
(٢٦١) سورة العنكبوت آية ١٤ •

غرض يتحيه المتكلم من تفخيم او تهويل او تنويه او نحو ذلك .)[٢٦٢]
والى مثل هذا ذهب احمد بن المنير الاسكندري[٢٦٣] .

فالزمخشري هنا وصاحب الانتصاف لم يجعلا المخالفة بين هذين اللفظين في الموضع الواحد لاجل افادة معنى او بسبب فارق معنوي بينهما ، وانما جعلاها لغرض بلاغي هو اجتناب التكرار المعيب . وهذا يذكرنا بفوائد الترادف التي قال بها اللغويون والمتمثلة في ذكر الالفاظ المختلفة ، ذات المعنى الواحد في النص الواحد ، لئلا يكون ثمة تكرار للفظ بعينه .

وفيما يتعلق بتفسير القرطبي ، فلا نجد فيه مثل تلك الفروق السالفة الذكر ، بل يفهم بوضوح من كلامه حول الايات الكريمات اللواتي جاءت فيهن هذه الالفاظ ، أن لا فرق بينها . فهو تارة يستعمل الواحدة مكان الاخرى في اثناء شرحه وتارة ينص على تفسير اللفظة بالاخرى دون فرق ، وذلك كما في تفسير قوله تعالى « والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين »[٢٦٤] الذي يقول فيه : (حولين : اي سنتين ، من حال الشيء اذا انقلب ، فالحول منقلب من الوقت الاول الى الثاني . وقيل : سمي العام حولا لاستحالة الامور فيه في الاغلب[٢٦٥]) . ولم يفرق القرطبي بين الحول وغيرها من هذه الالفاظ ، وقد استعمل السنة بدلا منها [٢٦٦] وذلك في كلامه على قوله تعالى : « ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول »[٢٦٧] . كما يفهم من كلام القرطبي ان الحجة والسنة والعام بمعنى واحد ، فهو يقول في قوله تعالى : « على ان تاجرني ثماني حجج » ان شعيبا جعل الثمانية الاعوام

---

(٢٦٢) الكشاف : ٣/٤٤٥ — ٤٤٦ .
(٢٦٣) الانتصاف المطبوع بذيل الكشاف : ٣/٤٤٦ .
(٢٦٤) سورة البقرة آية ٢٣٣ .
(٢٦٥) الجامع لاحكام القرآن : ٣/١٦١ .
(٢٦٦) المصدر نفسه : ٣/٢٢٦ — ٢٢٨ .
(٢٦٧) سورة البقرة آية ٢٤٠ .

شـرطا[٢٦٨] • فيفسر هنا الحجج بالاعوام • وينص في مكان آخر[٢٦٩] على ان : الحجج : السنون • ثم يستشهد بقول الشاعر :[٢٧٠]

لمـن الديـار بقنـة الحجـر أقويـن مـن حجـج ومن دهـر

وفي تفسيره لقوله تعالى : « فأماته الله مائة عام » ينص على ان العام : السنة • وان قولهم : سنون عوّم هو تأكيد للاول[٢٧١] • ولم يشر القرطبي ايضـا الى أية تفرقة بين السنة والعام[٢٧٢] اللتين اجتمعتا في قوله تعالى : « فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما » مما يؤكد انهما بمعنى واحد •

وفي خاتمة هذا العرض لا راء اللغويين والمفسرين ومناقشتها ومن متابعة طرائق الاستعمال اللغوي لهذه الالفاظ ، نخلص الى القول بان الكثرة من العلماء يسوون بين هذه الالفاظ من حيث الدلالة ، يؤيدهم في ذلك الواقع اللغوى وكثرة الشواهد التي لا سبيل لانكارها ، وان قلة منهم يفرقون بينها • وقد سبق ان رأينا تعدد هذه الفروق واختلافها من واحد لاخر ، ومن ثم عدم اتفاقهم على فرق بعينه ، ولاحظنا ضعف الشواهد ، وقلتها على بعضها وافتقار الاخرى الى الشواهد اللغوية • يزاد على هذا بُعْد تلك الفـروق والاعتبارات عن مقياس الحس اللغوي العام وتجاوزها حدود اللغة كثـيرا كما أسلفنا •

ويدل هذا كله على عدم وجاهة هذه الفروق من الناحية اللغوية وعـلى أثر الاجتهاد والتكلف فيها ، ومن ثم مخالفتها للاستعمال القرآني • ومن بين الترادف الحقيقي وما هو ليس منه • على حين اعتدل بعضهم واقتصد مراعيا النظرة اللغوية الحديثة للترادف • كما لاحظ المستشرقون وبعض الباحثين

---

(٢٦٨) الجامع لاحكام القرآن : ٢٧٥/١٢ ــ ٢٧٩ •
(٢٦٩) المصدر نفسه : ٢٧٩/١٢ ــ ٢٨٠ •
(٢٧٠) هو زهير بن ابي سلمى • ويروى : ومن شهر •
(٢٧١) الجامع لاحكام القرآن : ٢٩١/٣ •
(٢٧٢) المصدر نفسه : ٣٣٢/١٢ وما بعدها •

اجل هذا لا تردد في القول بترادف هذه الالفاظ . وان سلمنا ببعض هذه الفروق جدلا ، فمن السهل تفسير ترادفها نتيجة التطور في الاستعمال ، وذلك بتعميم دلالة العام فيكون عندئذ مرادفا للسنة ، اذ ان العام اخص من السنة على رأي ثعلب كما مر بنا . وفي ضوء التطور الدلالي ايضا يمكن تفسير استعمال الحجة بمعنى السنة او العام ، وذلك ان الحجة تقع في السنة ، ثم سميت بها السنة ، وهذا من باب تسمية الشيء باسم ما يكون فيه . وقد اعترف العسكري صراحة بتسمية السنة حجة على هذا الوجه ، بيد انه حافظ على الاصل . وهذا المسوغ في التسمية هو في حقيقته على سبيل المجاز المرسل للعلاقة الزمانية ، وهو من أوجه تطور دلالة الالفاظ .

آراء المحدثين :

يكاد الدارسون المحدثون من العرب يجمعون على وقوع الترادف والتسليم به فنجد أن اغلبهم يؤكدونه بوصفه أمرا واقعا لا يمكن دحضه ، ويرون أن انكاره انكارا تاما مذهب لا تؤيده النصوص والشواهد اللغوية ، وأنه شيء ثابت في العربية لا تخطئه عين ولا تخلو منه لغة قل أو كثر[٢٧٣] . ولكن معظم المحدثين جارى القدامى في النظر الى الترادف تبعا للوضع في اللغة ، فاغفلوا أثر التطور الدلالي في الترادف وفي توجيه القول بالتباين . وقد صنف بعضهم في الترادف على نحو ما فعل القدامى فأسرفوا فيه وخلطوا الاجانب هذه الظاهرة في العربية فاثارت دهشتهم ولم ينكروها بيد ان

(٢٧٣) انظر : في اللهجات العربية : ص ١٦٦ وما بعدها ، وفصول في فقه العربية ، ص ٢٧٨ ، وكلام العرب : ص ١٠٢ ورواية اللغة : ص ٢٢٠ ، ودلالة الالفاظ : ص ٢١١ وما بعدها ودراسات في فقه اللغة : ص والتضاد في ضوء اللغات السامية ، د. ربحي كمال : ص ٥ ، والوجيز في فقه اللغة : ص ٢٨٣ ، ومحاضرات في فقه اللغة للاستاذ الراضي : ص ١٧٩ والالفاظ اللغوية خصائصها وانواعها : ص ٧٦ ، وعلم اللغة د. وافي ص وفقه اللغة : وافي : ص والمفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام د. جواد علي : ٥٥١/٨ وما بعدها .

مواقفهم قد تباينت ازاء كثرتها . ومن هؤلاء المستشرق الروسي ف . م بيلكين[٢٧٤] ، والمستشرق الفرنسي بلاشير[٢٧٥] ، والمسيو مرسيه[٢٧٦] ، واوتو كلينيراغ[٢٧٧] ، واللغوي الانكليزي(H.A. Gleason Jr.)[٢٧٨] ، ومع هذ لا تعدم أن نجد من المحدثين عربا كانوا او مستشرقين من أنكر الترادف بمعناه التام أو من صنف في الفروق ، محاولا تأويل هذا الامر وتوجيهه على شاكلة المنكرين من القدامى . فقد ذكر الاب المستشرق هنريكوس لامنس أن (كل لغة تشتمل على مترادفات ، وكلم في المعنى متشابهات . غير أن الترادف التام مما يستحيل كيانه ، ويمتنع في الوضع اتيانه . اذ يترتب عليه ان تكون اللغة الواحدة لغتين ، ويصير اللسان الفرد لسانين . والعربية داخلة في السنة التي ذكرناها ، غير خارجة عن الطريقة التي أوردناها . وانما هي بحر طافح بالالفاظ المتقاربة المعنى ، زاخر بالكلم المتشاكلة في المدلول والمغزى ، حتى يختلط على الكاتب ان يفرق بينها ، وكثيرا ما يستعجم عليه استعمالها في حينها)[٢٧٩] كما ذكر الاستاذ حفني ناصف أن الناظر اذا امعن نظره تبين له أن لا ترادف في الحقيقة لأن العرب شعوب وقبائل ، ولكل شعب ألفاظ محصورة وضعها واضعهم ليتقاضوا بها أغراضهم ، ولا ضرورة في تقاضي الاغراض الى وضع أزيد من لفظ واحد لكل معنى . فالذين يسمون السبع اسدا لا يسمونه ليثا ، والذين يقولون مدية لا يقولون سكينا ، واذ لا تمس الحاجة الى ذلك فالحق أن الترادف في اللغات ليس طبيعيا ولا وجود له متى وجهنا النظر الى كل قبيلة على حده وانما هو أمر يحدث عند

---

(٢٧٤) مجلة المورد المجلد الثالث ، العدد الاول ، سنة ١٣٩٤هـ — ١٩٧٤م ص ٥٩ وما بعدها .

(٢٧٥) تاريخ الادب العربي ، ر. بلاشير : ٢/٢١٣ .

(٢٧٦) النثر الفني في القرن الرابع ، د. زكي مبارك : ٢/٦٤ .

(٢٧٧) علم النفس الاجتماعي : ١/٧١ — ٧٢ .

(٢٧٨) Linguistics and English Grammar, by H.A. Gleason, Jr., p. 428 — 429.

(٢٧٩) فرائد اللغة الجزء الاول في الفروق : ص ٥ .

النظر الى كافة القبائل وعموم الشعوب(٢٨٠) . ولا نرى جديدا في هذا الرأى لتعويله على الوضع في نفي الترادف وتجاهله فعل التطور اللغوي ؛ ناهيك عن أثر النظرة العقلية فيه . وقد فاته ان كون العرب شعوبا وقبائل وما كان من أمر اختلاطها وتداخل لغاتها وما نتج عن ذلك من اثر في العربية المشتركة مدعاة للقول بوقوع الترادف . والغريب انه بعد ان انكر الترادف ذهب يتحدث عن اسبابه وفوائده في اللغة .

ولعل الجديد في النظر الى الترادف ما ذكره الدكتور محمود فهمي حجازي بانه في ظل مبدأ نسبية الدلالة لا يمكن ان تكون هناك كلمات تتفق في ظلال معانيها اتفاقا كاملا ؛ ومن الممكن ان تتقارب الدلالات لا اكثر ولا أقل . فالالفاظ المترادفة هي بهذا المعنى الالفاظ ذات الدلالات المتقاربة(٢٨١) .

وان اكثر الادباء والنقاد المحدثين(٢٨٢) ، الذين انكروا الترادف التام هم اكثر تعلقا بهذا الرأى لاتفاقه مع نظرتهم الى دلالة الالفاظ ؛ تلك النظرة التي تستشف ايحاءات الكلمة من ظلال وألوان ومشاعر وانطباعات وجدانية ؛ وما تثيره في النفس من تداعي المعاني المختلفة . ولا تعنى بالدلالة اللغوية العامة المتعارف عليها للالفاظ وحسب . ولهذا يستحيل عندهم وجود كلمتين بمعنى واحد تتفقان من حيث الظلال والاثارة والايحاء اتفاقا كاملا لأن هذه

---

(٢٨٠) مميزات لغات العرب : ص ٢٦ — ٢٧ .

(٢٨١) علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة : ص ٩٧ — ٩٨ .

(٢٨٢) في الادب والنقد ، د. محمد مندور : ص ٢٢ — ٢٤ ؛ ٢٦ — ٢٧ وفي النقد الادبي د. شوقي ضيف : ص ١٢٩ . والتفسير البياني للقرآن الكريم د. بنت الشاطيء : ص ٥ — ٦ وفي اللهجات العربية : ص ١٦٩ . ودلالة الالفاظ : ص ٢١١ . نقد الشعر العربي الحديث في العراق من ١٩٢٠ — ١٩٥٨ ، عباس توفيق رسالة ماجستير ص ٢٧٥ — ٢٧٦ ؛ ٢٧٨

The Language poets ues by : Winifred Nowottny, p. 3 — 6,; و p. 99 — 123.

تختلف من شخص الى اخر • وهذا هو سبب انكار الغالبية من الادباء والنقاد للترادف بمعناه التام •

وهذه نظرة تبتعد بالألفاظ عن حقيقتها الخارجية أعنى دلالتها اللغوية الاجتماعية العامة وتُعْنَى بالناحية الوجدانية والنفسية متأثرة بالنوازع الذاتية للفرد والخلجات الحسية ، وما تبعثه في اعماق النفس من خواطر ومشاعر وبذلك تتباين الالفاظ في معانيها تبعا للتصور الشخصي والانطباع الذاتي الذي يختلف باختلاف الناس •

واذا كان أهل الادب والنقد وأصحاب علم النفس من المعنيين بالمسائل الوجدانية والنفسية ، فان اللغوي لا يعنيه الا الدلالة اللغوية المشتركة بين الناس جميعا وهي التي بمقتضاها يتم التفاهم بينهم وذلك باعتبار اللغة نوعا من التجريد وضربا من التصنيف • ولة أخذنا بهذه النظرة لتعذر التفاهم بين الناس ولاستحال اتفاقهم حتى على معنى الكلمة الواحدة ، فكل واحد يرى فيها ما لايراه الاخر • وكأنه ليس للفظة معنى محدد تماما ومتفق عليه •

ولعل من المفيد ان نعرض هنا بايجاز الى مواقف الباحثين الاجانب بشأن وقوع الترادف في اللغة والخلاف فيه،بغية تعرّف آرائهم والاستئناس بأقوالهم تتمة للبحث واستكمالا لصورة الخلاف في هذه المسألة • وهذا ما تناوله ستيفن اولمان(Stephen Ullmann) بالتفصيل حيث افرد فصلا خاصا بعنوان :(Synonym)أي الترادف[٢٨٣] أورد فيه اراء طائفة من علماء اللغة حول هذا الموضوع ثم ناقشهم في ذلك ومما ذكره ان الدكتور (Dr. Johnson) يرى ان الكلمات نادرا ما تكون مترادفة بصورة تامة • ولقد عبر ماكولي (Macaulay) عن الفكرة نفسها قائلا : غير تركيب الجملة واستبدل مرادفا بآخر ، فحينئذ يتغير الجوهر الكلي للجملة وغالبا ما

---

(٢٨٣) وذلك في كتابه

Semantics an Introduction to the Science of meaning, p. 141 — 155.

كما عرض له في كتابه : دور الكلمة في اللغة ص ٩٧ وما بعدها .

يقال في فقه اللغة المعاصر انه لا يوجد ترادف تام . وعند بلوم فيلد (Bloom Field) ان كل صيغة لغوية لها معنى محدد وثابت ، فاذا كانت الصيغ اللغوية مختلفة من الناحية الفونيمية[٢٨٤] فانا نعتقد ان المعنى مختلف ايضا ، وباختصار نرى انه لا توجد مترادفات حقيقية[٢٨٥] وقد سبق ان تكلم بلوم فيلد وبريل (Breal) على قانون التوزيع في اللغة وهو الذي بمقتضاه تكتسب الكلمات التي كانت مترادفة او التي ستصير مترادفة معاني مختلفة ، ولا تعد قابلة للاستبدال . وقد انتهى استيفن اولمان بعد هذه الآراء الى القول بانه على الرغم من وجود قدر من الصحة في هذه الاقوال ، فان من الخطأ انكار امكانية حدوث الترادف التام . حيث ان هذا مناقض للظاهر بصورة كافية ، لانه من الممكن ان نجد الترادف التام على الاقل في المصطلحات العلمية . فحقيقة كون المصطلحات العلمية محددة بشكل دقيق ومجرد من الناحية العاطفية تمكننا من اكتشاف ان الاثنين منهما يمكن استبدال احدهما بالآخر بصورة تامة ، وان الترادف التام هو قليل على أية حال . كما ان الدراسات الحديثة حول نشوء علم المصطلحات الصناعية والفنية قد بينت ان هناك عدة مترادفات تظهر احيانا للاختراع الجديد ، ومن ثم تصنف وتوزع في آخر الأمر . ومثل هذا الترادف قد يستمر حقبة غير محددة[٢٨٦] .

---

(٢٨٤) الفونيمة Phoneme : احدى وحدات الكلام الصغرى التي تساعد على تمييز نطق لفظة ما عن نطق لفظة اخرى في لغة او لهجة ، مثلا : الـ p. في Pin والـ f. في fin هما فونيمتان مختلفتان . عن المورد ، منير بعلبكي ص ٦٨٢ ، ط ٦ .

(٢٨٥) وقد ذهب فيرث ايضا الى مثل هذا الراي ، دور الكلمة في اللغة ص ١٠٩ الهامش .

(٢٨٦) Semantics An Introduction to the Science of Menning. p. 141 — 142.

وقد ذكر ايضا في كتاب آخر له ان : (الترادف التام ـ بالرغم من عدم استحالته نادر الوقوع الى درجة كبيرة . فهو نوع من الكماليات التي لا تستطيع اللغة أن تجود بها في سهولة ويسر) . دور الكلمة في اللغة ص ٩٧ .

كما ذكر ان الانسان نادرا ما يكون متأكداً من معرفة المعنى وتحديده في اللغة الاعتيادية ، اذا كان الموضوع شائكا لما يشوبه من الغموض والابهام والمعاني الاضافية المثيرة . وعلى الرغم من هذه العوائق فاننا نستطيع احيانا ان نجد كلمات يمكن استبدال الواحدة بالاخرى في كل الاغراض والمعاني ، ولهذا عدت الكلمات مثل: Almost and Nearly من المترادفات التامة . والحق أن الترادف التام يقف مناقضا لطريقتنا الكلية في نظرتنا الى اللغة ، فعندما نرى كلمات مختلفة فمن البديهي ان نفترض انه ينبغي ان يكون هناك اختلاف في المعنى ايضا . وفي الحقيقة ان هناك في اغلب الحالات اختلافا حتى اذا كان من الصعب صياغته . وهناك كلمات قليلة جدا هي مترادفة بصورة تامة من حيث كونها قابلة للاستبدال في اي سياق لغوي دون تغيير في المعنى المقصود وفي القيمة الحسية المثيرة للعواطف والمشاعر[٢٨٧] . وقد ذكر المؤلف ايضا في كتاب آخر له ان الترادف التام حالة نادرة الوقوع بداهة . فقد نجد اسمين يمكن التأكيد بسهولة على انهما شيء واحد ، ولكن من الصعب ان تثبت تساوي أي معنيين في الامتداد من حيث الزمان والمكان . فهناك عاملان يعترضان سبيل الترادف التام الاول غموض معنى الكلمة نفسها ، والثاني المعاني الاضافية مما توحي به الكلمة من احساس وشعور . فالكلمات التي يمكن ان توصف بانها مترادفة هي تلك الكلمات التي يمكن ان تنوب احداها عن الاخرى في اي نص لغوي ، دون أقل تغيير في المعنى الفكري والمضمون العاطفي لهما[٢٨٨] .

وقد ذهب ترنش Trench الى رأى مماثل لما ذكره اولمان ، بقوله : ان (المترادفات لا تستعمل في العادة مع النظر الى ما بينها من فروق دقيقة لاننا دون ان نجرؤ على انكار انه قد يجوز ان يكون هناك كلمات حقيقية الترادف، نرى ان مثل هذه الكلمات لا يستطاع البحث عما بينها من فروق ؛ لعدم وجود هذه الفروق)[٢٨٩] .

---

(٢٨٧) Op. Cit., p. 142.

(٢٨٨) The principles of semantics, by Stephen Ullmann, p. 108.

(٢٨٩) مجلة مجمع اللغة العربية الملكي ، جـ ١ ص ٣٠٨ ، سنة ١٩٣٤ .

وثمة باحثون آخرون عرضوا لظاهرة الترادف وناقشوا مسألة وقوعها في اللغة ، وذلك وفق مناهجهم الخاصة في فهم المعنى والنظر اليه من زوايا مختلفة ؛ فابدوا وجهات نظر لا تخلو من وجاهة . ومن هؤلاء : وليم الستن William P. Alston الذي ذكر انه غالبا ما يقال ان من المتعذر وجود كلمتين مترادفتين بصورة تامة . وهذا التعذر او على الاقل الصعوبة البالغة امر يتمثل في تعريفات المعنى . ويرى ان الكلمتين تكونان مترادفتين حينما يمكن استبدال الواحدة بالاخرى في الجمل دون حدوث اي تغيير في المعنى . ثم بين العوامل التي تمنع وقوع الترادف التام فذكر ان السبب الرئيس في الصعوبة التي تحول دون ذلك يكمن في ان جميع الكلمات لها اكثر من معنى واحد ؛ من الناحية العملية في الاستعمال . وكلما كثرت المعاني التي تعطيها الكلمة الواحدة بَعُدَ احتمال ايجاد كلمة اخرى تحمل سلسلة المعاني نفسها . وذلك نحو كلمتي ill and sick اللتين تحملان المعنى نفسه في جمل كثيرة ولكن ثمة استعمالات خاصة لهما لا يمكن فيها استبدال الواحدة بالاخرى . وهكذا فان عقبات حصول الترادف التام تعزى الى النقص الحاصل في تطابق المعاني بشكل محدد وواضح . وحتى اذا قيدنا انفسنا بتلك السياقات التي تبدو فيها الكلمتان بمعنى واحد تماما ، فان هناك عدة اختلافات في استعمال تلك الكلمات . واذا كانت تلك الاختلافات هي اختلافات في المعنى ، فربما سنواجه نتيجة غير مريحة ، وهي انه لا توجد لفظتان لهما معنى واحد في سياق معين[٢٩٠] .

وتعزى هذه الاختلافات الى الاعتبارات الآتية[٢٩١] :

١ ـ المحيط الاجتماعي ، حيث تكون كلمة معينة اكثر ملائمة من سواها في المقاييس الاجتماعية . كما يبدو هذا الاختلاف مثلا في كلمتي : ill and sick فكلمة ill اكثر مناسبة في الحديث المؤدب .

(٢٩٠) Philosophy of language, by William P. Alston, p. 44 — 54.

(٢٩١) Ibid., P. 45 — 46.

ويبدو هذا الاختلاف اكثر وضوحا وقـوة في كلمتـي :
perspir and sweat وكل كلمتين مترادفتين تقريبا يبدو فيهما هـذا الاختلاف الى حد ما .

٢ ـ تداعي المعاني : قد تستدعي كلمة معينة الى الذهن معاني لا تستدعيها مرادفتها ؛ وكثير من الامثلة تبين هذا النوع من الاختلاف بين المترادفات بحسب تداعي المعاني ، ولكن ليس من السهولة في اغلب الكلمات اعطاء صيغة تامة لايضاح ذلك . ويبدو هذا الاختلاف مثلا في كلمتي :
ground earth فكلمـــة earth تشتمل على عدة انواع من المعاني المترابطة نحو : الارض الام ، خصوبة الارض ، خصال الناس مصـدر الوجود ، في حين لا تعطي كلمة : """"""هذه المعاني ولا تفـي بهـذه الاغـراض .

٣ ـ الدافع الانفعالي التأثري : نستطيع ايجاد كلمتين تبدوان مترادفتين بعيدا عن حقيقة كون الواحدة منهما تحمل موقفا أو قيمة معينة ، بينما تحمل الاخرى قيمة مغايرة او لا تحمل قيمة اطلاقا . ومثال ذلك كلمتا :
cheap and inexpensive وينبغي تمييز الحالات التي تكون فيها قوة الموقف هي الاختلاف المحتمل الوحيد في المعنى من الحالات الاخـــرى التي تؤثر في هذا الاختلاف . واذا كان كل اختلاف بين الكلمات اختلافا في المعنى ؛ فانه لا يوجد ترادف تام في المعنى بين اي كلمتين حتى لو قيدنا انفسنا بمعنى واحد لكل كلمة .

وبعد ذلك يعقب المؤلف على ما اورده من عقبات تمنع وقوع الترادف التام فيتساءل هل هذه الاختلافات هي اختلافات في المعنى ؟ ثم يخلص الى ان هناك مجادلات مقبولة في هذا الشأن يمكن ترتيبها في نظرتين : الاولى لا تحتم الاخذ بتداعي المعاني عند اطلاق الكلمات ويكتفى بالمعنى العام لها . فعند اخبار شخص ما بما تعنيه كلمة : earth فاننا لا نأخذ بالحسبان تداعي المعاني الذي تثيره هذه الكلمة بصورة نموذجية . اي اننا لا نعتد بحقيقة الكلمة ولا نقصد

كل معانيها على وجه الدقة والتخصيص • وتبعا لهذه النظرة فان فكرة المعنى اللغوي لكلمة معينة تتمثل في استعمالها بمعناها العام بغض النظر عن الاعتبارات الاخرى •

واما النظرة الثانية فهي بخلاف الاولى حيث تعوّل على الدقة والتخصيص في المعنى اللغوي آخذة بنظر الاعتبار كل الجوانب التي تؤثر في المعنى ، وما توحي به الكلمة وما يلازمها من معان ، ولا تحفل بالاستعمال المتداول للالفاظ في حياتنا اليومية ؛ وحتى الموجود في المعاجيم اللغوية فانه يعد الى حد ما شأنا بسيطا لا يمكن الاخذ به بامان دليلا في المواضيع النظرية • ذلك ان المعاجيم لم تعمد الى مراعاة التخصيص والدقة في استعمال الالفاظ ، وأغفلت اعتبارات اخرى في المعنى مكتفية بالمعنى العام للالفاظ •

فاذا كانت فكرة المعنى اللغوي لمعرفة كلمة معينة تقوم على اساس الدقة والتخصيص واستعمالها بصورة صحيحة ؛ فيجب ان يصدق هذا على كل الاستعمالات والالفاظ المتداولة في حياتنا اليومية والمعاجيم ؛ والا نكون قد استعملنا الكلمات بصورة غير صحيحة قياسا الى هذه النظرة[٢٩٢] •

وهكذا يتبين لنا ان هذه العقبات التي تحول دون وقوع الترادف التام تتعلق بفكرة المعنى اللغوي وتحليله ومن ثم النظر اليه من زوايا متعددة وذلك من حيث الجوانب النفسية والعاطفية والاجتماعية وغيرها • فهذه الاعتبارات التي أثارها المؤلف انما هي اعتبارات نظرية مثالية في الغالب مبعثها الاختلاف في وجهات النظر الى المعنى اللغوي وما يكتنفه من اشكال وملابسات ؛ مردها الى طبيعة واختلاف المعنى الضمني الكامن (illocutionary acts) الذي لعلم المنطق وعلم الاخلاق علاقة بتحليله والذي هو من اهتمامات فلسفة اللغة التي تعنى بذلك التحليل[٢٩٣] •

(٢٩٢) Op. Cit., p. 46.

(٢٩٣) Philosophy of language, p. 47—48.

وواضح ان النقطة الاخيرة « المعنى العاطفي » (emotive force) تصدق على اللغة المنطوقة لا المكتوبة وذلك لتعلقها بطريقة الاداء والنطق وحالة المتكلم عند حديثه . والحق ان الترادف التام يكاد ينعدم في اللغة المنطوقة ؛ لأن طريقة التعبير وكيفية اداء الكلمات ونبرة المتكلم وحالته النفسية والموقف ، وحتى درجة صوته تؤثر في السامع اكثر من حقيقة تأثير معاني الكلمات نفسها بما تضفيه من معان والوان مختلفة وتأثيرات متباينة اكثر من حقيقة القول نفسه . على حين تنعدم مثل هذه الامور تماما في اللغة المكتوبة ؛ لانه من غير الممكن تلمس هذه الامور والوقوف عليها ، ومن هنا ينبغي التفريق بين الترادف في اللغة المنطوقة عن الترادف في اللغة المكتوبة .

وقد قام البروفسور كولنسن (W.E. Collinson) بمحاولة ممتعة لبيان الاختلافات المهمة بين المترادفات فاحصى تسعة انواع من الاحتمالات التي توضح امكانية التفاوت بين المترادفات ، وتتلخص في النقاط الآتية :[٢٩٤]

١ ـ ان تكون الكلمة أكثر شمولا من الاخرى نحو : (refuse - reject)

٢ ـ ان تكون الكلمة اكثر قوة من الاخرى نحو : (repudiate - refuse)

٣ ـ ان تكون الكلمة اكثر اثارة للانفعال والعواطف من الاخرى نحو : (reject - decline)

٤ ـ ربما تشير الكلمة الى استحسان خلقي او استهجان ، في حين تخلو الاخرى من هذه الاعتبارات : (thrifty - economical)

٥ ـ ان تكون الكلمة اكثر استخداما من سواها نحو : (decease - death)

٦ ـ ان تكون الكلمة افضل من مرادفتها وارق اسلوبا من حيث التعبير الادبي نحو : (passing - death)

٧ ـ ان تكون الكلمة اكثر عامية من الاخرى نحو :: (turn down - refuse)

---

(٢٩٤) Semantics an introduction to the science of Meaning, p. 142 — 143.

٨ ـ ان تكون الكلمة اكثر محلية من الاخرى نحو :
(flesher - butcher)

٩ ـ ان تكون احدى الكلمات المترادفة ذات صلة بلغة الطفل نحو :
(daddy - father)

ويلاحظ ان بعض هذه الاختلافات متشابهة في مؤداها ويمكن جمعها تحت مسألة واحدة وذلك كما في النقطتين الثالثة والرابعة اللتين تدلان على اختلاف خلقي ، في حين ان النقاط الخامسة والسادسة والسابعة تتعلق بالمعنى العاطفي وتأثيراته . ويلاحظ على بعضها ايضا الخلط بين مستويات عدة كخلطها بين الفصحى والعامية ولهجة الطفل . واللهجة وحديث الطفل هما حقيقة بعيدتان عن الانكليزية الفصحى كما يقول ستيفن اولمان . وتتضمن بعض هذه النقاط اختلافات غير معنوية بين المترادفات فيما يخلط بعضها بين المعاني اللغوية الموضوعية والجوانب الاخرى من اعتبارات عاطفية واجتماعية واخلاقية وادبية تعبيرية . ومجمل القول ان هذه المحاولة في التفريق بين الالفاظ المترادفة لم تقتصر على المعنى اللغوي المحض ، بل تجاوزته الى اعتبارات اخرى مختلفة . وهذا ما اشار اليه ستيفن اولمان في تعقيبه على هذه الفروق وفي كشفه عن طبيعتها(٢٩٥) .

ونجد غير هؤلاء من الباحثين الاجانب ممن يقولون بنفي الترادف التام ايضا مستدلين على ذلك بظلال المعاني وايحاءات الكلمة وتداعي المعاني وغير ذلك تبعا لمناهجهم في النظر الى المعنى اللغوي وتحليله كما يتضح ذلك عند ريتشاردز I.A. Richards واوجدن C.K. Ogden في تناولهما المعنى اللغوي من الناحية النفسية(٢٩٦) .

---

(٢٩٥) Op. Cit., p. 143.

(٢٩٦) Linguistics and English Grammar, by H.A. Gleason Jr., p. 429. The Meaning of meaning, by C.K. Ogden & I.A. Richards, p. 92, 126, 206. A comprehensive English Grammar for Foreign Students, by C.E. Eckersley, M.A. and J.M. Eckersley M.A., p. 428.

وخلاصة القول ان اغلب الباحثين الاجانب يستبعدون كثيرا وقوع الترادف التام في اللغة ، ويرونه في الالفاظ المتقاربة في الدلالة . على حين يرى بعضهم ان الترادف التام واقع في اللغة ولكنه نادر الحدوث ، ومرد اختلافهم في ذلك الى تباين نظراتهم الى فكرة المعنى اللغوي وذلك في ضوء مناهجهم النفسية والاجتماعية والمنطقية والفلسفية .. ولعل اهم العقبات التي ذكرها المنكرون والتي تحول دون وقوع الترادف التام تتمثل في المعاني الاضافية والجوانب العاطفية والاسلوبية وفي ايحاءات الكلمة وما الى ذلك من الاعتبارات .

ويبدو ان صعوبة حصول الترادف التام مبعثها ان هؤلاء لا يشترطون التطابق الكلي في معاني المترادفات حسب ، وانما يرون ان مقياس الترادف الحقيقي يقوم على مبدأ الاستعاضة ، وهو ان تستبدل الكلمة بما يرادفها في النص اللغوي دون اي تغيير في المعنى .وهذا هو المفهوم الدقيق للترادف في فقه اللغة المعاصر كما اسلفنا . فهناك كثير من الالفاظ التي تدل على معنى واحد ولكنها تختلف من حيث الاستعمال فلا يمكن ان نستعيض عن الواحدة بالاخرى في جميع الاستعمالات . ولعل اقرب مثال على ذلك في العربية الفاظ الحرب والوغى والهيجاء فهي بمعنى واحد . ولكننا نقول مثلا : « الحرب النفسية » ولا يجوز ان نقول الهيجاء النفسية او الوغى النفسية وقس على هذا في كثير من الالفاظ المترادفة التي لها استعمال خاص في سياق معين لا يمكن ان تحل محلها لفظة مرادفة لها .

ولم يتنبه القدامى في الغالب الى هذا الامر بل اكتفوا بالمعنى العام للمترادفات .

وحين ينكر هؤلاء المحدثون الاجانب الترادف التام ، فانهم يعولون في الواقع على وجهات نظر مختلفة الى المعنى اللغوي ، وذلك ان انكارهم يعبر عن تباين مذاهبهم في فكرة المعنى اللغوي وما يكتنفه من غموض . وكثيرا ما تجاوز هؤلاء المعنى اللغوي الى اعتبارات اخرى اجتماعية وثقافية ونفسية

وادبية واخلاقية ؛ مما يتضح من منحاهم الذي يعتمد تحليل المعنى الضمني والعناصر المتداخلة فيه .

ولعل اهم ما نجده في هذه الاقوال اشارة بعضهم الى ان الترادف ظاهرة غير ثابتة في الالفاظ ؛ لاكتساب الالفاظ المترادفة معاني مختلفة بمرور الزمن ، وتخصص كل منها باستعمال معين حتى عد بعض اللغويين هذا الامر قانونا كامنا في اللغة وهو ما يسمى عند (بريل) Breal بقانون التوزيع في اللغة ؛ وضربوا له الامثلة في عدة لغات(٢٩٧) . وهذا يؤكد ما توصلنا اليه آنفا من ان الترادف حالة ليست ثابتة في الالفاظ ولا مطلقة . ويتمثل هذا في ان ما كان مترادفا من الالفاظ قد يصير متباينا ، والعكس صحيح ايضا .

---

(٢٩٧) A Comprehensive English Grammar for Foreign Students, P. 431 — 432.

الفصل الرابع

كثرة الترادف في العربية

الترادف ظاهرة عرفتها كثير من اللغات الانسانية القديمة والحديثة وقد أكدها الدارسون ، على الرغم من اختلافهم في مفهوم الترادف . ويكاد يجمع المحدثون من علماء اللغات على امكان وقوع الترادف في أية لغة من لغات البشر ، (بل ان الواقع المشاهد أن كل لغة تشتمل على بعض تلك الكلمات المترادفة)[1] كما ان الدراسات اللغوية القديمة والحديثة لا تخلو من ذكر هذه الظاهرة أو من الاشارة اليها . فقد عرض لها قديما فلاسفة اليونان وعلماء الهنود في اللغة السنسكريتية القديمة . فارسطو مثلا قد اشار اليها في تقسيماته للاسماء وأنواعها في كتابه (فن الشعر) ومثل لها بأمثلة من اللغة اليونانية القديمة[2] وقد ذكر في كتابه الخطابة « ان الكلمات ذات المعاني الغامضة مفيدة بصورة رئيسة للسفسطائي اذ تمكنه من خداع سامعيه أو ايهامهم ، في حين تكون المترادفات مفيدة للشاعر ، واعنى بها الكلمات الشائعة المألوفة التي تدل عادة على المعنى نفسه مثل : advancing and

---

Semantics an Introduction to the Science of Meaning, p. 141

(١) في اللهجات العربية : ص ١٦٦ وينظر : الوجيز في فقه اللغة : ص ٢٨٠ .

(٢) De poetica, by Aristotle, vol, Xi, ch2 — 21 — 22 p. 1457b 1459a. translated by in gram Bywater

وينظر الترجمة العربية القديمة : تلخيص كتاب ارسطوطاليس في الشعر ، لابن رشد ، ص ١٤٧ . وكتاب ارسطوطاليس في الشعر ، ص ١١٦ ، ١١٨ .

proceeding فهاتان الكلمتان مألوفتان وتمتلكان المعنى نفسه[٣] » كما عني بروديكوس ـ من فلاسفة الاغريق ـ وسفسطائيو القرن الخامس قبل الميلاد بمسألة الترادف وذلك بحكم نظرتهم الى العلاقة الطبيعية بين الكلمة ومعناها ؛ ففي مذهبهم ان الكلمة اذا كانت تساوي الشيء ذاته بصورة تامة فلا وجود للمترادفات[٤] .

وقد عرفت هذه الظاهرة ايضا في اللغة السنسكريتية القديمة اذ اثار الهنود القدماء مشكلتي الترادف والاشتراك اللفظي ؛ وجاءت عنهم بعض المؤلفات التي تجمع كلمات كلا النوعين ، فقد عرف عن مؤلف بوذي اسمه أمارا سنها Amara Sinha أنه الف معجما في المترادفات في ثلاثة ابواب والحق به فصلا عن المشترك اللفظي ؛ ويعد هذا المعجم من اقدم المعجمات الكاملة في تلك اللغة اذ يعود ظهوره الى القرن السادس الميلادي او قبله[٥] . اضف الى هذا ان الـ Nighantu التي شرحها ياسكا Yaska تحوي خمسة ابواب : تناولت ابوابها الثلاثة الاولى الفاظ الترادف ، وتناول الرابع الفاظ المشترك اللفظي ؛ بينما تناول الخامس الفاظا تتعلق بالالهة[٦] . ولم يقتصر علماء هذه اللغة على وضع المعجمات للكلمات المترادفة ، بل ناقشوا هذه الظاهرة من بعض جوانبها كتصريح « ياسكا » بأن الترادف لا ينحصر في الاسماء وحدها بل يتعداها الى الافعال ايضا . كما لاحظ باتنجالي

---

(٣) The Works of Aristotle, Rhetorica, translated by W. Rhys Roberts. vol, XI, Book III, 2, p. 1404b — 1405a.

وتنظر الترجمة العربية القديمة وما فيها من شروح وتعليقات بشأن قول ارسطو هذا : كتاب ارسطوطاليس ، الخطابة تحقيق : د.بدوي ص ١٨٧ ـ ١٨٨ و : تلخيص الخطابة لابن رشد ، تحقيق وشرح د.محمد سليم سالم ص٥٤٥ ـ ٥٤٦ .

(٤) الوجيز في فقه اللغة : ص ٣٠ .

(٥) البحث اللغوي عند الهنود واثره على اللغويين العرب د.احمد مختار عمر ص ٤٣ ، ٩٤ ـ ٩٥ .

(٦) المصدر السابق : ص ٣٠ .

Patanjali أن الكلمة الواحدة قد تؤدي اكثر من معنى ، وانه من الممكن ان تؤدي اكثر من كلمة معنى واحداً[٧] .

ان هذا ليدل على شيوع هذه الظاهرة وكونها معروفة في لغات قديمة وقد اكد وقوعها ايضا في اللغات الحديثة كثير من الدارسين المحدثين الذين وقفنا على آرائهم فيما سبق ، حتى ليظهر أن شيوع الترادف ليس وقفا على العربية اذ نجد ذلك في لغات اخرى ، فقد اخذ على الانكليزية مثلا ـ كما يروى فندريس ـ تضخم مفرداتها واسرافها في المترادفات ولم يستثن الفرنسية من هذه الظاهرة[٨] . وقد اشار اللغوي الانكليزي "gleason" إلى كثرة الترادف في الانكليزية أيضا لكن تلك الكثرة على رأيه لا تضاهي ماهو واقع في العربية والهندية القديمة[٩] . وفي الفرنسية أكثر من تسع كلمات في لهجة واحدة للتعبير عن شيء واحد[١٠] .

وقد وقع الترادف في العربية كسائر اللغات الاخرى . وتنبه اللغويون العرب القدامى الى هذه الظاهرة في لغتهم منذ وقت مبكر ، نتيجة الاستقراء وملاحظتهم الواقع اللغوي عن كثب ، فشاركوا أمما أخرى في البحث عنها مشاركة اصيلة واسهموا في دراستها بنصيب وافر . بيد أن العربية عرفت من بين اللغات الانسانية بكثرة الترادف في ألفاظها فقد تعددت فيها الاسماء المترادفة على المعنى الواحد الى حد المبالغة والاسراف ، حتى صارت يضرب بها المثل في هذا المجال بين اللغات الاخرى ، ونتيجة هذه الكثرة صار الترادف من ابرز خصائص العربية وسمة تميزها من غيرها لا تضاهيها في ذلك لغة .

ولعل مرد هذه النظرة التي تشير الى كثرة الترادف هو اسراف وغلو طائفة من اللغويين في هذا الامر كما اثر عنهم . ومن اشهرهم ابن خالويه القائل

---

(٧) البحث اللغوي عند الهنود : ص ٤٣ ، ٩٤ ـ ٩٥ .
(٨) اللغة : ص ٢٩٢ .
(٩)
(١٠) مجلة مجمع اللغة العربية .

(جمعت للاسد خمسمائة اسم وللحية مائتين)[11] وقد افرد خلق من أئمة العربية كتبا في اسماء اشياء مخصوصة ، ومنهم ابن خالويه الذي الف كتابا في اسماء الاسد وكتابا في اسماء الحية ، وقد روى السيوطي عنه اكثر من اربعين اسما للسيف[12] . وذكر ابن فارس انه جرد كتابا في اسماء الحجر واهداه الى الصاحب بن عباد[13] كما جمع حمزة الاصفهاني ما يزيد على اربعمائة كلمة للداهية وعلق عليها قائلا : (ان تكاثر اسماء الدواهي من احدى الدواهي . قال : ومن العجائب ان أمة وسمت معنى واحدا بمئتين من الالفاظ)[14] وألف مجدالدين الفيروز آبادى كتابا سماه « الروض المسلوف فيما له اسمان الى الوف » والف كتابا آخر سماه (ترقيق الاسل لتصفيق العسل) أورد فيه ثمانين اسما للعسل[15] . وقد ذكر السيوطي ان الكمال أبا البركات ابن الانباري كان قد الف كتابا أسمه «قبسة الاديب في اسماء الذيب» وأنه لم يقف عليه ، فتتبعها من كتب اللغة ، فبلغت عنده ثلاثين ومائة اسم جمعها في مؤلف سماه « التهذيب في اسماء الذيب »[16] .

وحين دخل أبو العلاء المعري على الشريف المرتضى في مجلسه عثر برجل فقال الرجل : من هذا الكلب ؟ فقال ابو العلاء : الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسما . فحمل هذا القول السيوطي على تتبعها من كتب اللغة ، فجمعها ونظمها في ارجوزة سماها : « التبري من معرة المعري »[17] ومثل هذا كثير

(11) الصاحبي : ٤٣ – ٤٤
(12) المزهر : ٤٠٧/١ ، ٤٠٩ – ٤١٠
(13) الصاحبي : ص ٤٤
(14) فقه اللغة وسر العربية : ص ٣٠٩ والمزهر : ٣٢٥/١
(15) المزهر : ٤٠٧/١
(16) التهذيب في اسماء الذيب للسيوطي مخطوط : الورقة الاولى
(17) مطبوعة ضمن كتاب : تعريف القدماء بابي العلاء : ص ٤٢٩ – ٤٣٦
واسماء الخمر وعصيرها لمحمد بن الحسن بن رمضان ١١٢/٣
واسماء السحاب والرياح والامطار للزبادي ١٦٧/١ واسماء السيف لابي سليل الهروي ١٩٥/٣ في الحاشية ، والدواهي لمحمد بن الحسن الاحول ٩٢/٣ والسيف لابي عبيدة ٢٨٦/٣ والسيف والرماح للسجستاني ٦٢/٢ وتقفية ما اختلف لفظه واتفق معناه لليزيدي ، لابن خالويه ٣٢٥/١

لدى القدامى من مسميات ذكروا لها اسماء كثيرة أو خصوها بأبواب من كتبهم أو أفردوا لها كتابا مستقلا[18] . والناظر الى كتاب المخصص لابن سيده يجد فيه كثيرا من هذا النحو اذ جمع فأوعى ولعله أبرز وأضخم الكتب في هـذا الشـأن .

وقد صنف جماعة من المحدثين في هذه المسألة وأفردوا لها كتبا جمعوا فيها كثيرا من الاسماء للشيء الواحد ، ولكنهم لم يبلغوا فيها ما بلغه القدامى في الغالب . ومعظم ما فيها تقول عما ذكره القدامى من قبل . ومن هذه الكتب مثلا : « غرائب اللغة العربيـة » للاب رفائيل نخلة اليسـوعي و « قاموس المترادفات والمتجانسـات » للمؤلف نفسه . و « معجـم المعاني للمترادف والمتوارد والنقيض » لنجيب اسكندر ، وكتاب (نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد) للشيخ ابراهيم اليازجي . وللدكتور حسين محفوظ كتاب في المترادفات مرتب على حروف المعجم[19] . وقد جمع المستشرق دوهامر (De Hammer) المفردات العربية التي تتعلق بالجمل وشئونه ، فبلغت اكثر من أربع وأربعين وستمائة وخمسة الاف كلمة[20] .

ان هذه الكثرة من الاسماء للشيء الواحد في العربية على هذه الشاكلة قد جعلت بعض الباحثين يعدها مما اختصت به العربية وامتازت بها من سواها ومع أن الترادف او تعدد الاسماء المختلفة للشيء الواحد واقع في لغات أخرى كما أسلفنا ، فان هذه الوفرة من الاسماء في العربية ادهشت الباحثين وأثارت شكهم وحيرتهم . فكانوا بين مستغرب لها ومتعجب منها ، وبين مفتخر بها

(١٨) في كتاب « انباه الرواة على انباه النحاة » للقفطي كثير من هذه الكتب ، نذكر منها : اسماء الخمر للاصمعي ٢/٢٠٣ في الحاشية ،
واسماء الخيل لابي عبيدة معمر بن المثنى ٣/١٨٦
واسماء الدواهي عند العرب للمبرد ٣/٢٥٢
واسماء الاسد لابن خالويه ١/٣٢٥
واسماء الاسد لابي سهل الهروي ٣/١٩٥ في الحاشية .

(١٩) مخطوط في خزانته الخاصة

(٢٠) فقه اللغة د . وافي ص ١٦٩ والعرب والعربية للعيدروسي ص ١٠٩

أو مستنكر لها ، حتى عدها بعضهم من غرائب هذه اللغة واعاجيبها . فالذين يقولون بالترادف منهم يرونه من دلائل فضل العربية تفخر به على غيرها ، وخصيصة من خصائصها الشريفة اللطيفة ، ودليلا على سعة هذه اللغة وغناها وثراء مفرداتها في التعبير . ومن أجل هذا يعدون هذه الثروة اللفظية مفخرة للعربية ومدعاة للاعتزاز والمباهاة كما ذهب الى ذلك ابن جني[21] والباقلاني[22] ومن تابعهم من المحدثين . على حين يرى آخرون خلاف هذا الرأي تماما ، فينظرون الى هذه الظاهرة من ناحية أخرى هي ثلب العربية واتهامها بالاسراف في المفردات والتعبير عن الشيء الواحد بسيل من الالفاظ لا ضرورة لها . ومن هؤلاء المسيو « مرسيه » الذي كتب تقريرا مطولا وصم فيه العربية بانها لغة « مائعة » لا تعرف تحديد الالفاظ ولا الصفات[23] كما عد « آرنست فيشر » هذه الظاهرة دليلا على بدائية اللغة[24] . ومنهم من رآها أمرا غير طبيعي أو انه عبث واصطناع لا طائل تحته ، فوقف ازاءها موقف الشاك المرتاب وهو ما ذهب اليه الدكتور طه حسين[25] . حتى دعا بعضهم الى اطراح كثير من المترادفات واستبعادها من المعجمات العربية مناديا بما سماه بالتأقلم في المترادفات بسبب كثرتها وانتفاء الحاجة اليها ، وهو ما اقترحه المرحوم أحمد أمين[26] .

ونرى ان القائلين بالترادف في العربية قد غالوا فيه وأسرفوا كثيرا ، بزعمهم المئات أو الالوف من الاسماء المترادفة للمسمى الواحد فجانبوا الصواب كثيرا . وأما الذين اتجهوا باللائمة على العربية بسبب هذه الكثرة التي عدوها من مثالبها ومعايبها ، فانهم سلموا بهذه الكثرة وكأنها حقيقة من غير أن يتبينوا

---

(21) الخصائص : ٢/١٢١
(22) اعجاز القرآن : ص ٤٤ ــ ٤٥
(23) النثر الفني في القرن الرابع د . زكي مبارك : ٢/٦٤
(24) ضرورة الفن : ص ٣٣
(25) النثر الفني في القرن الرابع : ٢/٤٦ ــ ٤٧
(26) فيض الخاطر : احمد امين ٣/٢١٥ وما بعدها .

طبيعتها واسبابها ، فجاء حكمهم دون وجه حق وبعيدا من مفهـوم البحث اللغوي الوصفي •

ولا بد لنا هنا ان نسأل هل هذه الكثرة من الاسماء كأن يكون للمسمى الواحد مئات من الالفاظ هي حقيقة ؟ وهل هي مترادفة حقا ؟ هذا ما سنكشف عن صحته في جملة امور :

١ ـ التطور الصوتي :

أورد القدامى كثيرا من الالفاظ للمسمى الواحد وعدوها من باب الترادف من نحو : جذب وجبذ ، والباسب والبابس للصحراء ، وصاعقة وصاقعة ، واضمحل وامضحل ، وجدث وجدف للقبر ، وحبتر وبحتر وبهتر للقصير[٢٧] ، والرساطون والرصاطون والرشاطون[٢٨] ، والترياق والطرياق والطراق والدرياق والدراق والدرياقة[٢٩] ،للخمرة • ويقول الفيروز آبادي (ومن اسمائها الازفند والازفنط والاسفند والاسفنط والاسفنطة والاصفند والاصفنط ،بكسر الهمزة وكسر الفاء في الكل وقد يفتح الفاء في الجميع[٣٠])ومن امثلة الترادف في اسماء العسل عند القدامى ألفاظ نحو : الضَّرَب والضَّرَبَة والضَّرِيب ، والحَمِيت والتَحْمُوت ، والطِّرْم والطِّرم والطرام والطِّرْيَم ، والدستفشار والمُسْتَفْشَار ، والشَّهد والشُّهْد ، والسَّنُوت والسَّنُّوْت والسنوة • والمَزْج والمِزْج ، والطَّن والطَّنّ ، وغير ذلك وأكثر أسماء العسل الثمانين هي من هذا النحو[٣١] • ومن أسماء السيف المترادفة عند القدامى ألفاظ من نحو : الهَذَّام والهَذُوم ، والهَذَّاذ

(٢٧) لقد سبقت الاشارة الى مثل هذه الالفاظ واثبتنا مصادرها
(٢٨) الجليس الانيس : ورقة ٦٢ أ ــ ب وورقة
(٢٩) المصدر السابق : ورقة ٢٤ أ وورقة ٨٢ ب
(٣٠) الجليس الانيس : ورقة ٢٩ ب وورقة ٣٠ أ
(٣١) المزهر ١/٤٠٧ ــ ٤٠٨

والهَذْهَاذ ، والهَذَاهِذ والمِهْذَم ، والمُهَنَّد والهِنْدُوَانِي والهِنْدِكِيّ وغيرها[٣٢] . واغرب من هذا أن نجد من أمثلة الترادف عندهم الفاظا مثل : أَجْلِك وإجلك وأَجْلَك وإجْلالك وجَلالِك ، وجَلَلك وجَرّاك[٣٣] . وهناك الكثير من الالفاظ التي وردت على هذه الشاكلة وقد بلغت العشرات أحيانا للمسمى الواحد ، فعدها القدامى من مرادفاته كما في اسماء الخمرة والداهية والموت والسيف والعسل وأسماء القصير والطويل والجميع والشيء البالي والاصل وغيرها مما زعموا لها العشرات أو المئات من الاسماء المترادفة[٣٤] . بل انهم اسرفوا في ذلك حتى عدوا أقل اختلاف في بنية الكلمة أو صيغتها من باب الترادف .

ان مثل هذه الالفاظ الكثيرة التي وردت في اللغة على هذا النحو ليست من الترادف في شيء ، بيد أن القدامى توهموا أصالة اللغات فيها فعدوها مترادفة . فاللفظة في الحقيقة واحدة وقد اختلفت صورها وصيغها لعوارض صوتية طرأت عليها مما نتج عنه اختلاف صورة اللفظة الواحدة في نطقها فنشأ من جراء ذلك هذا التعدد في صورة الكلمة الواحدة وفي لفظها وذلك بسبب التطور الصوتي على سبيل القلب والابدال واختلاف الناطقين بها باختلاف الزمان والمكان . والقلب والابدال ظاهرة صوتية شائعة في كلام العرب . يقول ابن فارس : (ومن سنن العرب القلب ، وذلك يكون في الكلمة ويكون في القصة . فأما الكلمة فقولنا : جذب وجبذ ، وبكل ولبك ، وهو كثير قد صنفه علماء اللغة)[٣٥] ويقول أيضا : (ومن سنن العرب ابدال الحروف واقامة بعضها مقام بعض ، ويقولون : مدحه ومدهه ، وفرس رفل ورفن ، وهو كثير مشهور قد ألف فيه العلماء)[٣٦] .

---

(٣٢) المصدر السابق : ١/٤٠٩ - ٤١٠

(٣٣) المصدر السابق : ١/٤١١

(٣٤) المصدر السابق : ١/٤٠٧ وما بعدها

(٣٥) الصاحبي : ص ٢٠٢ وينظر تفصيل ذلك في المزهر : ١/٤٧٦ وما بعدها

(٣٦) الصاحبي : ص ٢٠٣ وينظر تفصيل ذلك في المزهر : ١/٤٦٠ وما بعدها

ومما نستدل به على أن هذه الالفاظ ليست مترادفة حقا اشارة بعض اللغويين صراحة الى أنها من باب القلب . ففي اللسان عن الازهري : (ومن المقلوب الموائِد والمآوِد الدواهي[٣٧]) وفيه أيضا : (والمآود والموائد ، الدواهي وهو من المقلوب)[٣٨] . ولا أدل على ذلك من قول الاصمعي في الصور اللفظية الكثيرة لكلمة اصفنط اسم للخمرة :(وأصل الكلمة رومية تلاعبت فيها العرب بالتصرف)[٣٩] وقول الازهري في الرساطون بأن أهل الشام يسمون الخمر الرساطون والرصاطون ، وبعضهم يقول الرشاطون[٤٠] .

وقال أبو عبيدة : (العَوْطَب والعَوْبَط : من اسماء الداهية ، قال ابن دريد : كأنه مقلوب عنده)[٤١] .

ويعزز هذا ما ذهب اليه بعض المحدثين من أن هذه الصور اللفظية العديدة للكلمة الواحدة ، ما هي الا من قبيل التطور وليست لغات مستقلة يقول الدكتور ابراهيم السامرائي : (نستطيع أن نقرر أن ما يسمى في كتب اللغة والنحو « لغة » من الاستعمالات غير المألوفة ، أو قل غير الصحيحة تلك الاستعمالات التي نسبت الى هذيل أو عقيل أو اسد أو طيء أو غير هؤلاء ، لم يكن الا من قبيل هذا التطور في اللغة ، ثم نسب اعتباطا لفئة معينة من الناس)[٤٢] والى مثل هذا ذهب الدكتور ابراهيم أنيس في قوله : (حين نستعرض تلك الكلمات التي فسرت على أنها من الابدال حينا ، أو من تباين اللهجات حينا آخر ، لا نشك لحظة في أنها جميعا نتيجة التطور الصوتي ، أي أن الكلمة ذات المعنى الواحد حين تروى لها المعاجم صورتين أو نطقين ويكون الاختلاف بين الصورتين لا يجاوز حرفا من حروفها ، نستطيع أن

---

(٣٧) اللسان مادة ميد : ٣/٤١٢ .
(٣٨) اللسان مادة أود : ٣/٧٤ — ٧٥
(٣٩) الجليس الانيس : ورقة ٣٠ أ .
(٤٠) اللسان (رسط) : ٧/٢٠٤
(٤١) المزهر : ١/٤٧٧
(٤٢) التطور اللغوي التاريخي : ص ٢٣

تـرها على أن احدى الصورتين هي الاصل والاخرى فرع لها أو تطور عنها)[٤٣] . وعلى هذا الرأي أيضا المستشرق برجستراسر الذي ذكر أن العربية كثيرا ما احتفظت بالصورة الاصلية للكلمة مع الصورة الجديدة ، أي التي طرأ عليها التقديم والتأخير . فأحيانا يمكن معرفة ايتهما هي الاصلية بالرجوع الى اللغة العربية وحدها كما هو الحال في كلمة مزراب ومرزاب ، فحيث أن الفعل منهما زرب لا رزب يتقرر أن الكلمة الاصلية مزراب وأن مرزاب مقلوب عنها . وأحيانا نحتاج الى استعراض الكلمات المقابلة لها معنى في سائر اللغات السامية . ومثال ذلك أننا نجد في العربية شَمْأل وشَأْمل أي الشمال ، ونرى في العبرية أن شمال هو الاصل وشَأْمَل مقلوب عنه . وأمثال التقديم والتأخير أي القلب المكاني عديدة جدا في العربية[٤٤] . كما ذهب الى أن ظاهرة ابدال الحروف في العربية هي من قبيل التطور الصوتي [٤٥] ويقول برجستراسر في هذه التغيرات التي طرأت على الالفاظ العربية نتيجة الابدال والقلب في حروفها : (وهذه التغيرات كلها مما سماه قدماء العرب أصولا مطردة ، ونحن نسميه قوانين صوتية)[٤٦] .

ان مثل هذه الكلمات ليست من الترادف البتة ذلك انها لم تكن كلمات مستقلة بعضها عن بعض تماما ، وانما هي كلمات كانت ذات أصل واحد ، ثم تطورت صورتها بسبب من عوامل التطور الصوتي . وما هذا الاختلاف الذي يبدو في صورة الكلمة الواحدة الا اختلاف ظاهري . وقد أصاب المحققون من المحدثين كثيرا حين اشترطوا لتحقق وقوع الترادف الا يكون احد اللفظين نتيجة تطور صوتي للفظ الاخر ، وعدوا أمثال هذه الكلمات مترادفات وهمية[٤٧] . وفي ضوء هذه الحقيقة جمع الدكتور أنيس عشرات

(٤٣) من اسرار اللغة ص ٧٥
(٤٤) التطور النحوي للغة العربية : ص ٢٢ — ٢٣
(٤٥) المصدر السابق : ص ٢٣ — ٢٩ وص ١٥—١٦
(٤٦) التطور النحوي : ص ١٦
(٤٧) في اللهجات العربية : ص ١٦٧

من هذه الكلمات التي لحقها التطور الصوتي من ابدال وقلب ، والتي كان القدماء قد حسبوها مترادفات فبين العلاقة الصوتية بينها ، وكيف تطورت الى صور متعددة[٤٨] .

غير ان الامر المشكل في هذا الضرب من الالفاظ هو تلك الالفاظ التي حدث فيها ابدال وليس ثمة علاقة صوتية واضحة بين حروفها . فهل هي كلمات مستقلة تعد من المترادفات ، أو انها نتيجة التطور الصوتي ليس غير ؟ ان بعض المحدثين ممن يشترط في الابدال أن تلحظ علاقة صوتية بين الحرفين المبدل والمبدل منه ، نظروا الى تلك الكلمات على انها أصلية ، مستقلة تمام الاستقلال ، فعدوها مترادفات . وهذا ما ذهب اليه عز الدين التنوخي محقق كتاب الابدال لأبي الطيب اللغوي حين عرض لألتباس الترادف بالابدال وحكم على بعض المبدلات التي وردت في هذا الكتاب بالترادف بسبب عدم وجود ترابط صوتي بين حروفها كالدال واللام في (هدب العين هلبها) لان الدال نطعية واللام ذلقية ، وتمتاز الدال بالاصمات والقلقة ، ولهذا يرجح انهما اصلان مستقلان ، وانهما بالترادف أشبه منهما بالتعاقب . ومثلهما المَعْد والمَعْل ، والكَنَبْد والكَنَبْل ، وسائر ما ذكره أبو الطيب في باب الدال واللام[٤٩]. والى مثله ذهب الدكتور أنيس اذ ذكر ان معظم الكلمات المبدلة الحروف التي رواها ابن السكيت يمكن تفسيرها بالتطور الصوتي فيما يسمى بالابدال وذلك لوضوح الصلة الصوتية بين كل حرفين ، وعد ما سوى ذلك صورة أصلية مستقلة تمام الاستقلال عن الصورة الاخرى لعدم وضوح الصلة الصوتية بين حروفها ، ومن ثم عدها مترادفات[٥٠] .

ونحن نستبعد كل المبدلات من الترادف سواء لحظنا بين حروفها المبدلة علاقة صوتية أم لم نلحظ . ذلك أن اللغويين والنحويين على خلاف في ظاهرة

---

(٤٨) في اللهجات العربية : ص ١٧٢ — ١٨٠

(٤٩) مقدمة ابدال ابي الطيب : ١/٢٧ وينظر : الاضداد في اللغة ص ٢٠

(٥٠) من اسرار اللغة : ص ٧٥ ، ٨٣

الابدال ، فمنهم من يشترط تلك العلاقة الصوتية فيها ومنهم من يتوسع فيها بحيث يشمل الابدال جميع الحروف ولا يشترط تلك العلاقة فأبو الطيب اللغوي في كتابه لم يشترط في الابدال تقارب المخارج كما اشترطها ابن السكيت مثلا[٥١] ، فضلا عما ورد في كتب القلب والابدال نفسها من ألفاظ مبدلة عن العرب وليس بينها علاقة صوتية واضحة[٥٢] . والرأى الراجح أن هذه العلاقة هي الغالبة في المبدلات ، ولكنها ليست مسألة قياسية مطردة في كل الاحوال عند اللغويين كما هي عند النحويين . يقول الدكتور ابراهيم السامرائي : (اما الابدال اللغوي فكثير ولا يحصره ضابط . وقالوا : ان الابدال يعرض لكثير من اصوات العربية . وهو عندهم اقامة حرف مكان حرف مع الابقاء على سائر أحرف الكلمة ؛ وهكذا تشترك الكلمتان أو الكلمات بحرفين أو أكثر ويبدل حرف منها بحرف آخر قد يكون قريبا منه في نشأته من جهاز النطق أو قد يشتمل على شيء من خواصه ، وقد يكون بعيدا منه)[٥٣] .

وقد ينشأ الابدال في ألفاظ نتيجة التصحيف والتحريف فتجد هذه المبدلات طريقها الى اللغة[٥٤] نحو : « أعللت الابل وأغللتها » وقد نص الازهري على أنها تصحيف[٥٥] . وقد ينشأ نتيجة الخطأ في السمع مثل : (عميق التي تبدل غميق ومنها غامق ، أو تسمع (جدث) فتصبح (جدف)

---

(٥١) الاضداد في اللغة ص ٢٠ وامالي القالي ٢/١٨٦ والمزهر ١/٤٦٠–٤٦١ ، ص ٤٧٤ – ٤٧٥ .

(٥٢) الابدال لابي الطيب اللغوي :
والقلب والابدال لابن السكيت = الكنز اللغوي في اللسن العربي ، الصفحات ٢٨–٣٠ ، ٤١–٤٢ ، ٤٦–٤٧ ، ٦٢–٦٥ . والمزهر : ١/٤٦٠ وما بعدها .

(٥٣) التطور اللغوي التاريخي : ص ١٠٦ .

(٥٤) من اسرار اللغة ص ٨٤ – ٨٥ .

(٥٥) لسان العرب مادة علل : ١١/٤٦٨ .

وهي موجودة في القرآن)[٥٦] كما انه قد يحدث بسبب لثغة أو غيرها من عيوب النطق • وقد أشار الخليل الى هذا الامر حين قال في الذعاق والزعاق : (سمعناه فلا ندري ألغة هي أم لثغة)[٥٧] وقال الجوهري : (يقال : فلان من جِنْثِكَ وجِنْثِكَ ، أي من أصلك ، لغة أو لثغة)[٥٨] وقال ايضا (اللَّهْسُ : لغة في اللَّحْسِ أو هَنَةٌ)[٥٩] ، أي لثغة ، ولالتباس هذه الامور بالابدال واختلاطها به فليس من الصواب قصر تفسيره على العلاقة الصوتية حسب •

ومن أجل هذا كله لا يمكن عد مثل هذه الألفاظ المبدلة أو المقلوبة أو التي فيها اختلاف طفيف في البنية أو الحركات من المترادفات خلافا لمن ذهب من القدامى الى ذلك متوهمين أنها لغات مختلفة لمعان متفقة ، وخلافا لمن تابعهم من المحدثين • وهذا أحد اسباب مغالاة القائلين بالترادف واسرافهم فيه بعدهم هذه الكلمات من المترادفات وهي ليست منه بمعنى الترادف الدقيق • واذا ما علمنا أن هناك العشرات من هذا الضرب من الالفاظ وأن الكلمة الواحدة قد تختلف بنيتها فتتعدد صورها فتبلغ عشرا أو اكثر أدركنا ما لهذا السبب من أثر في كثرة الترادف في العربية •

٢ ـ الفخر والاعتزاز :

عني جماعة من اللغويين بجمع أسماء الشيء الواحد وتتبعها من كتب اللغة ، ومحاولة الاكثار منها بشتى السبل قدر الامكان • وقد صار هذا غرضا لهم في الغالب يتسابقون نحوه ويتفاخرون به • فتجد الواحد منهم يزعم أنه قد جمع لمسمى معين كذا من الالفاظ معتزا متباهيا ، فيستدرك عليه الاخر بألفاظ أخرى وهكذا •• فلم يكونوا يهدفون من وراء ذلك الى غاية

---

(٥٦) الاضداد في اللغة : ص ٢١
(٥٧) العين : ص ١٦٨
(٥٨) الصحاح (جنث) : ٢٧٧/١
(٥٩) نفسه مادة لهس : ٩٧٣/٢ •

لغوية بقدرماهو منافسة في المفاخرة والمباهاة بجمع الاسماء الكثيرة للشيء الواحد، فلم يتحرج بعضهم من القول أنه يعرف للشيء العشرات أو المئات من الاسماء جاعلين من ذلك آية على سعة حفظهم ومعرفتهم اللغوية . كما جعلوا منها مأثرة للعربية وسمة انفردت بها على بقية اللغات . وللتدليل على أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها وان هذه مما اختصت به دون سواها ، وهذا مظهر من مظاهر الفخر عندهم ايضا .

ومن أجل هذا راحوا يجمعون مختلف الالفاظ للشيء الواحد حتى وان كانت متقاربة في المعنى أو من باب المشترك اللفظي أو مما اختلفت صورها اختلافا طفيفا . أو مما هو من صفات الشيء وانواعه ، أو ما كان مهجورا ساقطا ، أو من الالفاظ الغريبة أو النادرة ، أو التي ليست بثبت ولم ترد عن العرب ، فكان ان تزيدوا فيها كثيرا واغربوا ، جاعلين من ذلك مسألة تعجيزية اضنوها على اللغة وعلى انفسهم ، من اجل شهرة او حظوة أو حبا في المبالغة ، فقد سأل الرشيد يوما الاصمعي عن شعر لابي حزام العكلي ، ففسره ، فقال الرشيد له : (يا اصمعي : ان الغريب عندك لغير غريب) فقال : « يا امير المؤمنين الا اكون كذلك وقد حفظت للحجر سبعين اسما »[٦٠] ولا ادل على مبلغ تفاخرهم بهذا من قول ابي العلاء المعري في مجلس الشريف المرتضى لرجل عثر به فقال له : من هذا الكلب؟ فقال ابو العلاء : الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسما[٦١] . فجعل عدم معرفة هذه الاسماء معرة ومنقصة . مما حمل السيوطي على جمع هذه الاسماء ونظمها في ارجوزة « بغية التبري من معرة المعري » كما اسلفنا .

ولا نحسب ابن خالويه حين قال في مجلس سيف الدولة الحمداني وبحضرة جماعة من العلماء : (أحفظ للسيف خمسين اسما)[٦٢] الا متباهيا فخورا بسعة معرفته وكثرة حفظه .

---

(٦٠) الصاحبي : ص ٤٤

(٦١) تعريف القدماء بابي العلاء : ٤٢٩ .

(٦٢) المزهر : ١/٤٠٥

ولم تكن كثرة الاسماء للشيء الواحد موضع فخر واعتزاز اصحاب الترادف حسب ؛ بل نجد بعض منكري الترادف بمعناه التام من يذهب الى ذلك أيضا ويعده دليلا على أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها وانه من أسرار تفوقها على غيرها . وهذا ما عبر عنه ابن فارس حين قال : (لو احتجنا الى أن نعبر عن السيف واوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك الا باسم واحد ، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة ؛ وكذلك الاسد والفرس وغيرها من الاشياء المسماة بالاسماء المترادفة . فاين هذا من ذاك ؟ وأين لسائر اللغات من السعة ما للغة العرب ؟)[٦٣] وقال ايضا : (وما لا يمكن نقله البتة اوصاف السيف والاسد والرمح وغير ذلك من الاسماء المترادفة ؛ ومعلوم أن العجم لا تعرف للاسد غير اسم واحد ؛ اما نحن فنخرج له خمسين ومائة اسم)[٦٤] . ولعل هذا الامر هو الذي دفع ابن فارس الى أن يؤلف كتابا في اسماء الحجر يهديه الى الصاحب بن عباد[٦٥] .

ان للفخر والاعتزاز اثرا واضحا في جمع الاسماء الكثيرة للشيء الواحد والمغالاة في ذلك ولعله بسبب من هذا كثر الخلط في طائفة كبيرة من الاسماء ذلك أننا نجد اسما بعينه على انه من اسماء الخمرة ثم نجده اسما للعسل فمن ذلك مثلا : العرخدي والماذية والشراب والغرب واليمانية والسلاف والسلافة والصهباء والاصبهانية : فقد اورد الفيروز آبادي هذه الاسماء من جملة اسماء العسل[٦٦] ثم ذكرها في كتاب آخر له اسماءً للخمرة[٦٧] . ومن اسماء العسل ما هو مشترك بينه وبين التمر نحو : الحميت والطن[٦٨] ؛ وقل مثل هذا في اسماء الداهية والموت والقتل والحرب والمنية والمصائب والكوارث

---

(٦٣) الصاحبي : ٤١
(٦٤) نفسه : ٤٢
(٦٥) نفسه : ٤٤
(٦٦) المزهر : ١/٤٠٧ – ٤٠٩
(٦٧) الجليس الانيس :
(٦٨) المزهر : ١/٤٠٧ – ٤٠٨

والامراض حيث نجد كثيرا من الالفاظ مشتركة بين هذه المسميات ؛ كما نجد اسماء كثيرة مشتركة بين الاسد والذئب والثعلب وابن آوى والكلب والضبع والسنور والارنب والدب وغيرها من ضروب الحيوان . وخير مثال على ذلك ما جاء في اسماء الكلب والذيب التي جمعها السيوطي ؛ وأفرد لها كتابين[٦٩] . ولعل اغرب ما في هذا الخلط قول بعضهم ان الطيثار من اسماء الاسد ؛ وقول بعضهم الاخر انه البعوض[٧٠] .

تبين من هذا كله مدى تزيد هؤلاء واسرافهم في الامر من أجل جمع الكثرة من الاسماء للشيء الواحد والتباهي بها . فان كانت مثل هذه الاسماء صحيحة في دلالتها فهي ليست من الترادف ؛ بل من قبيل المشترك اللفظي وان لم تكن كذلك فهي من قبيل الخلط والوهم .

٣ ـ النظرة التاريخية :

نظر القدامى في جمعهم للمترادفات نظرة تاريخية من غير تقييد لها بالزمان والمكان ؛ وجمع المترادفات على هذا النحو قد اوقعهم في خطأ منهجي ذلك أنه لا يصح النظر الى المترادفات نظرة تاريخية اذ ان من شروط تحقق وقوع الترادف الاتحاد في البيئة اللغوية والاتحاد في العصر ؛ أي أن تكون الالفاظ المترادفة مقيدة بزمان ومكان معينين . غير ان القدامى اغفلوا هذا الجانب وتتبعوا الكلمات الدالة على معنى واحد في مختلف العصور غاضين النظر عن اتحادها في الزمان والمكان والبيئة حتى وان كانت هذه الكلمات مهجورة أو مماتة ؛ فكل كلمة تدل على السيف أو على الاسد او على الجمل جمعوها وان اختلف زمانها ومكانها ثم عدوها من المترادف .

ان مثل هذا المنهج قد جعلهم يرون ان للشيء الواحد العشرات أو المئات من الاسماء ، ولو انهم نظروا اليها ـ هذه الاسماء ـ نظرة وصفية

(٦٩) التبري من معرة المعري : ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء : ٤٢٩ـ٤٣٦؛ والتهذيب في اسماء الذيب الورقتان الاولى والثانية .

(٧٠) المخصص : ٦٠/٨

وقيدوها ببيئة معينة ضمن زمان ومكان محددين لتبين لهم ان القلة منها مستعملة وما سواها مهجور ، أو غير معروف البتة ، ومن هنا يمكن القول ان هذه الكثرة من الاسماء التي رووها للشيء الواحد لم تكن مترادفة بمعنى الترادف الدقيق ، والا فهل يعقل ان المئات من أسماء الشيء الواحد قد كانت مستعملة على لسان الرجل الواحد في زمان معلوم بمعنى بعينه ؟ ، يقول الازهري ان (أهل الشام يسمون الخمر الرساطون وسائر العرب لا يعرفونه). وقد كان أبو هريرة يجهل لفظ السكين لولا تلك المصادفة اللغوية التي عرف بها ترادف السكين والمدية في حضرة الرسول (ص) . ان هذه المترادفات الكثيرة لم تكن كلها معروفة ولا مستعملة عند جميع العرب وانما تلقفها الرواة من مختلف البيئات على اختلاف الزمان والمكان ثم جمعها اللغويون من بطون الكتب ، فهي على هذا ليست جميعها مترادفة حقا ، ولو كانت هذه الالفاظ معروفة لدى جميع العرب لما قال ابن خالويه مفتخرا بأنه يحفظ خمسين اسما للسيف ولما قال المعري الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسما ، وقد سبق ان اشرنا الى هذه الناحية في ثنايا هذا البحث .

كما انه ليس من الصواب ان ننظر الى المترادفات من غير تقييد استعمالها بزمان معلوم ومكان معين ، أو أن نخلط بين مستويات عدة من الاستعمالات اللغوية ثم نزعم ان هذه الالفاظ جميعا مترادفة ، ولعل اقرب مثال على ذلك ما كان من اسماء أيام الاسبوع واسماء الشهور في الجاهلية التي أميتت ثم استبدلت بها اسماء اخر فيما بعد[71] ، فهل يصح ان نعد مثل هذه الالفاظ مترادفات ؟ .

لقد تناسى هؤلاء في نظرتهم الى المترادفات وجمعها على هذا النهج ان اكثر هذه المترادفات قد صارت من الثروات الضائعة التي لا يحتاج اليها ، ثم تصيدها الرواة من مختلف ارجاء الجزيرة حبا في المبالغة والاغراب[72] ولم

(71) الايام والليالي والشهور للفراء ص ٦ والمزهر ١/٢١٨ – ٢٢٠ .
(72) النثر الفني في القرن الرابع : ٢/٦٤

تكن تنتمي الى بيئة واحدة أو عصر بعينه ، بل منها كثير من المهمل والممات والمتروك ، وهو : « ما كان قديما من اللغات ثم ترك واستعمل غيره . »[٧٣]

٤ ـ الوضع والوهم والخطا :

لقد لجأ بعض اللغويين والرواة الى الاختلاق والاصطناع في المعاني والالفاظ لتأييد مسألة معينة أو بسبب ما كان من المنافسة الشديدة بينهم بغية ان يبز احدهم الآخر وليظهر انه عارف باللغة ، فرائدها وغريبها ونوادرها ولئلا يحرج في مناظرة أو مجلس أو لينال حظوة أو شهرة ، فربما قضى على عالم سئل عن كلمة لم يعرف معناها أو عن مسمى يجهل اسمه ، وغير ذلك من الدوافع التي كانت تحمل بعضهم على الكذب والاختلاق والتزيد ، وهذا امر معروف لدى الدارسين ، وقد كان من آثاره تكذيب بعضهم بعضا وقدح بعضهم في بعض ، وقد عرف بعضهم بهذا واشتهر وليس امر حماد الراوية وخلف الاحمر بخاف .

وبسبب ذلك وجدت طائفة من الاسماء الموضوعة المختلقة ثم أخذت طريقها الى اللغة ، وادت الى كثرة الاسماء للشيء الواحد . فقد اورد ابن جني بابا في كلمات من الغريب لا يعلم احد أتى بها الا ابن احمر الباهلي[٧٤] . كما روى عن رؤبة وابيه العجاج انهما كانا يرتجلان الفاظا لم يسمعاها ولا سبقا اليها[٧٥] . وقد افرد السيوطي بابا سماه : « معرفة ما روى من اللغة ولم يصح ولم يثبت »[٧٦] ، أورد فيه الكثرة من هذه الالفاظ .

ومن آثار هذا السبب ما جاء مثلا بشأن « الزَّوْبَر » اسما للداهية على قول بعضهم . قال ابن برى : لم يسمع بزَوْبَر هذا الاسم الا في شعر ابن احمر ، وكذلك لم يسمع بماموسة اسما علما للنار الا في شعره . وكذلك

(٧٣) المزهر : ٢١٤/١ .
(٧٤) الخصائص : ٢١/٢ ـ ٢٨ ، والمزهر : ١١٧/١ .
(٧٥) الخصائص ٣٦٩/١
(٧٦) المزهر : ١٠٢/١ وما بعدها

ـسي حوار الناقة بابُوسا ولم يسمع في شعر غيره ؛ وسـمى ما يلف على الرأس أُرْنَة ولم توجد لغيره[77] • ومن ذلك ما قاله الازهري : (أخطأ الليث في غير شيء مما فسر ؛ فمنها قوله : الشَّرْشَر : الكلب ؛ وانما الشرشر نبت معروف ؛ قال : وقد رأيته في البادية تسـن الابل عليه وتغزر ؛ وقد ذكره ابن الاعرابي وغيره في اسماء نبوت البادية)[78] • ولا أدل على ذلك مما نص عليه ابن الانباري في بعض اسماء الخمر بقوله : (الفَيْهَج اسم مختلق للخمر ؛ وكذلك القِنْدِيد وأم زَنْبَق)[79] •

ولعل من أمثلة المصطنع اللغوي وافتعال الخطأ خبر « التبعض » اذ يروى أن جماعة قطعوا البيت :

أبا منـذر افنيـت فاستبق بعضـنا

حنانيـك بعض الشـر أهـون من بعض •

فعرض لهم من تفعيلاته « ق بعضنا » فجاءوا الى المبرد وسألوه : ما القبعض ؟ فقال : القطن ؛ وأنشد :

كأن سنامها حشي القبعضـا[80] •

ومثل هذا ما جاء في أخبار أبي عمرو الزاهد المعروف بغلام ثعلب من أنه يولد الالفاظ على طريقة الاصطناع والوضع • فقد قصده جماعة للاخذ عنه ؛ فتذاكروا في طريقهم عند قنطرة هناك ؛ اكثاره وكذبه ؛ فقال أحدهم : اصحف له اسم هذه القنطرة وأسأله ؛ فانظروا ما يجيب ؟ فلما دخلوا عليه قال له : ايها الشيخ ما « الهرطنق » عند العرب ؟ فقال : كذا وكذا ؛ فضحكوا وانصرفوا[81] •

---

(77) اللسان مادة زبر : ٢١٦/٤ ــ ٢١٧ ، والتنبيه على حدوث التصحيف لحمزة الاصفهاني : ص ١٦٦ ــ ١٦٧ •

(78) اللسان مادة تسر : ٩٢/٥

(79) اللسان مادة فهج : ٢٤٩/٢ •

(80) نزهة الالباء : ص ١٥٠ وارشاد الاريب : ١٢٨/٧ وجمهرة الامثال : ٦٧/١ ــ ٦٨ وفيه امثلة اخرى على ذلك

(81) انباه الرواة : ١٢٧/٣ وفقه اللغة المقارن : ص ١٨٢

ومهما يكن من صحة هذه الاخبار فانها تدل على ان مثل هذا الامر قد وقع في اللغة ، مما نشأ عنه الكثرة من الاسماء للشيء الواحد والمبالغة فيها ، وهذا ما اشار اليه الدكتور ابراهيم السامرائي في تعليقه على مثل هذه الاخبار بقوله انه (يدل على ان شيئا من هذا قد وقع بحيث صارت العربية غنية بالالفاظ الموضوعة لمعنى واحد ، ومن هنا نشأت مشكلة الترادف في العربية ، وهي في حقيقتها لا تعدو ان تكون أثرا من آثار الاصطناع وتوليد المعاني على هذه الطريقة)[٨٢] .

فهذه الاخبار ونحوها وتلك الالفاظ التي نص بعض اللغويين على وضعها واختلافها تدل على ان بعض الرواة وبعض علماء اللغة اضافوا كثيرا من الاسماء ولا سيما الغريب منها ، ودخل ما اضافوه في اللغة والاستعمال ، وهذا لون من الوان التوليد ، وهو اختراع محض[٨٣] ، وقد اشار غير واحد من المحدثين الى ما للاختراع والتوليد والوضع من اثر في كثرة المترادفات ووفرتها فقد ذكر المستشرق نولدكه ان ثمة تسميات شخصية للاسد قد اخترعها بعض الشعراء له ثم دخلت في المعجم العربي على أنها اسماء للاسد على وجه مطلق[٨٤] ، كما اشار الدكتور طه حسين الى ان هذا غير طبيعي او انه على الاقل اسراف (وهو يرجح ان كثرة المترادفات الى هذا الحد ليست الا اثرا من عبث الرواة ولعبهم بالجماهير ويرى انها ترجع الى السياحات العديدة التي كان يرمي بها الرواة واللغويون الى جمع ما تفرق في احشاء البادية من مختلف الصفات والاسماء ، ليعودوا الى الحواضر مثقلين بمادة المكاثرة والتعجيز ، ثم لا يتحرجون من ان يقولوا ان العرب تعرف للاسد خمسين ومائة اسم وللسيف خمسمائة وللحية مائتين)[٨٥] .

---

(٨٢) فقه اللغة المقارن : ص ١٨١ .
(٨٣) نفسه : ص ١٨٢
(٨٤) اللغات السامية : ص ٨٠ — ٨٢
(٨٥) النثر الفني في القرن الرابع : ٢/ ٤٦ — ٤٧

٥ ـ التقارب في المعاني :

ذكرنا في الفصل الاول ان مفهوم الترادف لدى قدامى اللغويين كان يتصف بشيء من العموم والشمول ، على الرغم من حدهم له ، وتقييدهم له بضوابط معينة ، وقد تساهل كثير من علماء العربية في نظرتهم الى الترادف ، حتى عدوا كثيرا من الالفاظ مترادفة لادنى تقارب في المعنى ، ولأيسر تشابه في الدلالة • ويتجلى هذا التساهل عند القائلين بالترادف والمؤيدين له • فالتشابه في المعنى كاف عندهم للحكم بالترادف من غير نظر الى تحقق التطابق التام في المعنى •

وقد عمد المغالون في وقوع الترادف الى التحيّل على كثير من الالفاظ وتمحلوا لها المماثلة في المعنى بغية القول بترادفها •

وهذه الالفاظ المتقاربة في المعنى لا يمكن أن نعدها من المترادفات الحقيقية ، لان من شروط الترادف الاتفاق في المعنى اتفاقا تاما ، كما ذكرنا في حد الترادف في الفصل الاول •

وقد أدى هذا التساهل في مسألة الاتفاق في المعنى الى كثرة المترادفات في العربية حتى بلغت اسماء الشيء الواحد عندهم العشرات أو المئات وربما الالوف من الالفاظ •

ومن الامثلة التي تدل على هذا التساهل بشأن اتفاق المترادفات في المعنى ما تجده عند الرماني الذي اورد كثيرا من الالفاظ المتقاربة في المعنى أمثلة للترادف نحو رشيته وخولته واوليته واصفيته وواسيته وجبرته مرادفة لـ (اعطيته)[٨٦] ، ونحو ما أورده في فصل الخراج والجزية فعد من المترادف : الخراج والاتاوة والفيء والجزية والفدية والضريبة[٨٧] •

---

(٨٦) الالفاظ المترادفة : ص ٨

(٨٧) المصدر السابق : ص ٤٣ ؛ وينظر الى امثلة اخرى في هذا المصدر نفسه : ص ١٠ ، ١١ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٧

ونجد من مرادفات الداهية عندهم (أم خنور) التي لا تدل على الداهية وحدها ، فمن العرب من يجعلها الدنيا ، ومنهم من يجعلها النعيم والخصب ، ومنهم من يجعلها الضبع[88] . غير أن أصحاب الترادف غلبوا معنى الداهية فيها ، مغفلين استعمالاتها عند العرب بمعان اخرى ، فهي من المشترك اللفظي وليست مقتصرة في الدلالة على الداهية وحدها .

وقد اسرف الفيروز آبادي في جمع الاسماء الكثيرة للشيء الواحد حتى بلغ بها الالوف في كتابه (الروض المسلوف في ما له اسمان الى الوف) فجمع فأوعى .

والناظر الى اسماء الخمرة التي بلغت عند الفيروز آبادي المئات من الالفاظ يجد فيها كثيرا من الخلط والتساهل في دلالتها على الخمرة ، اذ اورد من اسمائها : الشيخ ، والعجوز ، والعنب ، والنرجس ، والوردة ، والياقوت ، والسراج ، والكرم ، والشراب ، والكأس ، والحانوت ، والصافية ، والصبوح ، والأحمر ، والقتيل والمقتولة ، والتفاحة ، والذهب ، والريح ، والشمس ، والاثم ، والداء ، والدبس ، والمفتاح ، والعروس ، والعصير ، وعين الديك ، والدم ، والسجلاط أي الياسمين ، والدمشقية ، والبابلية ، والعانية ، والعراقية ، والفارسية ، ونحو من هذا كثير[89] .

وهذا مما يدعو الى العجب والاستغراب ، فهذه الالفاظ لا تنصرف عند ذكرها مجردة من القرائن الى الدلالة على الخمرة وحدها ، وانما اطلقت عليها تجوزا لمناسبة ما على سبيل الاستعارة والكناية والمجاز ، ومما يؤكد هذا الخلط والاسراف عند الفيروز آبادي في هذا الشأن انه ساق جملة من

---

(٨٨) المرصع : ص ١٥٧ وجمهرة الامثال ١/٤٦ .

(٨٩) الجليس الانيس : ورقة ٢٧ ب ، ٢٨ أ ـ ب ٤٤ آ ، ٥٠ آ ، ٥٦ ب ، ٥٨ آـب ، ٦٠ آ ، ٦٥ أـب ، ٦٩ أـب ، ٧٤ ب ، ٧٦ آ ، ٨٦ ب ، ٨٨ آ ـ ب ، ٩١ آ ، ٩٥ آـب ، ٩٩ ب ، ١١١ ب ، ١١٦ ب ، ١٢٠آ ، ١٢١ أ ـ ب .

الالفاظ اسماء للخمرة • ثم اورد هذه الالفاظ نفسها اسماء للعسل كما اسلفنا •

وقد اشار المرحوم علي الجارم الى غلو الفيروز آبادي وتساهله في عدة الكثير من الاسماء المرادفة للعسل ؛ وبين أن اكثرها ليس مترادفا ؛ بل هي الفاظ متقاربة في المعنى بما كشفه من الفروق بينها[٩٠] •

وقل مثل هذا في ما أورده السيوطي من أمثلة استشهد بها على الترادف وقد سبقت الاشارة الى طائفة منها •

كما لم يكن معظم ما جمعه من أسماء للذئب والكلب من الاسماء المترادفة ترادفا تاما ؛ لانها لم تقتصر في الدلالة على الذئب أو الكلب وانما تجاوزت ذلك الى كل ما يتعلق بهما من صفات واحوال وأجناس ؛ ونحو ذلك • وثمة لغات اخرى عرفت ايضا كثرة الاسماء المختلفة للمسمى المعين ؛ من ذلك تعدد اسماء الثلج لدى الاسكيمو التي نشأت بسبب الحاجة الى تمييز الوجوه المختلفة للثلج ؛ وتعدد اسماء الظبي عند جماعة التشوكتش في سيبريا • وفي الايرلندية اثنا عشر اسما للدب ومثلها للسالمون ، كما ان إسم الحصان يتجدد في معظم اللغات الهندية الاوربية لاختلاف اجناسه وتعدد وجود استعماله • وفي الانكليزية سبع وثلاثون كلمة للص تبعا لانواعه • وهذا التعدد في التسمية يعبر عن اهتمامات شعب من الشعوب بشيء معين لما له من اثر واهمية في حياتهم ؛ ذلك ان « تعدد الاستعمال يؤدي الى خلق كلمات مختلفة »[٩١] • وهذا القبيل من تعدد الاسماء ليس من الترادف التام ؛ لاختلاف هذه الالفاظ في الدلالة على هذا المسمى بحسب احواله واجناسه وصفاته وضروب استعماله ؛ وفي ضوء هذا تنظر الى تعدد اسماء الجبل والناقة والخيل في

---

(٩٠) مجلة مجمع اللغة العربية الملكي : ج١ ص٢١٤ — ٢٢٠ القاهرة سنة ١٩٣٤

(٩١) اللغة : ٢٨٣ — ٢٨٥ ؛ وينظر علم النفس الاجتماعي ١/٧١—٧٢ ومجلة آفاق عربية عدد ٤ ؛ ص ٢٤ بغداد كانون الاول ١٩٧٥ •
A comprehensive English Grammar for Foreign Students, P. 431 — 432.

العربية لما لهذه الاشياء من الاهمية الكبرى عند العرب .

٦ ـ التصحيف والتحريف :

سبق أن اشرنا الى هذا الامر عند الحديث عن الابدال . والتصحيف والتحريف أمران شائعان في الالفاظ العربية بسبب طبيعة الحروف العربية وتشابهها في الصورة وعدم وجود النقط في الكتابة العربية القديمة فقد يؤديان باللفظ الى ان يقرأ بخلاف حقيقته . وقد وقع التصحيف والتحريف في الفاظ اللغة حتى بعد وضع التنقيط واختراعه . وبالنظر الى خطورة الاثار التي يتركها هذا الامر في اللغة سارع العلماء الى التصنيف فيه اتقاء لوقوعه وتنبيها على ما وقع منه ؛ مثل كتاب التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة بن الحسن الاصفهاني وكتاب شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف لابي احمد العسكري وغيرها من الكتب التي الفت في هذا الموضوع .

والذي يعنينا من امر التصحيف والتحريف ما يتعلق بكثرة الترادف في العربية واثر ذلك في تعدد الاسماء للشيء الواحد كأن يكون لمسمى واحد اسم معين فيصحف او يحرف هذا الاسم ومن ثم يقرأ بعدة وجوه فتنشأ له عدة صور لفظية ثم تجد هذه الصور من بعد ذلك طريقها الى اللغة فتحسب اسماء مختلفة لشيء واحد على حين ان اللفظة في الحقيقة واحدة .

وبسبب التصحيف والتحريف كثيرا ما كان يشتبه الامر في الفاظ وتختلط المسميات ، فيحسبها بعضهم اسما لشيء ما ويحسبها آخر اسما لمسمى آخر ، فتتعدد الاسماء وتكثر الصور اللفظية نتيجة عدم تقييدها بلفظ معين وضبط مسماها ، وربما عدت لغة او ابدالا ، ولعل ما لحق كلمة « أم رَباح » من تصحيف ووهم في لفظها خير دليل على ذلك ، وفيها يقول ابن الاثير (ولقد وقفت بعض الايام في بعض كتب العربية ، على تمثيل اسماء مثل بها مصنفة ، وفي جملتها « أم رباح » ولم يقيد لها لفظ ولا بناء ، ولا ذكر لها مسمى . فاشتبه أمرها فتطلبتها في ما حضرني من كتب العربية لغة ونحوا فلم أجدها . وسألت عنها فلم أجد فيها شافيا ، فمن قائل : انها براء

مكسورة وتاء من فوقها ... ومن قائل انها براء مفتوحة وباء تحتها نقطة وحاء وهو الصحيح ... ثم جهل مساها فمن قائل : انها الشمس وعزاه الى بعض علماء الزمان ، ومن قائل : انها الريح . ومن قائل : انها اللعبة التي يلعب بها الصبيان ، ويقال لها : « أبو رياح » فلم تقع الثقة بشيء من هذه الاقوال لاختلافها ، ولم أزل أتتبع مواقعها وأتطلبها من مظانها الى أن وجدتها في كتاب « الطير » لابي حاتم السجستاني ـ رحمه الله ـ وقد ضبطها بالراء المفتوحة وبالباء الموحدة والحاء المهملة وقال : هي طائر أحمر الجناحين والظهر يأكل العنب)[٩٢] .

وقد نجد أحيانا عدة الفاظ متقاربة في صورها اللفظية عدت اسماء مختلفة مستقلة لشيء واحد . ولا نستبعد أن يكون هذا التعدد هو نتيجة التصحيف والتحريف الذي لحق الكلمة الواحدة ان لم يكن تطورا صوتيا قد لحق حروف الكلمة على سبيل الابدال أو القلب ولا سيما الالفاظ التي تلحظ بين حروفها علاقة صوتية .

ومن أمثلة ذلك ما ورد للداهية من اسماء من نحو : العَنْقَفِير والعَنْقَفِير والعَنْقَفِير[٩٣] ، والضَّنْبِل والضَّنْطِل والضَّنْبِل ، وقيل هي لغة بني ضبة ، والضَّئْبِل[٩٤] ونحو : أبو خَنَاثِير ، ويقال خَنَاسِير ، وأخو خَنَاثِير ، وأم خَنْثور وأم خنشفير ، وأم خِنَّوْر[٩٥] . وأم الرَّقُبوت وأم الرَّقِيم وأم الرقوب وأم الرقون[٩٦] . ومثل هذا كثير من الالفاظ الجارية على هذه الشاكلة التي جاءت متقاربة في صورها اللفظية وعدت من المترادف ، ونحن نستبعد كل هذه الالفاظ ونرجح انها كانت لفظاً واحداً ثم تعدد نتيجة التطور الصوتي أو انها كانت بسبب من التصحيف او التحريف أو الوهم .

---

(٩٢) المرصع : ص ٣٢
(٩٣) اللسان مادة عقفر : ٥٩٩/٤
(٩٤) اللسان مادة ضابل : ٣٨٩/١١ .
(٩٥) المرصع : ص١٥٣ ، ١٥٧ ، واللسان مادة خنسر وخشنفر : ٢٦١/٤ .
(٩٦) المرصع : ص ١٨٦ .

ومن الادلة التي تؤكد ما للتصحيف من اثر في كثرة الترادف ما قيل من انمن اسماءالخمرة الجادي وهوتصحيف الحاذي والجاديمن اسماءالزعفران، كما نص على ذلك الفيروز آبادي ونبه عليه[97] . ومن اسماء الحية المصحفة « الحَضْب » وانما هو الحَضْب[98] . ومن اسماء الموت « الهَيْسَع » وهو تصحيف «الهَيْسَغ»[99] ومن الاسماء التي وقع فيها التصحيف وصار لها اكثر من لفظ : العَمَلَّس للذئب فقد صحفت الى الغملس[100] . والصمام والصمى بمعنى الداهية اذ صحفت الى الضمّ والضمام[101] . وقد صحفت ايضا الدَّتَب والدَّتَابة للقصير الى الذِّتَب والذَّتَابة ؛ وقد ذكر الجوهري أن الجَيْدَر هو القصير وهو تصحيف الجَيْدَر بنص الهروي[102] . ومن اسماء الاصل القَبْس وهو تصحيف القَنْس[103] . ومن اسماء الشمس يُوح وهو تصحيف يُوح[104] وانما البوح النفس .

ومن هذا تبين ما للتصحيف والتحريف من اثر في كثرة الترادف لما ينشأ عن ذلك من تعدد في صورة الكلمة الواحدة للمعنى الواحد ومن ثم تعد تلك الصور من أسمائه المختلفة .

وقد انتقل كثير من هذه الكلمات المصحفة الى افواه العلماء ثم جرى بها الاستعمال ودخلت كتب اللغة والمعجمات ؛ ثم ان التصحيف قد يختلط بالابدال أو يلتبس به ؛ ولا يبعد أن تكون بعض الكلمات التي اقحمت في مسائل الابدال ليست في الحقيقة الا وليدة التصحيف او التحريف[105] .

---

(٩٧) الجليس الانيس : ورقة ٤٥ ب

(٩٨) التنبيه على حدوث التصحيف ص ١٣٢

(٩٩) نفسه : ١٣٢ ـ ١٣٣ ؛ والمزهر : ٢/٣٦٣

(١٠٠) المزهر : ٢/٢٨٨

(١٠١) نفسه : ٢/٢٨٩

(١٠٢) نفسه ٢/٢٩٠ ـ ٢٩٢ .

(١٠٣) نفسه : ٢/٣٥٦

(١٠٤) نفسه : ٢/٣٦٥ .

(١٠٥) من اسرار اللغة : ص ٨٥

وايا كان مرد اختلاف هذه الالفاظ التي هي بمعنى واحد ؛ من تصحيف او تحريف أو ابدال أو قلب أو بسبب لثغة أو لكنة فان هذه العوامل قد اوهمت بترادف كثير من الالفاظ التي هي ليست من الترادف ـ بمعناه الدقيق ـ في شيء •

وفي ضوء الحقائق السالفة يبدو لنا الخلط الكثير الذي وقع فيه الذين وضعوا معجمات خاصة بالترادف ؛ سواء كانوا قدامى ام محدثين ؛ اذ انهم اغفلوا هذه الامور في جمعهم للالفاظ المترادفة مما نجم عنه ازدحام تلك المعجمات بما هو مترادف حقا وما هو ليس منه البتة ؛ كأن يكون من باب التطور الصوتي او الخطأ والوهم او التصحيف والتحريف او من قبيل الالفاظ المتقاربة في المعنى • او من قبيل التراكيب والتعبيرات لا المفردات • كما انهم لم يراعوا اتحاد الالفاظ المترادفة ببيئة معينة واستعمالها الفعلي ؛ ومن غير تقييد لها بزمان ومكان معينين ؛ اضافة الى اهمالهم التطور الدلالي واثره في حدوث الترادف او في تباينه بمرور الزمن ؛ وكأن الترادف حقيقة ثابتة مطلقة في الفاظ اللغة فكان طبيعيا ان تكثر المترادفات لديهم نتيجة هذا الخلط ولابتعادهم عن المفهوم الدقيق للترادف ؛ ولنظرتهم المنهجية الخطأ في التصنيف فيه على هذا النحو • وقد انحصر هدفهم في جمع اكبر قدر ممكن من المترادفات الوهمية والحقيقية ؛ غير مستهدين باسس وضوابط لغوية معينة ويصدق هذا الامر كما تبينا فيما سبق على معظم مصنفات القدامى وعلى الدارسين المحدثين الذين تابعوا اللغويين الاسلاف في جمع الالفاظ المترادفة على هذه الشاكلة ، واذ فصلنا الحديث عن القدامى ؛ حق علينا الاشارة الى المحدثين مثل روفائيل نخلة اليسوعي في كتابيه : « غرائب اللغة العربية وقاموس المترادفات والمتجانسات » ونجيب اسكندر في كتابه « معجم المعاني للترادف والمتوارد والنقيض » ؛ والشيخ ابراهيم اليازجي في كتابه : « نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد » وغيرهم •

فمن امثلة خلطهم ما اورده اليسوعي من مترادفات نحو : خزام

وخزامي ، اصبع واصبوع ، عسر وعسرة وعسرى ، وجيد وجذب ، وحمد ومدح[١٠٦] .

وما اورده نجيب اسكندر من الفاظ للترادف نحو : اتسع ووسع واستوعب . ونحو اتناق واتناقية ، واجتنب وتجنب ، واجوف ومجوف ، وانس وانسة واستئناس[١٠٧] وكذلك ما اورده الشيخ اليازجي من الفاظ نحو : بدين وبادن ومبدان وبدانة ومتليء البدن . ومسته ومسته وماسته ولمست ولامسته ، وجسته واجتسته[١٠٨] . فضلا عن خلطه الكثير بين الترادف في المفردات والتراكيب المتقاربة في معانيها[١٠٩] بل ان جل ما ورد في كتابه هو من هذا النحو .

وخلاصة القول ان اكثر ما ورد في هذه الكتب هو من هذا النحو من هذا الخلط العجيب الذي لا طائل تحته . واذا نظرنا الى هذه الالفاظ التي اوردوها في ضوء ما قررناه من حقيقة الترادف انتهينا الى القول انها ليست

---

(١٠٦) غرائب اللغة العربية ص ١١–٤٢ ؛ وقد اورد في كتابه قاموس المترادفات والمتجانسات كثيرا من مثل هذه الالفاظ : ص

(١٠٧) معجم المعاني في المترادف والمتوارد والنقيض ص١١ ، ١٢ ، ١٥ ، ٦١ وينظر امثلة اخرى : ص ٢٧ ، ٤٨ – ٤٩ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ٢٠٢ ، ٢٩٤ .

(١٠٨) نجعة الرائد : ٩/١ ، ٤٤ وتنظر امثلة اخرى : ١٤/١ ، ٢١ ، ٢٧ ، ٥٥ ، ٦٠ ، ١٠٦ ، ١١٠ ، ١١٨ – ١١٩ ، ١٥٢ ، ١٦١ ، ١٨٨ ، ١٩١ ، ١٩٤ – ١٩٥ ، ٢١٩ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٤٢/٢ – ٤٣ ، ٥٠ ، ٦٣ ، ٧٣ ، ٨٥ – ٨٦ ، ٩٦ – ٩٧ ، ١١٣ ، ١١٨ ، ١٢٦ ، ١٤٨ ، ١٦٦ ، ١٧٩ .

(١٠٩) المصدر السابق : ١/١ – ١٠ ، ١٦ ، ٢٥ – ٢٦ ، ٣١ ، ٥٢ – ٥٣ ، ٦٩ ، ٨٠ ، ٨٤ – ٨٥ ، ٩٢ – ٩٣ ، ١٠٠ – ١٠١ ، ١٠٧ ، ١١٢ ، ١١٨ – ١١٩ ، ١٤٤ ، ١٥٢ ، ١٦٨ ، ١٧٠ – ١٧١ ، ١٨٢ ، ١٩٢ – ١٩٥ ، ٢٠٠ – ٢٠٩ ، ٢١٤ – ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٣٩ ، ٢٥٤ – ٢٥٥ ، ٢٥٨ – ٢٥٩ ، ٢٧٤ – ٢٧٥ ، ٢٨٠ – ٢٨١ ، ٢/٢ – ١٢ ، ١٩ – ٢٤ ، ٢٦ – ٢٨ ، ٣٦ ، ١١١ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٣١ – ١٣٢ ، ١٣٦ – ١٣٧ ، ١٥٨ – ١٥٩ ، ١٠٣ ، ١١١ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٣١ – ١٣٢ ، ١٣٦ – ١٣٧ ، ١٥٨ – ١٥٩ ، ١٦٦ ، ١٨٢ – ١٨٤ ، ١٨٨ ، ١٩٣ ، ٢٠١ .

من الترادف الحقيقي البتة ؛ وكشفنا عن مدى الخلط والوهم الذي وقع فيه هؤلاء ؛ ومدى عشوائية جمعهم ؛ حتى يكاد المرء يقرر انهم لم يعرفوا معنى محددا للترادف قط .

ان هذا ليؤكد ان اللغة لم تكن السبب في كثرة الترادف الذي هو ضرب من الترف اللغوي قلما تجود به بسهولة ويسر ؛ وانما سببها ما كشفنا عنه من النظر الخطأ الى الترادف وحشره دون قيد او اعتبار . واذا اخرجنا ما ولدته تلك النظرة تبينا بطلان هذه الكثرة وعدم صحتها ؛ الا ان هذا لا يعني خلو العربية من الترادف ؛ فهو واقع ولكن بقدر معقول كما هي الحال في لغات أخرى .

الخاتمة

الترادف ظاهرة لغوية عرفت في كثير من اللغات ، القديمة والحديثة ، وقد تنبه لغويونا العرب القدامى لها منذ وقت مبكر واختلفوا بشأنها ، وكانوا بين قائل بها ومنكر لها ، كما اختلفوا في تعريفها وتفسيرها ونشأتها وقد غالى كل فريق من هؤلاء اللغويين بالتمسك برأيه حتى صارت مشكلة من المشكلات اللغوية في عربيتنا الفصيحة ، تستحق الوقوف عندها والتأمل فيها ٠

ومرد خلط القدماء في هذه الظاهرة الى امرين : اولهما افتقارهم الى تعريف واضح دقيق محدد لمفهوم الترادف ، وثانيهما ما كان من نظرتهم الى المترادفات تبعا الى الوضع الاصلي للالفاظ ، وخلطهم بين المستويات اللغوية المختلفة في الزمان والمكان والبيئة ٠

ونستطيع اجمال ما توصلنا اليه في هذه الدراسة في :

١ ـ تحديد معنى الترادف تحديدا دقيقا ، ذلك ان الغموض الذي لحق هذا المفهوم كان سببا رئيسيا في الخلط والاضطراب في النظر الى ظاهرة الترادف وفي توسيع الهوة بين الآراء المتضاربة بشأنها ، فكان ان وقفنا على مفهوم دقيق للترادف يلتمس تبعا للحس اللغوي العام ولطرائق الاستعمال مع ضرورة مراعاة اتحاد الالفاظ المترادفة في الزمان والمكان والبيئة وعدم التعويل على اصل الوضع لصعوبة معرفته اولا ، ولانه يخرجنا عن المنهج الوصفي في دراسة الحقائق اللغوية ثانيا ٠

٢ ـ لا يمكن تفسير وقوع الترادف بسبب بعينه ، ذلك ان ثمة اسبابا كثيرة لحدوثه لكل منها اثره وطبيعته ، واهم سبب لوقوع الترادف هو حقيقة التطور في الاستعمال لا التعدد في الوضع كما ذهب كثير من اللغويين القدماء

والمحدثين . كما ان للمعرب والدخيل واختلاف اللغات اثرا في ذلك ، أقل شأنا . واذا ما توسعنا في فكرة التطور اللغوي يمكننا القول ان الترادف كان نتيجة لهذا التطور بمعناه الواسع ، لاقتران حدوثه بالظروف اللغوية عامة وبالتطور الدلالي خاصة . وعلى هذا يمكننا القول ان معظم المترادفات تفتقر الى الاصالة .

٣ ـ ان الخلاف في وقوع الترادف سببه اختلاف اللغويين في النظر الى فكرة المعنى اللغوي وتباين مواقفهم ومناهجهم في النظر الى اللغة ، يزاد على ذلك ما تركته النظرة العقلية والمنطقية من اثر واضح في موقف المنكرين خاصة .

٤ ـ ان الكثرة الكاثرة مما سمي بالمترادف في العربية لا صحة له ، وقد كان لخلط جامعي الالفاظ المترادفة ومنهجهم الخطأ في هذا الجمع اثر كبير في ذلك .

٥ ـ ان الترادف واقع في العربية لا سبيل الى انكاره وهو موضوع ينميه التطور ويدعمه الاستعمال ويشهد به الواقع اللغوي ، أما هذه الكثرة فلا صحة لها بالمعنى الدقيق للترادف . والترادف حالة تعرض لالفاظ من اللغة في اثناء حياتها وتطورها ، ومن الجائز ان يكون ما كان مترادفا في مرحلة ما متباينا في مرحلة اخرى والعكس صحيح ايضا ما دامت الفاظ اللغة جميعا عرضة للتطور الدلالي .

وهذا يعني ان الترادف نوع من الترف اللغوي ليس ثابتا في الالفاظ قلما تجود به اللغة بيسر بسبب من تطور اللغة نفسها وتغير معاني الفاظها بمرور الزمن ولان من طبيعة اللغة توزيع الالفاظ على الاستعمالات المختلفة وظهور التباين في دلالاتها على وجه العموم .

وفي ضوء هذه الحقائق ارى ضرورة وضع معجم حديث للالفاظ المترادفة يعتمد المفهوم الدقيق للترادف ، ويراعي التطور اللغوي التاريخي ويعير الاسس التي ارسيناها في هذا البحث ما تستحقه من عناية .

المصادر والمراجع

المخطوطات والرسائل الجامعية والمحاضرات

× ابن الاعرابي دراسة وتحقيق كتاب النوادر وجمع مروياته ـ كامل سعيد عواد ـ رسالة ماجستير ـ جامعة بغداد ـ ١٩٧٦ م ٠

× ابن درستويه وكتابه تصحيح الفصيح ، دراسة وتحقيق ـ عبدالله احمد الجبوري ـ رسالة ماجستير ـ جامعة بغداد ١٩٧٢م ٠

× ابو بكر الزبيدي الاندلسي واثاره في النحو واللغة ـ نعمة رحيم العزاوي ـ رسالة ماجستير ـ جامعة بغداد ١٩٧٤ ٠

× الاضداد في اللغة ، محمد حسين آل ياسين ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ١٩٧٣ ٠

× التهذيب في اسماء الذيب ـ جلال الدين ابو الفضل عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) مخطوط في المكتبة الازهرية بالقاهرة ضمن مجموعة خطية برقم (١١٢٢ مجاميع) ٥٣٧٢٩ (مصورة الدكتور عدنان محمد سلمان)

× الجليس الانيس في تحريم الخندريس ـ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي (ت ٨١٧ هـ) مخطوط في دار الكتب برقم ٥١١ لغة نسخة مصورة في معهد احياء المخطوطات ـ جامعة الدول العربية ٠

× الزهرة البارقة في فنون اللغة الرائقة ـ ابو المحاسن محمد بن عبدالوهاب ابن داود الهمذاني (ت ١٣٠٥ هـ) ـ نسخة الدكتور حسين علي محفوظ المصورة عن النسخة المودعة في مكتبة آية الله الحكيم العامة في النجف ٠

× الغريب المصنف ـ ابو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) مخطوط في مكتبة المتحف العراقي ، ببغداد برقم (١٦٢٨)

× ما اختلفت الفاظه واتفقت معانيه ـ ابو سعيد عبدالملك بن قريب الاصمعي (ت ٢١٤ هـ) مخطوط مصور بالمايكرو فيلم ضمن مجموعة برقم (١٦٠٧) في مكتبة الدراسات العليا ـ كلية الاداب جامعة بغداد « عن مخطوط مكتبة القاهرة بدمشق ـ تصوف ١٢٩ (١٢٨) » .

× محاضرات في فقه اللغة القاها الاستاذ عبدالحميد الراضي على طلبة الصفوف الرابعة ـ قسم اللغة العربية ـ كلية الاداب جامعة بغداد ـ مطبوعة بالالة الكاتبة .

× معجم المترادفات ـ الدكتور حسين علي محفوظ ـ مخطوط في خزانته الخاصة .

× نقد الشعر العربي الحديث في العراق من ١٩٢٠ ـ ١٩٥٨ ـ عباس توفيق رسالة ماجستير ـ جامعة بغداد ١٩٧٦ .

المطبوعات

× القرآن الكريم .

× الابدال لابي الطيب عبدالواحد بن علي اللغوي الحلبي (ت ٣٥١ هـ) تحقيق : عزالدين التنوخي ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٧٩هـ ـ ١٩٦٠م .

× الابل للاصمعي ، تحقيق : د . أوغست هفنر ـ ضمن الكنز اللغوي في اللسن العربي .

× ابو فراس الحمداني ـ الديوان ـ (ت ٣٥٧ هـ) تحقيق : د . سامي الدهان ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٤٥م .

× الاتباع لابي الطيب اللغوي ، تحقيق : عزالدين التنوخي ، مطبعة الترقي مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦١م .

× الاتقان في علوم القرآن ، للسيوطي . تصحيح لجنة من العلماء ، الطبعة

الثالثة ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر ـ ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م •

× احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ؛ شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد بن ابي بكر البشاري المقدسي (ت ٣٨٠ هـ) بعناية دي غويه ، الطبعة الثانية ، مطبعة بريل ، ليدن ١٩٠٦م •

× الاحكام في اصول الاحكام ؛ للحافظ ابي محمد علي بن حزم الاندلسي الظاهري (ت ٤٥٦ هـ) تحقيق : احمد محمد شاكر ، الطبعة الاولى ، مطبعة السعادة ، مصر ١٣٤٥هـ •

× الاحكام في اصول الاحكام ؛ لسيف الدين ابي الحسن علي بن ابي علي بن محمد الامدي (ت ٦٣١ هـ) ؛ دار الكتب الخديوية ، مطبعة المعارف بمصر ١٣٣٢هـ ـ ١٩١٤م •

× اخبار النحويين البصريين ، ابو سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي (ت ٣٦٨ هـ) بعناية : فريتس كرنكو ـ المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٣٦ م•

× ادب الكاتب ؛ لابي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) تحقيق : ماكس كرنيرت مطبعة بريل ، ليدن ١٩٠٠م اعادت طبعه بالاوفسيت دار صادر ، بيروت ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م •

× ارشاد الاريب الى معرفة الاديب المعروف بـ (معجم الادباء) لشهاب الدين ابي عبدالله ياقوت الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ) تحقيق د • س • مرجليوث ـ لندن ـ لوزاك ـ ١٩٢٣م •

× ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول ؛ لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٥ هـ) الطبعة الاولى ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٧م •

× اصلاح المنطق ، لابي يوسف يعقوب بن اسحق السكيت (ت ٢٤٤ هـ) تحقيق : احمد محمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف بمصر ١٩٧٠م .

× الاصوات اللغوية : د . ابراهيم انيس ، الطبعة الرابعة ، المطبعة الفنية الحديثة ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧١ م .

× اصول الفقه ، الشيخ محمد الخضري ، الطبعة الرابعة ، مطبعة السعادة مصر ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م .

× اصول الفقه ، الشيخ محمد رضا المظفر ، الطبعة الثانية ، مطابع دار النعمان ، النجف ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .

× الاضداد ، محمد بن القاسم الانباري (ت ٣٢٧هـ) ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، دائرة المطبوعات والنشر في الكويت ١٩٦٠م .

× اعجاز القرآن ، لابي بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣) ، تحقيق السيد احمد صقر ، دار المعارف بمصر ١٩٥٤م .

× الاقتضاب في شرح ادب الكتاب ، ابو محمد عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي (ت ٥٢١ هـ) دار الجيل ، بيروت ١٩٧٣ م .

× الالفاظ الفارسية المعربة ، أدى شير ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٠٨ م .

× الالفاظ الكتابية ، عبدالرحمن بن عيسى الهمذاني (ت ٣٢٠ هـ) تصحيح الاب لويس شيخو اليسوعي ، الطبعة الثامنة ، مطبعة الاباء اليسوعيين في بيروت ١٩١١م .

× الالفاظ اللغوية خصائصها وانواعها ، عبدالحميد حسن ، مطبعة الجبلاوى القاهرة ١٩٧١ م .

× الالفاظ المترادفة ، لابي الحسن علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤ هـ) شرح وتصحيح :: محمد محمود الرافعي ، مطبعة الموسوعات ، مصر ١٣٢١ هـ .

× الامالي ، لابي علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت ٣٥٦هـ) . نشر : اسماعيل يوسف بن صالح بن دياب التونسي ومحمد عبدالجواد الاصمعي الطبعة الثانية ـ المطبعة الاميرية د . ت . اعاد طبعه بالاوفسيت المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ د . ت .

× امالي الزجاجي ، لابي القاسم عبدالرحمن بن اسحق الزجاجي (ت ٣٤٠هـ) تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، الطبعة الاولى ، مطبعة المدني ، القاهرة ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م .

× انباه الرواة على انباه النحاة ، علي بن يوسف بن ابراهيم القفطي (ت ٦٤٦ هـ) تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ـ دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م .

× الانموذج في أصول الفقه ، د . فاضل عبدالواحد عبدالرحمن ، الطبعة الاولى ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م .

× الايام والليالي والشهور ، لابي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) تحقيق : ابراهيم الابيارى ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ١٩٥٦م .

× البئر ، لابي عبدالله محمد بن زياد الاعرابي (ت ٢٣١ هـ) ، تحقيق : د . رمضان عبدالتواب ، الهيأة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٧٠ م .

× البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر ، د . احمد مختار عمر ، مطابع سجل العرب ، دار المعارف بمصر ١٩٧١م .

× البحث اللغوي عند الهنود واثره على اللغويين العرب : د . احمد مختار عمر ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٢ م .

× البرهان في علوم القرآن ، للامام بدرالدين محمد بن عبدالله الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم . الطبعة الاولى دار احياء الكتب العربية ، مصر ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م .

× البلغة في شذور اللغة (مجموعة كتب في اللغة) ، تحقيق : د . أوغست هفنر والاب لويس شيخو اليسوعي . الطبعة الثانية ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩١٤م .

× بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب : لابي عبدالله محمد بن على الحكيم الترمذي (من علماء القرن الثالث الهجري) . تحقيق : د . نقولا هير ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ١٩٥٨ م .

× البيان والتبيين : لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، الطبعة الثالثة ، مطبعة دار التأليف ، مصر ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .

× تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) دار مكتبة الحياة ببيروت (اوفسيت عن الطبعة الاولى ، المطبعة الخيرية ، مصر ١٣٠٦ هـ) .

× تاج اللغة وصحاح العربية (الصحاح) : اسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣ هـ) تحقيق : احمد عبدالغفور عطار ، مطابع دار الكتاب العربي بمصر ١٩٥٦م .

× تاريخ الادب العربي ، ريجس بلاشير ، ترجمة ابراهيم الكيلاني مطبعة الجامعة السورية - دمشق - ١٩٥٦م .

× التبرى من معرة المعري للسيوطي ـ ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء •

× تثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابي حفص عمر بن خلف بن مكي الصقلي (ت ٥٠١ هـ) : تحقيق د • عبدالعزيز مطر ، دار التحرير للطبع والنشر القاهرة ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م •

× التضاد في ضوء اللغات السامية ، د• ربحي كمال ، جامعة بيروت العربية ١٩٧٢م •

× التطور اللغوي : د • عبدالرحمن أيوب : القاهرة ١٩٦٤ م •

× التطور اللغوي التاريخي : د • ابراهيم السامرائي : دار الرائد للطباعة : القاهرة ١٩٦٦ م •

× التطور النحوي للغة العربية : برجستراسر ، بعناية محمد حمدي البكري ، مطبعة السماح ، مصر ١٩٢٩ م •

× التعريفات ، علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٦٩ م •

× تعريف القدماء بأبي العلاء : باشراف د • طه حسين وتحقيق مصطفى السقا وآخرين ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٥ م •

× التفسير البياني للقرآن الكريم د • عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطىء) الطبعة الثانية : دار المعارف بمصر : القاهرة ١٩٦٦م •

× التقريب لحد المنطق والمدخل اليه : لابن حزم الاندلسي (ت ٤٥٠ هـ) ، تحقيق : د • احسان عباس : مطابع دار العباد ، بيروت • د • ت •

× تقويم اللسان ، لابي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، تحقيق د • عبدالعزيز مطر ، الطبعة الاولى ، دار المعرفة ، القاهرة ١٩٦٦ م •

× تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة : لابي منصور موهوب بن احمد بن محمد بن الخضر الجواليقي (ت ٥٣٩هـ) تحقيق : عزالدين التنوخي ؛ مطبوعات المجمع العلمي العربي (٨) • د • ت • د • مط •

× تلخيص الخطابة : لابي الوليد ابن رشد (ت ٥٩٥ هـ) تحقيق : د • محمد سليم سالم : لجنة احياء التراث الاسلامي : الكتاب الرابع عشر : القاهرة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م •

× تلخيص كتاب ارسطو طاليس في الشعر : ابو الوليد ابن رشد ، تحقيق : د • محمد سليم سالم • لجنة احياء التراث الاسلامي ؛ الكتاب (٢٣) القاهرة ١٣٩١هـ - ١٩٧١م •

× التلويح في شرح الفصيح : لابي سهل محمد بن علي بن محمد الهروى (ت ٤٣٣ هـ) نشر وتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي : ١٩٤٩م •
ضمن فصيح ثعلب والشروح التي عليه •

× التنبيه على حدوث التصحيف : حمزة بن الحسن الاصفهاني (ت نحو ٣٥١ هـ) تحقيق : الشيخ محمد حسن آل ياسين : الطبعة الاولى ، مطبعة المعارف : بغداد ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م •

× تهذيب اللغة : لابي منصور محمد بن احمد الازهري (ت ٣٧٠ هـ) تحقيق عبدالسلام هارون وآخرين - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر - دار القومية العربية للطباعة - القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م •

× تيسير اصول الفقه : بدر المتولي عبدالباسط ؛ نشر دار النهضة العربية ؛ دار الاتحاد العربي للطباعة : القاهرة ١٩٧٠م •

× الجامع لاحكام القرآن : لابي عبدالله محمد بن احمد الانصاري القرطبي (ت ٦٧١ هـ) الطبعة الثالثة (عن طبعة دار الكتب المصرية) دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م •

× جمهرة الامثال ؛ ابو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥ هـ) تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم وعبدالمجيد قطامش ، الطبعة الاولى ؛ المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر ؛ القاهرة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م ٠

× جمهرة اللغة ، لابي بكر محمد بن الحسن الازدي البصري المعروف بابن دريد (ت ٣٢١ هـ) طبعته مكتبة المثنى ببغداد بالاوفسيت (عن طبعة ١٣٤٦ هـ) ٠

× جواهر الالفاظ ؛ لابي الفرج قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ؛ الطبعة الاولى ؛ مطبعة السعادة ، مصر ١٣٥٠هـ - ١٩٣٢م ٠

× حاشية العطار على جمع الجوامع ؛ للشيخ حسن العطار : تحقيق : محمد علي بن حسين المالكي ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر د ٠ ت ٠

× الحروف التي يتكلم بها في غير موضعها ؛ لابن السكيت ؛ تحقيق : د ٠ رمضان عبدالتواب ؛ الطبعة الاولى ؛ مطبعة جامعة عين شمس ١٩٦٩ م ٠

× خزانة الادب ولب لباب لسان العرب ، الشيخ عبدالقادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ) الطبعة الاولى - المطبعة الاميرية ببولاق د ٠ ت ٠

× الخصائص ؛ لابي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) تحقيق : محمد علي النجار ؛ الطبعة الثانية ، دار الهدى للطباعة والنشر ؛ بيروت اوفسيت عن طبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٢ م ٠

× الخطابة ؛ لارسطو طاليس (الترجمة العربية القديمة) تحقيق : د ٠ عبدالرحمن بدوي ؛ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ؛ القاهرة ١٩٥٩ م ٠

× خلق الانسان : للاصمعي : تحقيق : د . اوغست هفنر : ضمن الكنز اللغوي في اللسن العربي .

× خلق الانسان : عن ابي محمد ثابت بن ابي ثابت (من علماء اللغة في القرن الثالث الهجري) تحقيق : عبدالستار احمد فراج : مطبعة حكومة الكويت : الكويت ١٩٦٥ م .

× دراسات في علم اللغة : د . كمال محمد بشر : دار المعارف بمصر : القاهرة ١٩٦٩ م .

× دراسات في فقه اللغة العربية : د . يعقوب بكر : مكتبة لبنان : مطبعة المطبعة : بيروت ١٩٦٩ م .

× دراسات في فقه اللغة د . صبحي الصالح : الطبعة الثانية : المكتبة الاهلية : دار الشمالي للطباعة : بيروت ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م .

× دراسات في اللغة : الدكتور ابراهيم السامرائي - مطبعة العاني - بغداد ١٩٦١ م .

× درة الغواص في اوهام الخواص : لابي محمد القاسم بن علي الحريري (ت ٥١٦ هـ) الطبعة الاولى : مطبعة الجوائب : قسطنطينية ١٢٩٩ هـ .

× الدرة الفاخرة في الامثال السائرة : حمزة بن الحسن الاصبهاني : تحقيق : عبدالمجيد قطامش : دار المعارف بمصر : القاهرة ١٩٧١ م .

× دلالة الالفاظ : د . ابراهيم أنيس : الطبعة الثالثة : مكتبة الانجلو المصرية : مطابع سجل العرب : القاهرة ١٩٧٢م .

× دلالة الالفاظ العربية وتطورها : د . مراد كامل : جامعة الدول العربية : مطبعة نهضة مصر : القاهرة ١٩٦٣م .

× دور الكلمة في اللغة ، ستيفن اولمان ، ترجمة : د • كمال محمد بشر مكتبة الشباب ، الطبعة الثالثة ، المطبعة العثمانية ، ١٩٧٢م •

× ديوان ابي الطيب المتنبي بشرح ابي البقاء العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان ، تحقيق : مصطفى السقا واخرين ، الطبعة الثانية ، طبع ونشر : مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر ١٣٧٦هـ – ١٩٥٦م •

× ديوان امرىء القيس ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف القاهرة ١٩٥٨م •

× ديوان النابغة الذبياني ، صنعة ابن السكيت ، تحقيق شكري فيصل ، دار الفكر ، بيروت ١٩٦٨ م •

× ديوان النابغة الجعدي ، منشورات المكتب الاسلامي ، دمشق ١٩٦٤ م •

× ذيل الامالي والنوادر ، لابي علي القالي ، تحقيق : محمد عبدالجواد الاصمعي المكتب التجاري ، بيروت – د • ت •

× ذيل فصيح ثعلب ، موفق الدين ابو محمد عبداللطيف بن الحافظ بن ابي العز يوسف بن محمد البغدادي (٦٢٩) • نشر وتعليق : محمد عبدالمنعم خفاجي ، ضمن فصيح ثعلب والشروح التي عليه •

× رسائل البلغاء ، محمد كرد علي ، الطبعة الرابعة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٧٤هـ – ١٩٥٤م •

× رسائل في اللغة ، تحقيق د • ابراهيم السامرائي ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٣٨٣هـ – ١٩٦٤م •

× رواية اللغة ، د • عبدالحميد الشلقاني ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٧١ •

× سؤالات نافع بن الازرق الى عبدالله بن عباس ، تحقيق : د • ابراهيم السامرائي مطبعة المعارف بغداد ، ١٩٦٨م •

× شرح ادب الكاتب ، للجواليقي ، تقديم وتعليق : مصطفى صادق الرافعي، مكتبة القدسي ، القاهرة ١٣٥٠ هـ .

× شرح درة الغواص في اوهام الخواص ، شهاب‌الدين احمد الخفاجي، (ت ١٠٦٩ هـ) الطبعة الاولى ، مطبعة الجوائب ، قسطنطينية ١٢٩٩ هـ .

× شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، شهاب‌الدين احمد الخفاجي، تحقيق : محمد عبدالمنعم خفاجي ، الطبعة الاولى ، المطبعة المنيرية بالازهر القاهرة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م .

× الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، لابي الحسين احمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) تحقيق : مصطفى الشويمي ، الطبعة الثانية ، مؤسسة أ . بدران للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م .

× ضرورة الفن ، ارنست فيشر ، ترجمة اسعد حليم ، الطبعة الاولى ، الهيأة المصرية العامة للتأليف والنشر ، المطبعة الثقافية ، مصر ١٩٧١م .

× الطوبيقا لارسطو (نقل ابي عثمان الدمشقي) - تحقيق وتقديم د . عبد الرحمن بدوي - مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٤٩م .

× العرب والعربية ، عبدالرحمن محمد العيدروسي ، مطبعة دار التأليف ، القاهرة ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤م .

× العربية دراسات في اللغة واللهجات والاساليب ، يوهان فك ، نقله الى العربية وحققه وفهرس له : د . عبدالحليم النجار ، نشر : مكتبة الخانجي بمصر ، مطبعة دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م .

× العربية ولهجاتها ، د . عبدالرحمن ايوب ، جامعة الدول العربية ، مطابع سجل العرب ، القاهرة ١٩٦٨م .

× العسل والنحل والنباتات الذي تجرس منه ، لابي حنيفة احمد بن داود الدينوري (ت ٢٨٢هـ) تحقيق : محمد جبار المعيبد ، نشر في مجلة

المورد ، المجلد الثالث ، العدد الاول ، بغداد ، ١٩٣٤ هـ ــ ١٩٧٤م •

× علم اللغة ، د • علي عبدالواحد وافي ، الطبعة الرابعة ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ١٩٥٧م •

× علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة ، د • محمود فهمي حجازي ، المكتبة الثقافية ، الهيأة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٧٠م •

× علم اللغة العربية ، د • محمود فهمي حجازي ، وكالة المطبوعات الكويت ، ١٩٧٣م •

× علم اللغة مقدمة للقارىء العربي ، د • محمود السعران ، مطبعة م • ك • الاسكندرية ، دار المعارف بمصر ، فرع الاسكندرية ١٩٦٢ م •

× علم المنطق ، احمد عبدة خير الدين ، الطبعة الاولى ، المطبعة الرحمانية ، بمصر ١٣٤٨ هـ ــ ١٩٣٠ م •

× علم النفس الاجتماعي ، اوتو كلينبرغ ، ترجمة حافظ الجمالي ، مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٥ م •

× العين (الجزء المطبوع) ، الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) تحقيق : د • عبدالله درويش ، مطبعة العاني ، بغداد ١٣٨٦ هـ ــ ١٩٦٧ م •

× غرائب اللغة العربية ، الاب رفائيل نخلة اليسوعي ، الطبعة الثانية ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٠ م •

× فرائد اللغة (الجزء الاول : في الفروق) ، الاب هنريكوس لامنس اليسوعي ، الطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٨٨٩ م •

× فروق اللغات ، السيد نورالدين الجزائري (ت ١١٥٨هـ) تحقيق اسد الله الاسماعيليان ، منشورات دار الكتب العلمية ، مطبعة النجف ، النجف ١٣٨٠ هـ •

× الفروق اللغوية ، لابي هلال العسكري ، مكتبة القدسي ، القاهرة ١٣٥٣ هـ •

× فصول في فقه العربية ، د • رمضان عبدالتواب ، الطبعة الاولى دار الحمامي للطباعة ، القاهرة ١٩٧٣ م •

× فصيح ثعلب والشروح التي عليه ، نشر وتعليق : محمد عبدالمنعم خفاجي، الطبعة الاولى ، المطبعة النموذجية ، القاهرة ١٣٦٨ هـ — ١٩٤٩ م •

× فقه اللغة ، د • علي عبدالواحد وافي ، الطبعة السابعة دار نهضة مصر ، القاهرة ١٩٧٢ م •

× فقه اللغة المقارن ، د • ابراهيم السامرائي ، دار العلم للملايين بيروت، ١٩٦٨ م •

× فقه اللغة وخصائص العربية ، محمد المبارك ، الطبعة الثانية ، دار الفكر الحديث ، لبنان ١٩٦٤ م •

× فقه اللغة وسر العربية ، لابي منصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل، الثعالبي (ت ٤٣٠ هـ) : تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، الطبعة الثالثة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م •

× في الادب والنقد ، د • محمد مندور ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ١٩٧٣ م •

× في اصول اللغة والنحو ، د • فؤاد حنا ترزي ، مطبعة دار الكتب ، بيروت ١٩٦٩ م •

× فيض الخاطر ، احمد امين ، الطبعة الخامسة ، مطبعة لجنة التأليف، والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٨ م •

× في اللهجات العربية ، د • ابراهيم انيس ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ١٩٥٢ م •

× في النقد الادبي ، د . شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ١٩٦٢ م .

× قاموس المترادفات والمتجانسات ، الاب رفائيل نخلة اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٥٧ م .

× القلب والابدال ، لابن السكيت ، تحقيق : اوغست هفنر ، ضمن الكنز اللغوي في اللسن العربي .

× الكتاب ، لابي بشر عمرو الملقب بسيبويه (ت ١٨٠ هـ) الطبعة الاولى المطبعة الاميرية ببولاق ، مصر ١٣١٦ هـ .

× كتاب ارسطو طاليس في الشعر ، نقل ابي بشر متي بن يونس القنائي من السرياني الى العربي حققه مع ترجمة حديثة الدكتور شكري محمد عياد دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٧ م .

× الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٢٨ هـ) . دار الكتاب العربي بيروت د . ت .

× كلام العرب ، د . حسن ظاظا ، مكتبة الدراسات اللغوية ، مطبعة المصري الاسكندرية ١٩٧١ م .

× كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الالفاظ ، لابي زكريا يحيي بن علي الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـ) تحقيق : الاب لويس شيخو اليسوعي المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٨٩٥م .

× الكنز اللغوي في اللسن العربي (مجموعة في اللغة) نشر وتحقيق : د . اوغست هفنر ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٠٣ م (اعادت طبعه بالاوفست مكتبة المثنى ببغداد) د . ت .

× اللبأ واللبن ، لابي زيد الانصاري (ت ٢١٥ هـ) نشر وتحقيق : الاب لويس شيخو اليسوعي ، ضمن البلغة في شذور اللغة .

× لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، د • عبدالعزيز مطر ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م •

× لحن العامة والتطور اللغوي ، د • رمضان عبدالتواب ، الطبعة الاولى مطابع البلاغ ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٧م •

× لحن العوام ، لابي بكر محمد بن حسن بن مذحج الزبيدي (ت ٣٧٩هـ) تحقيق د • رمضان عبدالتواب ، الطبعة الاولى المطبعة الكمالية ، القاهرة ، ١٩٦٤م •

× لسان العرب ، لابي الفضل جمال‌الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري (ت ٧١١ هـ) دار صادر ودار بيروت ، بيروت ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م •

× اللغات السامية ، تيودور نولدكه ، ترجمة : د • رمضان عبدالتواب ، مكتبة دار النهضة العربية ، المطبعة الكمالية ، القاهرة ١٩٦٣م •

× اللغات في القرآن ، رواية ابن حسنون المقرىء باسناده الى ابن عباس ، تحقيق : د • صلاح‌الدين المنجد ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٩٧٢م •

× اللغة ، ج • فندريس ، تعريب : عبدالحميد الدواخلي ومحمد القصاص ، مكتبة الانجلو المصرية ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ١٩٥٠م •

× اللغة والمجتمع ، د • علي عبدالواحد وافي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة ١٩٧١م •

× اللغة والنحو بين القديم والحديث ، عباس حسن ، دار المعارف بمصر القاهرة ١٩٦٦م •

× لهجات العرب ، احمد تيمور باشا ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، مصر ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م •

× اللهجات العربية في القراءات القرآنية ؛ د ٠ عبدة الراجحي ، دار المعارف بمصر ، مطبعة م ٠ ك ٠ الاسكندرية ١٩٦٩م ٠

× ما اتفق لفظه واختلف معناه ـ ابو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥ هـ) تحقيق : عبدالعزيز الميمني ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٥٠ هـ ٠

× مباحث لغوية ؛ د ٠ ابراهيم السامرائي ، مطبعة الاداب ، النجف الاشرف ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م ٠

× متخير الالفاظ ، لاحمد بن فارس ، تحقيق : هلال ناجي ، الطبعة الاولى مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٧٠ م ٠

× مثالب الوزيرين اخلاق الصاحب بن عباد وابن العميد ، لابي حيان علي ابن محمد التوحيدي (ت ٤١٤هـ) تحقيق : د ٠ ابراهيم الكيلاني ، دار الفكر دمشق ١٩٦١ م ٠

× مجالس ثعلب ، ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١ هـ) تحقيق عبدالسلام هارون ، دار المعارف بمصر ـ القاهرة ١٩٦٠ م ٠

× مجمع الامثال ، لابي الفضل احمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم النيسابوري الميداني (ت ٥١٨ هـ) تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد الطبعة الثانية ، مطبعة السعادة ، مصر ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٥٩ م ٠

× محاضرات في اللغة ، د ٠ عبدالرحمن ايوب ـ مطبعة المعارف ـ بغداد ١٩٦٦ م ٠

× مختصر تهذيب الالفاظ ، لابن السكيت ، تحقيق : الاب لويس شيخو اليسوعي المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٨٩٧ م ٠

× المخصص / ابو الحسن علي بن اسماعيل بن سيده الاندلسي (ت ٤٥٨ هـ) المطبعة الاميرية الكبرى ـ القاهرة ـ ١٣١٦ هـ ٠

× المرصع في الاباء والامهات والبنين والبنات والاذواء والذوات ، مجد الدين المبارك بن محمد المعروف بابن الاثير (ت ٦٠٦ هـ) تحقيق : د . ابراهيم السامرائي ، مطبعة الارشاد ، بغداد ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م .

× المزهر في علوم اللغة وانواعها ، للسيوطي ، تحقيق : محمد احمد جاد المولى وآخرين ، الطبعة الرابعة ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٥٨ م .

× المستصفى من علم الاصول ، لابي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) الطبعة الاولى ، المطبعة الاميرية ببولاق ، مصر ١٣٢٢ هـ . (اعادت طبعه بالاوفست مكتبة المثنى ببغداد) .

× مستقبل اللغة العربية المشتركة ، د . ابراهيم انيس ـ معهد الدراسات العربية العالية ـ القاهرة ١٩٦٠م .

× المسلسل في غريب لغة العرب ، لابي الطاهر محمد بن يوسف بن عبدالله التميمي (ت ٥٣٨ هـ) تحقيق : محمد عبد الجواد ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، القاهرة ١٩٥٧ م .

× المطر ، لابي زيد الانصاري ، نشره الاب لويس شيخو اليسوعي ، ضمن البلغة في شذور اللغة .

× المعجمات العربية ، اعداد : وجدي رزق غالي وتقديم د . حسين نصار الهيأة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٧١ م .

× المعجم العربي نشأته وتطوره ، د . حسين نصار ، الطبعة الثانية ، دار مصر للطباعة ١٩٦٨ م .

× معجم المعاني للمترادف والمتوارد والنقيض من اسماء وافعال وادوات وتعابير نجيب اسكندر ، الطبعة الاولى ، مطبعة الزمان ، بغداد ١٩٧١ م .

× المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم ؛ للجواليقي ، تحقيق : احمد محمد شاكر ؛ الطبعة الاولى ؛ مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٦١ هـ - ١٩٤٢ م .

× المفردات في غريب القرآن ؛ الحسين بن محمد بن المفضل الملقب بالراغب الاصفهاني (٥٠٢ هـ) نشر : نور محمد ؛ اصح المطابع ، كارخانة تجارت كتب ؛ كراجي ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م وانظر الطبعة المصرية ، تحقيق د . محمد احمد خلف الله ؛ مكتبة الانجلو المصرية ، المطبعة الفنية الحديثة ؛ القاهرة ١٩٧٠ م .

× المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ؛ د . جواد علي ؛ الطبعة الاولى - دار العلم للملايين بيروت مكتبة النهضة - بغداد ١٩٧١ م .

× مقدمة التفسير ؛ للراغب الاصفهاني (ملحق بكتاب المفردات للراغب الطبعة الباكستانية) .

× مميزات لغات العرب ؛ حفني ناصف ؛ الطبعة الثانية ؛ مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٧ م .

× من اسرار اللغة - د . ابراهيم انيس - الطبعة الرابعة ، المطبعة الفنية الحديثة - القاهرة ١٩٧٢ .

× مناهج البحث في اللغة ؛ د . تمام حسان ؛ مكتبة الانجلو المصرية ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ١٩٥٥ م .

× المنطق ؛ الشيخ محمد رضا المظفر ؛ الطبعة الثانية ؛ مطبعة الزهراء ، بغداد ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م .

× منطق ارسطو ، تحقيق : د . عبدالرحمن بدوي ، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٤٨ م .

× المنطق التوجيهي ، ابو العلا عفيفي ؛ الطبعة الحادية عشرة ؛ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٣ م .

× المنطق الصوري منذ ارسطو وتطوره المعاصر : د . علي سامي النشار ، الطبعة الاولى ، المكتبة التجارية الكبرى ، مطبعة دار نشر الثقافة ، الاسكندرية ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٥ م .

× المنطق الوضعي ، د . زكي نجيب محمود ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الانجلو المصرية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٦٥ م .

× المنطق ومناهج البحث : د . محمد فتحي الشنيطي ، الطبعة الاولى ، مطبعة مينت برس ، بيروت ١٩٦٩ م .

× المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب ، للسيوطي ، تحقيق : عبدالله الجبوري مجلة المورد ، المجلد الاول ، العددان الاول والثاني ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .

× موسوعة اصطلاحات العلوم الاسلامية المعروف بكشاف اصطلاحات الفنون ، للشيخ المولوي محمد اعلى بن علي التهانوي ، شركة خياط للكتب والنشر ، بيروت . د . ت .

× النبات والشجر ، للاصمعي ، نشره : د . اوغست هفنر ، ضمن البلغة في شذور اللغة .

× النثر الفني في القرن الرابع : د . زكي مبارك ، الطبعة الاولى ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٤ م .

× نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد ، الشيخ ابراهيم اليازجي الطبعة الثانية ، مطبعة القديس بولس ، حريصا ١٩١٣ م .

× النخل والكرم ، للاصمعي ، نشر : د . اوغست هفنر ، ضمن البلغة في شذور اللغة .

× نزهة الالباء في طبقات الادباء ؛ لابي البركات كمال الدين عبدالرحمن ابن محمد بن الانباري (ت ٥٧٧هـ) ؛ تحقيق : د . ابراهيم السامرائي، الطبعة الثانية ؛ مكتبة الاندلس ؛ بغداد ١٩٧٠ م .

× نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها ، الاب انستاس ماري الكرملي ، المطبعة العصرية ـ القاهرة ـ ١٩٣٨م .

× نصوص في فقه اللغة العربية ؛ د . يعقوب بكر ؛ دار النهضة العربية ؛ مطابع دار لبنان ؛ بيروت ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ م .

× نهاية السول في شرح منهاج الاصول ؛ للقاضي عبدالله بن عمر البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ) للشيخ جمال الدين عبدالرحيم بن الحسن الاسنوى (ت ٧٧٢ هـ) جمعية نشر الكتب العربية ؛ المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٤٣ هـ .

× الوجيز في فقه اللغة ؛ محمد الانطاكي ؛ المطبعة الحديثة ؛ حلب ١٩٦٩ م .

المجـــلات :

× اسلاميكا ـ المجلد الخامس ـ المانيا ـ ١٩٣١

× آفاق عربية ـ العدد ٤ ـ بغداد ـ كانون الاول ١٩٧٥ .

× الفكر ـ العدد ٥ ـ السنة ١٥ ـ تونس ١٩٧٠ .

× الكتاب ـ العدد ٧ ـ السنة ٨ ـ بغداد تموز ١٩٧٤ .

× كلية الشريعة ـ العدد ٥ ـ بغداد ١٩٦٨ ـ ١٩٦٩ .

× مجمع اللغة العربية الملكي ـ الجزء الاول ـ القاهرة ١٩٣٤ .

× مجمع اللغة العربية الملكي ـ الجزء الثاني ـ القاهرة ١٩٣٥ .

× المورد ـ العدد ١ ـ ٢ ـ المجلد الاول ـ بغداد ١٩٧١ .

× المورد ـ العدد ٣ ـ ٤ ـ المجلد الاول ـ بغداد ١٩٧٢ .

× المورد ـ العدد ١ ـ المجلد الثالث ـ بغداد ١٩٧٤ .

× المورد ـ العدد ٣ ـ المجلد الثالث ـ بغداد ١٩٧٤ .

المراجع الاجنبية

1. A Comprehensive English Grammar for Foreign Students. C.E. Eckersley, and J.M. Eckersley. Tenth impression 1972, Longman Group Limited, London, printed in Hong Kong.

2. Language and Communication.
   George A. Millen.
   United States of America, 1963.

3. Language An Interoduction to the Study of Speech.
   Edward Sapir.
   Second edition, United States of America, 1949.

4. Language its Nature, Development and Origin.
   Otto Jespersen, London, 1949.

5. The Language Poets Use.
   Winifred Nowottny.
   The Athlone Press, University of London, 1968.

6. Linguistics and English Grammar.
   H.A. Gleason, Jr.
   Printed in the United States of America 1965.

7. The Meaning of Meaning.
   C.K. Ogden and I.A. Richards.
   Printed in Great Britain, London, Tenth edition, 1956.

8. New Standard Dictionary of the English Language.
   Prepared by more than three hundred and eighty specialists and other scholars.
   Funk & Wagnalls Company, New York, 1960.

9. Philosophy of Language.
William P. Alston.
Twelve edition, Library of Congres, U.S.A. 1964.

10. The Principles of Semantics.
Stphen Ullmann.
Seconon, Edition, London, 1957.

11. Semantics An Introduction to the Science of Meaning.
Stephen Ullmann.
Oxford, 1967.

12. The Shorter Oxford English Dictionary on Historical Principles.
William Little, H.W. Fowler, J. Coulson.
Revised and edited by C.T. Onions.
Third edition, Oxford University Press, 1965.

13. Webster's New International Dictionary of the English Language
William Allan Neilson, Thomas A. Knott and Paul W. Carhart.
Second Edition, U.S.A., 1959.

14. The Works of Aristotle.
Translated into English under the editorship of W.D. Ross.
Volume XI Rhetorica by W. Rhys Roberts. De Poetica by Ingram Bywater, Oxford 1959.

المحتـــوى

تصميم الغلاف : سلسبيل ناجي

[illegible]

[illegible]

[illegible]

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ـ بغداد
(١٤٢٦) لسنة ١٩٨٠

دار الحرية للطباعة ـ بغداد
١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م